مجلة جامعة ابن رشد في هولندا

دورية علمية محكمة تصدر فصليا

العدد العاشر

AU

Averroes University

Averroes University In Holland

مجلة جامعة ابن رشد في هولندا العدد العاشر

مجلة

جامعة ابن رشد في هولندا

دوريّة علمية محكَّمة تصدر فصليّا

هيأة التحرير

رئيس التحرير	أ.د. تيسير عبدالجبار الآلوسي
نائب رئيس التحرير	أ.د. عبدالإله الصائغ
سكرتير التحرير	أ.د. حسين الأنصاري

أعضاء هيأة التحرير

الدكتور محمد عبدالرحمن يونس

الدكتور معتز عناد غزوان

الدكتور صلاح كرميان

الدكتور جميل حمداوي

عنوان المراسلة

Brahmalaan 18, 3772 PZ, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org
Telefax: 0031342846411

رقم التسجيل في هولندا 08189752 - السجل الضريبي NL242123028B01

البحوث المنشورة يُجري تقويمها أساتذة متخصصون.

الهيأة الاستشارية

أ.د. جميل نصيف	المملكة المتحدة
أ.د. عايدة قاسيموفا	أذربيجان
أ.د. عميراوي احميده	الجزائر
أ.د. محمد عبدالعزيز ربيع	الولايات المتحدة الأمريكية
أ.م. خليف مصطفى غرايبة	الأردن

ثمن العدد 10 يورو أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي

الاشتراك السنوي	الأفراد	المؤسسات
لمدة سنة	60	80
لمدة سنتين	110	150
لمدة ثلاث سنوات	160	200

طبعت أول مرة أعداد بمطابع كوانة في السليمانية بكوردستان \ العراق

حقوق الطبع والنشر محفوظة لجامعة ابن رشد في هولندا

الفهرس

التصنيف	ص.
مفتتح	أ، ب
الأدب وعلوم اللغة	001
التوظيف الأسطوري للدم في الحضارات القديمة (التوظيف الديني والاجتماعي أنموذجين) الدكتور مروان فريد جرار	002
الحدث السياسي في شعر نازك الملائكة قيس خزاعل والدكتور غلام رضا كريمى فرد	029
التحليل اللغوي بين المعنى المعجمي والسياق في تفسير عبد الحميد بن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير د. لخضر حداد	051
رمز الحب و الرحلة في القصيدة الصوفية الجزائرية\ سعيد المنداسي الجزائري نموذجا الأستاذ:الطاهر حسيني	075
دراسات في التاريخ	093
العلماء والسلطة بالمغرب الأقصى: مسألة التجنيد خلال عصر السلطان العلوي المولى إسماعيل أنموذجا_(1672-1727م)	094
الاقتصاد و إدارة الاعمال	112
الآثار المحتملة لانضمام فلسطين إلى منظمة التجارة العالمية على قطاع التجارة الخارجية د. عمر محمود أبو عيدة	113
الفنون	164
الحلزون الذهبي في الزخرفة العربية الاسلاميه الدكتورة : صفا لطفي	165
العلوم النفسية والتربوية	188
أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في مدار س مديرية جنوب الخليل من وجهة نظرهم د.جمال بحيص \د. خالد	189

قطوف

الاتجاه نحو البرامج التعليمية المحوسبة لدى معلمي المدارس بوكالة الغوث الدولية بمحافظات غزة د.عبد الفتاح عبد الغني الهمص \ د. زهيـــــر عبد الحميد النواجحة	217

* تصميم الغلاف الدكتور معتز عناد غزوان

* لوحتا الغلاف للدكتورة وسماء الأغا

الأستاذة الدكتورة وسماء حسن الاغا
ولدت في بغداد 1954
بكالوريوس كلية الفنون الجميلة - الرسم 1980
ماجستير - تاريخ الفن الإسلامي 1986
دكتوراه فلسفة في الفنون التشكيلية 1996
لها العديد من المعارض الشخصية والمشاركات الجماعية داخل العراق وخارجه
أستاذة في كلية الفنون الجميلة بجامعتي بغداد وصلاح الدين
لها الكتب الآتية
الواقعية التجريدية في الفن - عمان 2010
التكوين في الفنون التشكيلية- بغداد 2002
لها العديد من البحوث والدراسات
مقيمة في عمان

مفتتح

آمال تتفتح بفضل إصرار من زميلاتنا وزملائنا، وعزيمة لا تهن منهم كيما نواصل مشوار المنجز العلمي الأكاديمي ممثلا بهذه الدورية الفصلية. إننا بإدارة التحرير وفي إطار مؤسسة تتبنى البحث العلمي جوهرا لأنشطتها، لنتطلع إلى أنْ يصل هذا العدد الذي تلكأ صدوره إلى أيادي الجهات التي تنتظر منجزه مجسَّدا بقراءات بحثية رصينة.

في هذا العدد نوافذ عديدة كدأب المجلة في عنايتها بالتنوع؛ وسيجد القارئ عبر نافذة علوم الأدب واللغة معالجات تجمع بين اللغة الأدبية وشعرية العبارة وبين القراءة النقدية الفكرية التي تستنطق تاريخ الحضارة ورموز الإبداع فيها، بما يساعد على استكشاف علامات وجودنا وبعض جذور الشفرات المتداولة: ((التوظيف الأسطوري للدم في الحضارات القديمة)). كما يربط البحث العلمي هنا بين الظاهرة السياسية ومادة الإبداع الشعري: ((الحدث السياسي في شعر نازك الملائكة)). ليأتي بحث آخر بتحليله اللغوي الذي استنطق نصاً من بطون التاريخ لكنه لا يغادر زمن المعالجة وأدواتها: ((التحليل اللغوي بين المعنى المعجمي والسياق في تفسير عبد الحميد بن باديس...)). ومجددا نقرأ بحثا تاليا في تحليل الرمز وهذه المرة في المنجز الصوفي: ((رمز الحب والرحلة في القصيدة الصوفية الجزائرية)).. أما بالدراسات التاريخية فلم يقف البحث عند الأرقام وسجلاتها بل بحث في موقع العلماء في مرحلة تاريخية بعينها ولعله بهذا يتجه للإفادة المعاصرة بقدر قراءة ذاك التاريخ: ((العلماء والسلطة بالمغرب الأقصى: مسألة التجنيد خلال عصر السلطان العلوي المولى

إسماعيل..)). أما في الاقتصاد فقد ربط البحث المخصوص بين مفردة التجارة وقطاعها وحراكه والشأن الدولي بهذا الباب مع أداء لخطاب سياسي غير مباشر؛ ولكنه يتمسك بالمحددات العلمية لقراءته: ((الآثار المحتملة لانضمام فلسطين إلى منظمة التجارة العالمية على قطاع التجارة الخارجية)). وفي هذا العدد كانت مادة الحلزون الذهبي في الزخرفة الإسلامية إطلالة جمالية فنية من جهة واستنطاق بحثي علمي مميز من جهة أخرى لعله علامة يمكنها أن تضيف بملامح أدائها الأكاديمي العلمي إلى الخطاب المعرفي من جهة والفني من جهة أخرى. ومن جديد نلج ميدانيا بحوثا تخص حقل التربية وعلم النفس والتفاعلات الحديثة لتوظيف الحوسبة في المجال التعليمي مع محددات جغرافية لابد ستكون جد مهمة لبيئتها ومجتمعها، بالإشارة هنا إلى بحثين هما: ((أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في مدار س مديرية جنوب الخليل...)) و ((الاتجاه نحو البرامج التعليمية المحوسبة لدى معلمي المدارس بوكالة الغوث الدولية....)).

نقدم هذي الإطلالة العجلى في منجز العدد العاشر عسى تكون دعوة معرفية لتفضلكم بالاطلاع على هذا المنجز والاستفادة منه بالقدر الذي ترونه سواء بالامتياح من المنجز بمفرداته أم بالحوار معه ومحاولة تقديم قراءات معرفية أخرى في ذات الميادين التي اجتهد بها الزملاء فيما قدموه..

مرحبا، بمساهماتكم العلمية.. ولنمضِ معا وسويا لتعزيز مسيرة البحث والتقصي واستنطاق الموضوعات المعرفية بعقل متفتح، لا يقف عند حدود بل يواصل مشوار الاستكمال والإضافة وربما الاستبدال والتغيير على وفق ما تفرضه نتائج البحث العلمي. وهذي تحية مخصوصة لكل المساهمات والمساهمين في هذا العدد.

رئيس التحرير

الأدب وعلوم اللغة

التوظيف الأسطوري للدم في الحضارات القديمة
(التوظيف الديني والاجتماعي أنموذجين)

الحدث السياسي في شعر نازك الملائكة

التحليل اللغوي بين المعنى المعجمي والسياق في تفسير عبد الحميد بن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير

رمز الحب و الرحلة في القصيدة الصوفية الجزائرية\سعيد المنداسي الجزائري نموذجا

التوظيف الأسطوري للدم في الحضارات القديمة
(التوظيف الديني والاجتماعي أنموذجين)

الدكتور مروان فريد جرار

ملخص

احتل الدم مكانة مميزة لدى الشعوب القديمة، تلك الشعوب التي ربطت بين الدم والحياة، واعتبرته القوة الدافعة للجسم، فبه تبدأ حياة المولود، وبه تنتهي، وهو وسيلة حفظ الحياة، وذهابه يعني فقدان الحياة. وهو أساس الوجود، وأساس العلاقة بين الكائن الحي والخالق، وبدونه تنقطع الصلة، ويختفي الازدهار والنعيم، وتعم الهزائم والكوارث، ويختفي الكون.

لقد وظّفت الشعوب القديمة الدم ،بدلالات أسطورية، على الصعيدين الديني والاجتماعي. وحاولت هذه الشعوب رسم شكل أسطوري للعلاقة بين الدم ومسألة خلق الإنسان، ووظفته أسطورياً، فبه تبدأ الحياة وبه تستمر وبه تنتهي.كما نسجت علاقة أسطورية بين القرابين والدماء التي تراق وبين رضا الإله.ووظفت الدم بطريقة أسطورية في الطقوس الدينية، فلا طقوس دينية دون دماء.وفي المجال الاجتماعي ،وظّف الدم في الأحلاف والمواثيق،وفي العادات والتقاليد، فلا أحلاف تُنْسج دون دماء، ولا عادات وتقاليد دون دماء تُراق ، وأصبح الدم ركناً أساسياً في الحياة الدينية والاجتماعية.

Abstract

Mythical employment of blood in Ancient civilizations Social and religious recruitment as models)(

Dr.Marwan Fareed Jarrar/ Associate Professor/Al -Quds Open University, Jenin Branch ,Palestine/Naheel Tawfeeq Ardah/ Master in Arabic Language and Literature

Blood occupied a significant position among Ancient civilizations, who linked between blood and life and considered it the motive power for the body , the life of the new born begins with it and ends with it .It is a way for keeping life ,its vanishing means loss of life ,it is the basis of relation between living creature and creator, without it the relations are cut and prosperity and blessing vanish ,defeat and catastrophes prevail and universe vanishes. Ancient civilizations employed blood by Mythical symbols in religious and social fields, And those peoples

tried to draw mythical relation between blood and creation of human being, stating that by blood life begins and continues and ends, they also wove Mythical relation among sacrifices and blood spilled and satisfaction of Gods. They also employed blood in Mythical way in religious rites, because they considered that no rites without blood. In social filed blood was employed in confederacy and agreements ,and in habits and traditions ,no confederacy without blood spilled, and blood became a main basic element in social and religious life

المقدمة:

عالجت هذه الدراسة موضوع" التوظيف الأسطوري للدم في الحضارات القديمة"، وحُدّد هذا التوظيف في الدراسة، هذه، بالتوظيف الديني والتوظيف الاجتماعي كأنموذجين. وتكمن أهمية هذه الدراسة في استكشافها لمكانة الدم وقدسيته في الحضارات القديمة، وإبرازها لمجالات توظيفه(الأسطوري) في الميادين الدينية والاجتماعية، أو لنقل دلالاته الدينية والاجتماعية عند الأمم القديمة.

تهدف الدراسة إلى التعرف على مكانة الدم وقدسيته في الحضارات القديمة، ومبررات هذه المكانة والقدسية، ومجالات التوظيف الأسطوري للدين على الصعيد الديني والاجتماعي ودلالات ذلك.

ضمت الدراسة مبحثين، عالج المبحث الأول:التوظيف الديني الأسطوري للدم في الحضارات القديمة، وتم التطرق إلى ثلاثة قضايا: الأولى: خلق الإنسان وعلاقته بالدم. والثانية: القرابين وعلاقتها بالدم. والثالثة: الدم والطقوس الدينية. وكرّس المبحث الثاني للبحث في التوظيف الاجتماعي الأسطوري للدم في الحضارات القديمة ودلالاته. وتم التطرق في هذا المبحث إلى قضيتين أساسيتين. الأولى: الأحلاف والمواثيق وعلاقتها بالدم، والثانية: العادات والتقاليد وعلاقتها بالدم.

استخدمت الدراسة جميع مناهج البحث المتاحة من وصفية، وتحليلية، ومقارنة في سبيل تحقيق أهدافها.

المبحث الأول: التوظيف الديني الأسطوري للدم في الحضارات القديمة.

(1) الدم وأسطورة خلق الإنسان.

تُجْمع الثقافات القديمة على أن الإنسان الأول مخلوق من مادة حمراء، هي دم الآلهة، أو هي تربة حمراء اكتسبت حمرتها من دم الإله، أو هي خليط من التربة الحمراء ودم الإله الصريع، ولعل هذه الأساطير كانت تحاول أن تفسّر علاقة الدم بالحياة، فلعل البدائي لاحظ أن خروج الدّم يؤدي إلى الموت، فربط بين الحياة والدم، وعدّه المادة الأولى للخلق[1].

كان البابليون[2]أكثر الشعوب وضوحاً في صياغة أفكارهم عن خلق العالم، وتَظْهر أفكارهم في عدد من الأساطير كان أهمها على الإطلاق أسطورة الخلق البابلية الرئيسة المسماة بملحمة (إينوما إيليش)، أي (عندما في الأعالي). علاوة على عدد آخر من النصوص التي تتعلق بكيفية خلق العالم[3].

ويحتل خلق الإنسان شطراً لا بأس به من الرقم السادس من ملحمة (إينوما إيليش)، إذ تخبرنا أن الإله (مردوك) [4] فكر أن يريح الآلهة، وبعد أن استشار (مردوك) أباه (إيا)[5]، خلق إنساناً من خليط الطين والعظم والدم، ليكون في خدمة الآلهة، وبعد هذا الجهد القاسي الذي بذلته الآلهة ركنوا للراحة [6].

([1]) علي، إبراهيم محمد (2001) . ***اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)***.ط1، جروس برس ، لبنان ، ص61 ، وسيشار إليه :علي ،اللون.

([2]) البابليون : هم من أصل سام عربي ، أي أنهم من الأموريين الذين كانوا في سوريا في الفرات الأوسط ، وقد بلغ من أهمية العاصمة بابل في هذا العصر حداً جعل اسمها يُطْلق على أغلب سكان العراق /عبد الحليم ، نبيلة(د. ت). ***معالم العصر التاريخي في العراق القديم*** .(د.ط)، دار المعارف ، ص 177 ، وسيشار إليه ، عبد الحليم ، معالم .

([3]) عزيز، كارم محمود(1999) .***أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم***.ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة،سوريا، ص 53، وسيشار إليه:عزيز،أساطير/ السواح، فراس(2001) .***الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية***. ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ص 36، 37 ، وسيشار إليه : السواح ، الأسطورة .

([4]) مردوخ: الإله الثاني بعد آنو إله السماء لدى البابليين ، ولكنه السيد الفعلي لمجمع الآلهة ،والأعلى بينهم جميعاً. ومردوخ هو سيد احتفالات رأس السنة البابلية./ السواح، فراس (2007).***مغامرة العقل الأولى ،دراسة في الأسطورة/سوريا ،أرض الرافدين*** .ط13، دار علاء الدين ، سوريا ،ص384. وسيشار إليه : السواح ، مغامرة.

([5]) إيا :إله الماء العذب البابلي / السواح ، ***مغامرة العقل الأولى*** ،ص50

([6]) عزيز، ***أساطير*** ، ص59

وترى أسطورة أخرى أن دماء الآلهة تُسْتعمل في خلق الإنسان دون طين، ويحكي النص أن الآلهة الأنوناكي(آلهة السماء)، حثوا (إنليل)([7])على خلق الإنسان من دم بعض(اللامجا)(آلهة الحرف)،حيث ستكون مهمة ذلك الإنسان القيام بأعمال الآلهة في كل زمن، بحرث الحقول وريّها، وبناء المعابد والمحاريث لهم، ولذلك خلق إنسيين يحملان إسمي(إلجار)،و(أوليجار)أو(زناليجار)([8]).

واعتبرت الأساطير الآشورية([9]) أن البشر تم خلقهم من مادة الصلصال التي نفخ فيها الإله نفس الحياة، أو من الصلصال الممزوج بدم إله تمت تضحيته لهذه الغاية ([10]).

وفي سفر التكوين العبراني([11])،نجد إله اليهود (يهوه)([12])، يقوم بخلق الإنسان من طين، "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض"([13]).

---

(7) إنليل : رب سومري للنار والقوى الطبيعية ، ابن آنو وبعدها صار ملك الأرض وسيدها والمسيطر على مصير البشرية والملوك يستمدون سلطتهم منه / شابيرو ،ماكس ؛هندريكس ، وردوا (1999).***معجم الأساطير*** . ترجمة حنا عبود (د.ط)، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ص94.وسيشار إليه : شابييرو، وهندريكس، معجم الأساطير.

([8])عزيز ، ***أساطير***، ص 60

([9]) الآشوريون : في الأصل فرع من الأقوام السامية التي هاجرت من مهد الساميين الأصلي، وهو جزيرة العرب .وهم بدو غزاة، حلوا في موطن مؤقت بعد هجرة أجدادهم من الجزيرة ،وانتقلوا إلى البلاد التي صارت فيما بعد موطناً ثابتاً لهم، ويفترض العلماء لذلك فرضين وهما : إن الآشوريين جاؤوا من الجنوب من أرض بابل ، وثانيهما إن الآشوريين موجة آرامية جاءت من سورية / سليم ، أحمد أمين.(1989). ***دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم*** ، مصر، العراق ، إيران.(د.ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص 314. وسيشار إليه : سليم ، دراسات .

([10]) الشواف، قاسم(2001). ***ديوان الأساطير. سومر وأكاد آشور، الموت والبعث والحياة الأبدية***، ط1، دار الساقي،لبنان،ج 45 ، ص 31. وسيشار إليه:الشواف ،ديوان الأساطير .

([11]) سفر التكوين :أول سفر من أسفار التوراة واسمه (بريشيت) مأخوذ من أول كلمة فيه حسب كتاب اليهود ومعناها(في البدء) وقد سمي بالعربية(التكوين)لأنه جاء فيه وصف الخليقة / الشامي ، رشاد(2003). ***موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية*** . (د.ط) ،المكتب العربي لتوزيع المطبوعات ، مصر ، ص 74 .وسيشار إليه : الشامي ، موسوعة المصطلحات .

([12]) يهوه :إله العبريين ، وهناك آراء حول أصل كلمة (يهوه) الذي كان في أقدم مراحله يدعى إيلات - إياهو وطبقا لأحد هذه الآراء أن إياهو IAHUمركبة من مقطعين :IA، ويعني بالسومرية (سام،عال،مجيد)، HU ويعني حمامة/ الشوك، علي (1999).***جولة في أقاليم اللغة والأسطورة*** .ط2، دار المدى للثقافة ،سويا ، ص23. وسيشار إليه : الشوك ، جولة .

(2) الدم والقرابين:

إن لعادة التقرّب بالقرابين الحيوانية والبشرية جذوراً أسطوريةً موغلة في القدم، وقد كانت سائدة عند معظم الشعوب القديمة ، فقد اعتقد الناس قديماً أنهم عندما يقدّمون الضحية، فإن الآلهة تشرب من دمائها، فتهدأ وتستجيب للإنسان[14] .فالضحية في جوهرها هي ضحية دم، وليس ضحية لحم، والدم هو أحب وجبات الآلهة على الإطلاق، وليس في مقدور الناس أن يبخلوا به عليهم، وخاصة أن أحداً لم يكن يساوره شك في أن الآلهة يحافظون على نظام الكون السائد[15].

ففكرة التضحية فكرة طبيعية، والإله سيد، له من البشر الهدايا والواجبات، يحاولون من خلالها بلوغ رضاه، والحصول على بركاته الطيبة عن طريق التضحية [16]. فالإنسان يتقرب للآلهة ويسترضيها بتقديم أفضل شيء في الوجود ألا وهو دم أول أبنائه، ثم تطورت المجتمعات عن تلك الخطوة، وأصبحت تُقدّم الحيوانات بدلاً من الوليد الأول، وكان يُشْترط في كل تلك الأطوار أن يُسال دم الأضحية بكمية كبيرة على مذبح الإله.

وقد ذبح الكنعانيون([17]) الحيوانات، وصبوا الخمور فوق الأضرحة، لاعتقادهم أنها تسقي أمواتهم الذين هم في العالم الآخر أو العالم الأسفل، ومن المرجّح أن دم الذبائح كان يُصبُّ في المقابر[18].

ومن ذلك أيضاً ما وجد في معبد كالي في الهند، أكثر المعابد دموية عبر التاريخ، فقد كان مكاناً أقرب إلى بيت لذبح الماشية منه إلى معبد، بسبب كمية القرابين الحيوانية التي تقدّم لها، ففي عيدها السنوي في كلكتا يُذّبح الحجاج تحت قدميها ما يقارب الثمانمائة رأس من الماشية، واهبين دماءها

([13]) ***الكتاب المقدس***، سفر التكوين 7، الإصحاح 2

([14]) الباش، حسن؛ السّهلي، محمد(د.ت).***المعتقدات الشعبية***. (د.ط)، دار الجليل، ص 256،وسيشار إليه :الباش ؛السهلي ،المعتقدات .

([15]) ألبيديل، م.ف (2005). ***سحر الأساطير(دراسة في الأسطورة والتاريخ والحياة)***. ترجمة حسان ميخائيل إسحق، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 2005، ص 162 ،وسيشار إليه :ألبيديل، سحر الأساطير .

(16) كونتنو، ج(1997). ***الحضارة الفينيقية***. ترجمة د.عبد الهادي شعيرة، مراجعة د.طه حسين، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 159 ،وسيشار إليه :كونتنو ،الحضارة الفينيقية .

([17]) الكنعانيون : عرب استقروا في السواحل من بلاد الشام ونراهم منذ زمن قديم في الساحل الجنوبي منه يتقدمون نحو الشمال وقد تأثروا وأثروا في الحضارة المصرية القديمة ، واسم كنعان مأخوذ من الكلمة العبرية القديمة ذات الجذر(كنع) والتي تعني الأرض الواطئة /حماد ، حسين فهد(2003) . ***موسوعة الآثار التاريخية (حضارات ، شعوب ، مدن ، عصور ، حرف، لغات)***.(د.ط)، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص 528. وسيشار إليه : حماد، موسوعة الآثار.

([18]) الباش، حسن(1988). ***الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي***. ط 1، دار الجليل، دمشق، ص 43 ،وسيشار إليه :الباش ،الميثولوجيا الكنعانية .

للآلهة التي وهبت كل حيّ دمه، ويكوّمون الرؤوس في أهرامات عالية أمام تمثال الإله، ثم يعود كلّ منهم ببقية الوليمة إلى بيته ليقيم الوليمة المقدسة[19].

وكانت القرابين البشرية من أهم أنواع القرابين المقدمة للآلهة، حتى وصل الأمر بهذا الإنسان أن امتدت يداه ليَذّبح أطفاله، وتسيل دماؤهم على مذابح الآلهة ولاءً وتفانياً وإخلاصاً لها، ولم يكن هذا الإنسان متوحشاً أو قاسي القلب، وإنما كان على ثقة راسخة أن هذه القرابين هي التي تساعد على استقرار نظام الكون وثباته، "تحكي الأساطير مغزى الذبائح البشرية فتقول، حدث يوماً أن توقفت الشمس عن الحركة، وكان ذلك يعني إمكانية أن يندثر كل ما هو حيّ على وجه الأرض، ولكي تمنح الشمس قوة، قدم الآلهة أنفسهم ذبائح، وأعطوا دماءهم لها، وعندئذ استأنفت حركتها وتابعت طريقها"[20].

وكانت القرابين تقدّم في طقوس التضحية عند الإغريق، ويُسْكب دمها على الأرض، وكانت للآلهة معابد في داخل القصور، حيث تظهر فيها إشارات مقدسة من بينها الصليب والحليّ وأواني النذور[21].

كما جرت العادة عند بعض قبائل الهنود الحمر أن تقدّم لإلهة النباتات امرأة ذبيحة، وكانت هذه عادة من عِداد الأسيرات، وكانوا يلطخون أدوات العمل الزراعي بقطع جسدها. وكانت جثة المرأة المقتولة تقطع إلى قطع يحملونها إلى الحقل في سلال تَقْطر منها دماء الضحية في أرجاء الحقل المبذور، والهدف ضمان جمع محصول وفير [22].

كما اعتاد العرب التقرّب للآلهة بالقرابين، ومن طقوسها سفح الدم وهو طقس يدل على الطاعة والإخلاص وبخاصة من خلال (الهريق)([23]) على الأنصاب إذ يَعْمد مقدّم القُرْبان إلى الذبيحة، ويأخذ من دمها ويسكبه على رأس الصنم ليحس بالدم فوقه وبالتالي ينتقل دم الضحية إلى الإله فيهدأ غضبه.

([19]) السواح، فراس(1996). ***لغز عشتار (الألوهية المؤنثة و أصل الدين والأسطورة)***. ط 6، دار علاء الدين، دمشق،1996، ص 237،وسيشار إليه :السواح ،لغز عشتار .

([20]) الديك، إحسان(تموز ، 2011) . ***النماذج البدئية في الأغنية الشعبية الفلسطينية***، أغنية (بكرة العيد وبنعيد) نموذجاً. مجلة جامعة النجاح للأبحاث/العلوم الإنسانية، نابلس، فلسطين، م24،ع7، ص207

([21]) الماجدي، خزعل.(1998). ***المعتقدات الإغريقية***. ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع،عمان ، ص 83 ،وسيشار إليه :الماجدي ،المعتقدات الإغريقية .

([22]) ألبيديل، ***سحر الأساطير***، ص 89

[23])الهريق :أصل هَراق ،أراق ،يريق إراقة وأصل أراق أريق وهي انصب / ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (1990)***لسان العرب*** .ط1،دار صادر ،بيروت،مادة (هَرَقَ).وسيشار إليه : ابن منظور، لسان العرب .

كما تقرّب العرب للآلهة بالنذور، وهي مقدمة للأرباب بشكل إجباري لعامل الوفاء بها،ومنها ما ذكره القران الكريم والحديث الشريف منها البحيرة والوصيلة [24]والفرع([25])والعتيرة[26].

كما انتشر بينهم نوع من العبادة الدموية وهي(الختان)([27])، التي كان يقدمها الإنسان إلى أربابه، وتعدّ أهم جزء من العبادات في الديانات القديمة. فقطع جزء من البدن وإسالة الدم منه، تضحية ذات شأن، حظي في عرف أناس ذلك العهد[28].

وإذا كانت نهاية الإنسان عند الجاهليين مقترنة بالدم، فإن مبدأ حياته مقترن عندهم بالدم كذلك، لقد كان من عادتهم ذبح شاة عند ميلاد مولود وتلطيخ شيء من دمها برأس المولود، ويقال لهذه الذبيحة(العقيقة)، وهي كلمة جاهلية وردت في الشعر الجاهلي[29]. حيث قال عمرو ابن معدي كرب [30].

(الطويل)

شددتُ على مهران لما لقيتُه بكفي صمصام العقيقةِ مُخذم

ومما يُلحق بالذبح للآلهة تقديم الأبناء وغيرهم من البشر قرابين لها ، وقد مارس العرب كغيرهم التضحية بالدم البشري لاسترضاء الآلهة، أو

([24]) ينظر المائدة:103/ البحيرة : إذا ولدت الناقة عشرة أبطن شقوا أذنها فيسيبونها فلا تركب ولا يحمل عليها ، والوصيلة : كان أحدهم إذا ولدت له شاته ذكراً أو أنثى قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها / الأصفهاني،الراغب(1992) . ***مفردات ألفاظ القرآن*** . ط1 ، دار القلم ، دمشق ، ص 109، 873 . وسيشار إليه : الأصفهاني ، مفردات .

([25])الفرع : أول نتاج كان ينتج لهم ، كانوا يذبحونه لطواغيتهم / البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بد ربه .(2000). ***صحيح البخاري*** . ط1، در الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،ج 3 ، ص442.وسيشار إليه : البخاري، صحيح البخاري.

([26])المصدر السابق، ج 3 ، ص 442 والعتيرة : في رجب / المصدر السابق، ج3، ص 442.

([27]) الختان : قطع جميع الجلدة التي تغطي حشفة ذكر الرجل ، حتى ينكشف جميع الحشفة، وفي المرأة قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج / الزحيلي ، وهبة (1996) . ***الفقه الإسلامي وأدلته***. (د.ط) ، دار الفكر ، دمشق ،ج1، ص 306.

([28]) علي، جواد(1994).***المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام***.ط1،(د.ن)،(د.م) ،ج4 ، ص 652، وسيشار إليه:علي،المفصل.

([29]) المرجع السابق، ج4 ، ص 652

([30]) الزبيدي ، عمرو بن معدي كرب (1985). ***شعره***، جمعه ونسّقه مطاع الطرابيشي، ط 2، ص38 .وسيشار إليه : الزبيدي ، شعره.

لمحاولة إعادة الحياة لأعزائهم الموتى. وقد أنتجت المخيلة العربيّة مجموعة من القصص التي تخلّد هذا الطقس، بل إن عادة تقديم الأضحية البشرية كل سنة معروفة في الجاهلية، وكانوا يثابرون على أدائها [31].

فقد كان العرب يكرّمون كوكب الصباح (العزى)، ويخرّون له ساجدين، ويضحّون بأجمل أسير يقع في أيديهم. وهم يفضلون لذلك الشبان إذا كانوا في عز الشباب، وصبحي الوجوه، ويعدون لهذه الغاية مذبحاً من الحجارة والصخور التي يكومونها وينتظرون الفجر، حتى إذا لاح كوكب الصبح، يضربون الضحية بالسيوف ويشربون دمها [32].

وقد قدم المنذر ملك الحيرة أحد أبناء الحارث الذي وقع أسيراً في يديه نحو أربعمائة راهبة قرابين إلى العزّى[33].

وعادتهم إذا لم يقع في أيديهم أحد من الأسرى أن يضحوا ناقة من العيس خالصة البياض، فينيخونها ويدورون حولها ثلاثاً، ثم يتقدم كاهنهم أو زعيمهم بكل رونق، وهم يتغنون بأغانيهم، فيضرب بسيف أوداج الناقة، ويتلقى دمها فيشربه، ثم يركض الباقون، ويقْطع كل منهم قطعة من الذبيحة فيأكلونها نيئة، ويُسْرعون في ذلك لئلا يبقى من الجزور حتى الجلد والعظام عند طلوع الشمس[34].

وقدّم الناس في الأوساط الشعبية الأضاحي للأولياء، باعتبارها وسيلة لتحقيق الاتصال بين الإنسان والمقدس، وهو اتصال يستهدف أن يفدي الإنسان نفسه، وأن يتطهر. والمناسبات التي ضحى فيها الإنسان بذبيح كثيرة متنوعة، ومنها ذبيحة الفداء التي تُسمى (فدوة)([35])، وهي وسيلة يشتري بها الإنسان نفسه، أو يفدي بها نفسه من وقوع مكروه، وهناك أُضْحية النذر، التي

---

(31) الحوت، سليم(1955). ***في طريق الميثولوجيا عند العرب***.ط1،مطبعة دار الكتب،بيروت، ص 154،وسيشار إليه:الحوت،في طريق الميثولوجيا./أحمد، عبد الفتاح محمد(1987). ***المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي***.ط 1، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ص 107 ،وسيشار إليه:أحمد،المنهج الأسطوري.

(32) الحوت، سليم. ***في طريق الميثولوجيا*** ، ص 152 / الشوري، مصطفى عبد الشافي(1996). ***الشعر الجاهلي تفسير أسطوري***.ط1،الشركة العالمية للنشر،القاهرة، ص 71، 72 ،وسيشار إليه:الشوري ،الشعر الجاهلي.

(33) علي، ***اللون***، ص 74، 75

(34) أبو سويلم،أنور(1987). ***دراسات في الشعر الجاهلي***.ط1، دار الجيل،بيروت، دار عمار،عمان،ص133،وسيشار إليه :أبو سويلم ،دراسات .

([35]) الفدوة: كلمة عامية محرفة عن كلمة الفداء من الفعل (فدى ، يفدي) فإذا أرادت الأسرة دفع خطر مجهول عن أحد أولادها قد يتحقق في مرض خبيث يصيبه أو حادث مؤلم أو موت مفاجئ تأتي بخروف وتذبحه فداء عن الطفل أما الاعتقاد الذي يكمن وراء هذه الممارسة فهو أن الذبيحة تحمل الأذى المتوقع وتحل سحريا محل الشخص الذي ذبحت على نية افتدائه

يقطع الإنسان فيها على نفسه أن يقدم لله (أو في العادة لولي معين) ذبيحة معينة إذا تحقق له غرض معين، وقد يُضحي الإنسان قبل أداء عمل معين، أو الدخول في تجارة، أو رحلة، بقصد أن يكلل مسعاه بالنجاح، ويضحي لكي ينصره على عدوه، وللحصول على الأطفال أو لشفائهم من مرض خطير، أو لتجنب الإصابة في حالة انتشار وباء أو ما شابه ذلك.

وفي بعض الأحيان يمكن أن نلمس جذور الاهتمام بدم الذبيحة، والحرص على الاستفادة منه على نحو معين، حيث يحرص البعض على دهن جبهة الشخص الذي ذبحت من أجله الضحية بدم تلك الضحية، ونجد ذلك الحرص واضحاً في حالة الأطفال بوجه خاص [36] . ومن الممارسات الشائعة عند تقديم هذه الأضاحي مثلاً،مسح عتبة ضريح الولي بدم الضحية كي لا ينسى طلب صاحب الحاجة، ولا ننسى كذلك أنه تقوم بين الضحية والشخص الذي تقدّم له علاقة خاصة فيها شيء من التعاطف والالتزام، فالشخص الذي ينذر تُمْسح جبهته بدم الضحية، وكذلك القطيع الذي يُفدى عنه تمْسح حيواناته بدم تلك الضحية[37].

وقد قدم العالم الألماني (باول كال) تلخيصاً للآراء التي قيلت في تفسير الممارسات التي يُسْتخدم فيها دم الضحية، فعلامة الكف الذي يُغْمس في دم الضحية، ويُرسم على حائط الضريح قد تكون مجرد علامة للذكرى يذكّر فيها الزائر الولي بزيارته ووفائه بنذره، أما تلطيخ عتبة بيت صاحب الضحية أو جدار بيته بدم تلك الضحية فيهدف إلى نقل البركة إلى بيت ذلك الرجل، لأن الضحية ودمها مُلْك للولي، ولصق جزء منها على البيت فيه استعارة لبركة ذلك الولي، كما أنها قد تعني امتداد قوة الولي وحمايته لتشمل أهل البيت فتدفع عنهم الشرور والأمراض.أما تلطيخ جسد الشخص الذي ذبح من أجله حيوان الضحية بدم تلك الضحية فهو إظهار لرغبة الأهل في تحقيق رابطة وصلة قوية بين هذا الشخص والضحية التي قدمت من أجله تعبيراً عن الرغبة في أن ينتفع بها انتفاعاً حقيقياً وتحقق له ما ذبحت من أجله[38].

(3) الدم والطقوس الدينية.

اعتقد القدماء بوجود قوة حيوية بالدم لذا دخل في الطقوس الدينية عند كثير منهم. من ذلك ما نراه في العيد الفينيقي، فقد ارتبط بتحول مياه النهر كل سنة إلى لون أحمر قان كالدم، واعتقد الفينيقيون أن الصبغة القرمزية هذه

([36]) الجـوهري، محمد(1980).***علـم الفولكلـور (دراسـة المعتقـدات الشـعبية)***. ط1، دار المعارف،القاهرة، ج2 ، ص 80 ،وسيشار إليه:الجوهري،علم الفولكلور.

([37]) الباش ؛ والسهلي، ***المعتقدات***، ص 258

([38]) الجوهري، ***علم الفولكلور***، ج2 ، ص 81 ، 82 .

هي دم أدونيس [39]، وقد كان أدونيس شاباً يافعاً مولعاً بالصيد والقنص، وقعت في حبه أفروديت([40])، وأهملت حياتها كإلهة وانصرفت له، إلى أن جاء يوم هجم عليه خنزير بري وضربه في فخده، فنزف حتى الموت، وسمعت أفروديت صرخته فعادت إليه ووجدته يلفظ أنفاسه الأخيرة، وصبّت على دمه رحيق زهرة عطرة بيضاء، تحولت إلى حمراء مع دمه، وانتشرت حوله، وهنّ زهور شقائق النعمان الواهية الساق، القصيرة العمر[41].

وكان الفينيقيون([42]) يأتون إلى الحفل وقد أخذوا زينتهم، كأنهم في يوم عيد، وكانت دقات الطبول وأصوات المزامير تَطْغى على صراخ أطفالهم، وهم يحترقون في حجر الإله، على أنهم كانوا عادة يكتفون بتضحيات أقل من هذه وحشية، فكان الكهنة يضربون أنفسهم حتى يُلطخ المذبح بدمائهم[43].

واحتفل اليونانيون ببعث الإله آتيس([44])، وفي اليوم الثاني، وهو اليوم المعروف بيوم الدم، تبدأ طقوس الدم، حيث يستهل كبير الكهان الخصيان الطقس بأن يحدث جرحاً كبيراً في ذراعه بطريقة خاصة، تجعل الدم ينبثق منها كالنافورة، ثم يتبعه بقية الكهان الذين يسْقون بما يفيض من دمائهم جذع الشجرة المنصوب الذي يمثل إلهة الطبيعة، الأم سيبيل، وفيما

([39]) فريزر، جيمس(1957). ***تموز أو أدونيس (دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة)***. ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، (د. ط)، دار الصراع الفكري، بيروت، ص 146 ،وسيشار إليه:فريزر ،تموز/ وأدونيس : رب الإنبات والإخصاب الفينيقي الذي اتخذه الإغريق رباً وسموه أدونيس ، كان متوحداً مع هاي ، فحل محلها وبما أن أمه حبلت به من أبيه سينيراس فقد مسخت شجرة وللعناية بهذا الطفل قدمته أفوديت لبرسيفوني ، فأخذت بجماله وبلغ سن الرجولة ، فقرر زيوس أن يقضي أربعة أشهر مع بيرسفوني في العالم السفلي، وأربعة أشهر مع أفروديت التي أحبته ودللته وأربعة أشهر يقضيها أنى يشاء. وبينما كان أدونيس في الصيد قتله خنزير بري ، ومن دمه نبتت شقائق النعمان / شابيرو وهندريكس ، ***معجم الأساطير*** ، ص 30

([40]) أفروديت :آلهة إغريقية ،ولاسمها جذور تعود إلى السومريين وهو يعني الرحم والخصب ، وهي آلهة الحب والخصب والجمال / السواح ، ***لغز عشتار*** ،ص 304

([41]) الماجدي، ***المعتقدات الاغريقية***، ص 115، 117

([42]) الفينيقيون : هم الأقوام الساميون الذين سكنوا الشاطئ الممتد من مصب نهر العاصي شمالاً إلى دور(حالياً الطنطورة) في شمال فلسطين/ هيئة الموسوعة الفلسطينية. (1984). ***الموسوعة الفلسطينية*** . ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، دمشق،ج3 ،ص 487. وسيشار إليه : الموسوعة الفلسطينية .

([43]) السواح، ***لغز عشتار***، ص 319

(44) آتيس: إله يوناني حملت به أمه وهي عذراء بعد احتضان غصن شجرة الرمان أو اللوز /الشوك ، ***جولة في أقاليم اللغة والأسطورة*** ، ص 56

تعزف الموسيقى ألحانها المجنونة التي تدفع الكهان والمحتفلين إلى رقص وحشي ينسون فيه أنفسهم وإحساسهم بأجسادهم[45].

وكان من طقوس الاحتفالات بأعياد الدروع والتروس عند الرومان، أن يضحى ل(مارس) بحصان البطل في الحرب الذي يستخدم دمه في الطقوس السحرية للخصب، ويتقبل الإله التضحية بالخنزير، والشاة، والثور من أجل رخاء الأرض ووفرتها[46].

أما الدماء عند المصريين القدماء فهي مسار الروح والطاقات الحيوية، فشجرة الأرز فقد أينعت ونبتت من دماء حب وعندما كان حورس(إله الشمس والجلد)، يشرب بعض النبيذ كان من المعتقد أنه يتجرع دماء خصومه، أعداء الضياء، أي أنه يجردهم تماماً من سطوتهم وقواهم[47].

ونذكر هنا هذه التعويذة السحرية، التي تناجي دم إيزيس([48]) لما فيه من سحر وقوة يادم إيزيس... ويا سناء إيزيس....وقوة إيزيس السحرية، ويا تميمة تحمي هذا الرجل العظيم، حذار من أن تأتي ضرراً يصيبه....فقد كانت إيزيس من دون جميع الآلهة الآخرين ربة السحر التي اشتهرت بوصفها عظيمة في كلمات السّحر[49].

كما كان نوع من الدماء مدعاة للتشاؤم عند كثيرين كدم الحيض والنفاس، لأنه مشحون بقوة خطرة ينبغي عدم السماح لها بالانتقال إلى الآخرين[50].وهناك اعتقاد عام لدى كثير من الشعوب بأن دم الحيض إنما هو نتيجة عضة ثعبان أو سحلية، أو أي حيوان آخر، أو ربّما عضة روح شريرة، وهو في نظر العقلية البدائية ظاهرة شاذة، ومن ثم يتوجب خشيته بسبب مزدوج، أولاً لأنه دم غير طبيعي، ثم لأنه دم امرأة [51].

([45])السواح ،***لغز عشتار*** ، ص 237

([46]) بارندر، جفري(1978) ***المعتقدات الدينية لدى الشعوب***. ترجمة إمام عبد الفتاح ، مراجعة عبد الفتاح مكاوي، (د. ط)، عالم المعرفة، 1978، ص 74 ،وسيشار إليه :بارندر ،المعتقدات الدينية

([47]) تيبو، جاك روبيد.(2004). ***موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية***. ترجمة فاطمة عبد الله محمود، ط 1، ص 147 ، وسيشار إليه :تيبو ،موسوعة الأساطير .

([48]) إيزيس :ابنة جيب من نوت ،وأم حورس وأخت أوزيريس وزوجته ، الربة الأم التي جمعت فضائل النساء تجسيداً للخصب الذي يجلبه سنوياً فيضان النيل وحبوب القمح الخضراء في مصر القديمة / شابييرو، وهندريكس ، ***معجم الأساطير*** ،ص7 .

([49]) عبد الصمد، محمد كامل(1995). ***عادات ومعتقدات في العصور القديمة***. ط 1، مكتبة الدار العربي للكتاب، القاهرة ، ج1 ، ص 231 ،وسيشار إليه ،عبد الصمد ،عادات ومعتقدات .

([50]) السواح، ***دين الإنسان***، ص 74

([51]) الباش ، السهلي، ***المعتقدات*** ، ص 258

ولدى قبائل استراليا يُمْنع على النساء في فترة الحيض، وتحت وطأة الموت لمس ما يستعمله الرجال، أو أن تمشي في درب يطرقونه، وقد سجل أحد الإنثربولوجيين واقعة مفادها أن أحد الرجال عمد إلى قتل زوجته فور اكتشافه أنها قد تمددت على حصيرته وهي حائض، وتخضع النساء أيضاً إلى تحريمات مشابهة خلال فترة الولادة والنفاس، فتعزل المرأة تماماً حتى انتهاء فترة نفاسها، وكل ما تستعمله أثناءها يمنع لمسه أو استعماله، حتى من قبلها بعد زوال التابو عنها[52].

وعند معظم قبائل أمريكا تعزل الفتاة حتى يأتيها الحيض الأول في كوخ، ويمْنع على أحد من الذكور رؤيتها خلال فترة كافية لتطهيرها، ثم تلزم بعد ذلك تغطية وجهها لمدة محددة بعد خروجها من معتكفها [53].

وعند الهنود الحمر قديماً كانت الفتاة تتعرض لطقوس التكريس منذ أول حيضة لها، حيث تحْبس في كوخ لمدة محددة يمنع عليها أثناء ذلك رؤية الذكور خلال فترة كافية لتطهيرها[54].

ومن الممارسات الشائعة في كثير من الثقافات عزل المرأة طوال فترة الحيض، فهناك بعض القبائل التي تحبس الحائض في قفص فوق الأرض بحيث لا يلامسها أي شيء، إذ يعتقد أن خروج المرأة الحائض من عزلتها هذه يمكن أن تلحق بجماعتها من المشكلات والكوارث ما يعوق سير الطبيعة نفسها، ويهدّد الكون بأجمعه[55].

وفي المسيحية فإنه لا يمكن لأي امرأة مسيحية، وهي في فترة حيضها مرافقة جوقة الترتيل في أي كنيسة شرقية، وكان لدم الحيض صفة سحرية وقدرات أسطورية.[56]

وفي الإسلام يعتبر دم الحيض من الأمور المؤذية، وكذلك التعامل معه لقوله تعالى:(وَيسألونَكَ عَنِ المَحيضِ، قُل هُوَ أَذى).[57]

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني كان الناس_ وما يزال كثير منهم_ يعتقدون أن المرأة الطامث(التي عليها العادة)، وسخة ونجسة، وهم يرون أن فاطمة الزهراء، ابنة النبي محمد – ﷺ – قد امتنعت عن الدخول إلى حجرة نوم والدها، في فترة حيضها، بسبب وجود بعض حبات القمح عند العتبة، خشيت

([52]) السواح، ***دين الإنسان***،ص79
([53]) المرجع السابق، ص79
([54]) السواح، ***دين الإنسان***، ص74
([55]) الجوهري، ***علم الفلكلور***، ج2 ، 270 .
([56]) الباش، والسهلي، ***المعتقدات*** ،ص257
([57]) ***البقرة***: 222

أن تخطو من فوق تلك الحبوب المقدسة، وحتى يومنا هذا، لا تدخل امرأة أيّ مزار، أو تخطو فوق أيّ شيء مقدس في فترة حيضها [58].

وحتى الآن، ما يزال كثير من الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يحظرون على المرأة الحائض أن تعجن العجين، أو أن تزور امرأة نفساء كي لا يحدث أذى ما، أو ضرر للمولود أو لأمه، كما يحظر على المرأة الحائض ممارسة أعمال أخرى عديدة في بيتها.

أما في الأوساط الشعبية المصرية، فتوصي المرأة الفتاة المراهقة عند أول حيض، باحتضان نخلة أو زير، والفكرة من وراء ذلك أن تسمن ويتضخم لحمها، كما يعتقد أنه إذا مرت الحائض في مزارع الباذنجان أحرقتها، ومن القيود المفروضة على الحائض ألا تشارك في عجن العجين، أو في عمل بعض أصناف الطعام، كما أنه لا يصح أن تدخل على شخص مريض بعينيه، لأنها إن فعلت ذهب بصره[59].

المبحث الثاني :التوظيف الاجتماعي الأسطوري للدم في الحضارات القديمة.

(1) الأحلاف والمواثيق.

انتشر مصطلح ميثاق الدم عند كل الأمم، وكان على الدوام أقوى وألزم من كل المواثيق الأخرى، ويتم بشرب الدم، أو مزجه مع الأكل، أو الاغتسال به، وتنبع أهميته في أن أياً من الطرفين لا يستطيع إلحاق الأذى بالطرف الآخر، دون أن يعود ذلك على الطرف الآخر لأن دمه ممزوج بدم زميله [60].

ويذكر سفر التكوين أن الرب ارتضى أن يعقد بينه وبين إبراهيم عهداً مقدساً، وأمره أن يضع بقرة عمرها ثلاث سنين، ونعجة عمرها ثلاث سنين، وكبشاً عمره ثلاث سنين، ويمامة وحمامة صغيرة، فأخذ إبراهيم البقرة والنعجة والكبش، وشطر كلاً منها إلى شطرين، ونثر دمها في الهواء، فلما غربت الشمس وأظلم الكون، أبصر إبراهيم أتوناً يتصاعد منه الدخان، وشعلة من النار تمر بين أجزاء الضحية، وهنا أعلن الرب عهده لإبراهيم. وبهذا يكون الرب قد استجاب للتقاليد الشرعية التي كان يتطلبها قانون العبريين القدماء للتصديق على العهد، فقد كان من عادة الطرفين المتعاهدين أن يذبحوا

---

(58) الباش، و السهلي، ***المعتقدات***، ص 257

(59) الجوهري، ***علم الفلكلور***، ج2 ، 571 .

(60) الديك، إحسان: ***النماذج البدئية في الأغنية الشعبية الفلسطينية***،ص2085

بقرة ويشطروها إلى شطرين ويمروا بينهما، مما يؤكد كل التأكيد أن هذا كان هو النظام المتبع في هذه المناسبة[61].

كذلك مارس الإغريق طقوساً شبيهة بطقوس العبرانيين، فقد ذبحوا الضحايا عند قطع العهد، وشطروها إلى شطرين، ونثروا الدم المنسكب على الطرفين المتعاهدين، بوصفه وسيلة لخلع المهابة على العهد[62].

أما الكاريون فكانوا عند عقد حلف سلمي مع أعدائهم، يأتون بممثل عن كل جانب، ثم يمزجون برادة سيف ورمح وبارود وحجر في فنجان به ماء، ويضيفون إليها دم كلب وخنزير ودجاجة، تُذْبح جميعاً لهذا الغرض، ويسمى هذا المزيج من الدم والماء والبرادة (بماء السلام) ويغتسل كل طرف من الطرفين به[63].

وعند شعب البومالي، يتم إقرار ميثاق السلام بين قريتين من قرى ذلك الشعب عن طريق جمع سكان كل قرية منهما، ثم يقتل أحد العبيد، ويقسم جَسده إلى نصفين، نصف لكل قرية من القريتين، ثم يقوم كل شخص حضر هذا الطقس بأكل قضمة من لحم ذلك العبد وشرب قطرة من دمه[64].

ومن أشهر أنماط ميثاق الدم على الإطلاق أخوة الدم، التي كانت تمارس عند جميع الشعوب بشكل أو بآخر، ويستمد مزج الدماء في هذه الحالة ضرورته من أن الروابط الدموية القبلية روابط على جانب كبير من القوة، ومن هنا فإن الشخص الذي لا أخوة له هو إنسان في وضع سيئ وضعيف، ولذلك يجد نفسه حريصاً على الدخول في ميثاق الدم، هو هنا أخوة الدم. مع نظير مثله يحتاج إلى الحماية. ومن شأن هذا الميثاق أن يجعلهما أخوة شرعيين (من وجهة نظر المجتمع)[65]. ولا شك أن تفاصيل هذه الطقوس تختلف من شعب إلى آخر، إلاّ أنها تتفق جميعاً على نقطة جوهرية واحدة هي تبادل الدم الذي يعد بمثابة خلق لعلاقة الأخوة الشرعية.

فنجد في طقس من الطقوس الجرمانية القديمة ما يوضح هذا المعتقد، حيث يتعين على الرجلين اللذين يريدان أداء هذا الطقس أن يشيدا قوساً كاملاً من الطين الممتزج بالعشب، بحيث يصل طرفاه إلى الأرض، ثم يزحفان تحت هذا القوس، ثم يفتحان وريداً في رسغ كل منهما بحيث يسيل منه الدم، ويمزجان دمهما ببعضه ثم يسيل على الأرض تحت ذلك القوس

([61]) فريـــزر، جـــيمس(1976). ***الفلكلـــور فـــي العهـــد القـــديم،ترجمـــة نبيلـــة ابـــراهيم***.(د.ط)الهيئـــة المصـــرية العامـــة للكتـــاب ، ج1 ، ص 165 ، 166 ، 167 ،وسيشار إليه :فريزر ،الفلكلور .

([62]) المرجع السابق ، ج1 ، ص 166 .

([63]) فريزر ***الفلكلور*** ، ج1 ، ص 301 .

([64]) الجوهري، ***علم الفولكلور***، ج2 ، ص 575 .

([65]) المرجع السابق، ج2 ، ص 575 .

وهما راقدان زاحفان، وبعد أن يتم ذلك المزج، وتتم إسالة الدم يواصلان الزحف خروجاً من تحت القوس، فيصبحان أخوين إلى الأبد[66].

ومن ذلك أيضاً ما وجد عند عقد أواصر الصداقة بين القبائل التي تسكن إفريقيا الشرقية، حيث يحضر أحد الأطراف شاة، وكذلك الطرف الآخر، ثم يذبح الحيوانان، ثم يوضع دمهما معاً في وعاء، ثم تأتي مجموعة من الشيوخ من الطرفين، ويسكبون بعض الدم في راحتي أحد الأطراف الذي يسكبه بدوره في راحتي الطرف الآخر، وعند ذاك يستدعي الواقفون ليشهدوا على امتزاج دم الحيوانين، ويستمعوا إلى التقرير الذي يعلن أن الطرفين أصبح يجمعهما دم واحد[67].

وكان بعض رؤساء القبائل والقادة يستفيدون من تلك الطقوس لضمان أقصى قدر من الولاء ومن التفاني في الخدمة من جانب أتباعهم، ويتم ذلك عن طريق الدخول في ميثاق دم مع كل واحد منهم، بحيث يصبح أخاً له[68].

وقد كان الحلف بالدم من أقوى الأيمان، وكانت العرب تقول في الحلف: " الدم، الدم، الهدم، الهدم، لا يزيده طلوع الشمس إلاّ شداً، وطول الليالي إلاّ مداً ". والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم، أي فما هدم لكم من بناء أو شأن فقد هدم لنا، وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا، وكان من شأنهم إذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم في الدم كالذي كان من أمر حلف(لعقة الدم)[69].

فبعد أن اختلفت بنو عبد الدار وبنو عبد مناف على السقاية([70]) والرفادة([71])، عقدوا حلفاً لا ينقضونه، فأخرجت بنو عبد مناف ومن تابعهم من قريش جفنة مملوءة طيباً، وغمسوا فيها أيديهم، فسموا المطيبين،

([66]) فريزر، ***الفلكلور***، ج1 ، ص 166 .

([67]) الجوهري، ***علم الفولكلور***، ج2 ، ص 576 .

([68]) المرجع السابق، ج2 ، ص 576 .

([69]) علي، ***المفصل***، ج5، ص520، 519/ سقال، ديزيره(1995). ***العرب في العصر الجاهلي***. ط 1، دار الصداقة العربية، بيروت، ص 94، وسيشار إليه :سقال،العرب .

([70]) السقاية : الموضع الذي يتخذ لسقي الناس / الألوسي ،محمود شكري(د.ت). ***بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب*** . عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري (د.ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ج1 ، ص 248 . وسيشار إليه : الألوسي ، بلوغ الأرب .

([71]) الرفادة :ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحج /الألوسي ، ***بلوغ الأرب***، ج1 ، ص 248 .

وأخرجت بنو عبد الدار ومن تابعهم من قريش جفنة من دم فمسحوا فيها أيديهم، ومسحوا بها الكعبة، فسموا الأحلاف ولعقة الدم [72].

(2)**العادات والتقاليد**:

في قرية من قرى غرب إفريقيا، كان مدخلها يُسدُّ بحاجز خفيف مؤقت، ولا يسمح بالمرور من هذا الحاجز إلاّ عن طريق بوابة ضيقة، لأنهم يعتقدون أن هذا الحاجز يحول دون دخول الأرواح الشريرة داخل القرية، وغالباً ما يسكبون على البوابة دم نعجة أو شاة تقدّم ضحية لهذا الغرض[73].

وفي شرق إفريقيا، كانت قبائل كثيرة تسْكب دماء الحيوانات على الأشجار تقديساً لها، فقد كان سكان قبيلة جالا يسكبون دماء حيواناتهم عند سفح أشجارهم المقدسة حتى لا تذبل وفي بعض الأحيان يطلون جذعها وفروعها بالدم والزبد واللبن، أما الأشجار في مرسيليا فقد كانت تغسل بدماء الشخص الذي يقتل ضحية لها[74].

وفي جنوب السودان يصاب القاتل بنجاسة شعائرية تستتبع حظر بعض الأفعال عليه، ولكي يتخلص من هذه النجاسة لا بد من تطهيره، ويقتضي التطهير بعض الإجراءات الخاصة، فلا ينبغي له أن يأكل أو يشرب حتى يقوم الزعيم لابس جلد الفهد بإسالة دمه...وليس للقاتل أن يحلق رأسه، كما أن بيته وزريبته يوصدان، وتتضمن شعيرة التطهير قيام الزعيم بذبح عجل كقربان، وبعد أداء هذه الشعيرة يصبح القاتل في مأمن من المخاطر الروحية التي يستتبعها القتل[75].

آمن العرب القدماء أن الدم صانع الحياة، لذلك اعتقدوا – كمعظم الشعوب البدائية – أن سكب الدم على شيء ما يكسبه صفة القوة والحيوية، لأنه يعطيه جزءًا من دم الإله، وهو جزء مبارك، وقد غطوا القبور والخيول والبقر والسهام بالدم [76].

فصورة القبور المطلية بالدم كانت مألوفة في الحياة العربيّة، فمن أوابد العرب ما يذكر عن(العقر على القبور)([77])، وهو من الشعائر الدينية

---

(72) الألوسي، ***بلوغ الأرب***، ج1 ، ص 248 ، 249 /الحوفي، أحمد محمد(د.ت). ***الحياة العربية من الشعر الجاهلي***. ط 4، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، ص 286 ،وسيشار إليه:الحوفي ،الحياة العربية .

(73) فريزر، ***الفلكلور***، ج2 ، ص 76 .

(74) المرجع السابق، ج2 ، ص 151 .

(75) زناتي، محمود سلام(1996). ***من طرائف العادات وغرائب المعتقدات***. (د. ط)، النسر الذهبي، ص 86 ،وسيشار إليه :زناتي ،من طرائف العادات .

(76) علي، ***اللوث***، ص 63، 64

(77) العقر على القبور : عقره : أي جرحه ، فهو عقير مثل جريح ، والعقر : شبيه بالحزّ ،وعقر الفرس والبعير بالسيف عقرا أي قطع قوائمه وقد كانوا قديما إذا

الجاهلية التي لها علاقة بروح الأموات، واعتقادهم أن موت الإنسان لا يمثل فناءً تامًا، وإنما هو انتقال من حال إلى حال[78].

وقد كانوا يعمدون إلى الناقة بسيوف بيضاء مصقولة، ثم يعقرونها، وينضحون جوانب القبر بالدماء[79].

وكان الجاهليون يعقرون على قبور الموتى، وعند إهالة التراب على الميت، وقد يعقرون على القبر كل عام، وفي أثناء المناسبات إذا كان الميت من السادة المشهورين المعروفين بالخصال الحميدة كالشجاعة والكرم[80].

أما صورة الدم على الحيوانات، فيبدو أن هذا الطقس قد تحوّل في أواخر العصر الجاهلي – لبعد العهد بالأسطورة الأولى– إلى مكافأة يكافأ بها الفرس السابق في الصيد، فقد كان من ديدنهم وعوائدهم أنهم إذا ساقوا الخيل على الصيد وأغاروها نحوه، فالسابق على غيره في الوصول يخضبون نحره بدم ما يمسكونه من الصيد، علامة على كونه لا يُدرك في الغارات، وأنه سبّاق غايات[81].

ولعرب الحجاز عادة قريبة من ذلك وهي أنهم إذا نزل بهم ضيف يعتنى بشأنه، ذبحوا له أو نحروا، فإذا سافر منهم وترحل عنهم لطخوا طرفي سنام بعيره بدم على شكل المثلث إيذاناً بأنه من الرجال المعتنى بشأنهم بين قبائل العرب [82].

كما اعتقد العرب بقدسية الدم الملكي، حيث اعتقدوا أن فيه دواء للمستعصي من الأدواء، يشفي من داء الخبل والكلب، والجنون، بلعق دم الملوك والأشراف[83].

ويؤيد ذلك ما قالته الزباء([84]) لجذيمة حين أسرته وأمرت بقتله، حيث قالت: " أنبئت أن دماء الملوك شفاء من داء الكلب، فلا تضيعوا دم

أرادوا نحر البعير عقروه أي قطعوا إحدى قوائمه ثم نحروه ./ابن منظور ،***لسان العرب*** ،مادة (عَقَرَ)

([78]) أبو سويلم، ***دراسات*** ، ص 42

([79]) المبرد،محمد بن يزيد(د.ت). ***الكامل في اللغة والأدب***. (د.ط)، مؤسسة المعارف، بيروت، ج2 ، ص 366 ،وسيشار إليه :المبرد ،الكامل .

([80]) علي، ***المفصل*** ، ج5 ، ص 173 .

(81) الألوسي، ***بلوغ الأرب*** ، ج3 ، ص 17 .

(82) الألوسي ، ***بلوغ الأرب*** ، ج3 ، 18 .

([83]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(1992). ***الحيوان***. تحقيق وشرح عبد السلام هارون، (د. ط)، دار الجيل،،بيروت، ج2 ، ص5 ،وسيشار إليه :الجاحظ،الحيوان /ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(1963).***عيون الأخبار***. (د. ط)، المؤسسة المصرية للطباعة، القاهرة، ج2 ، ص 79 ،وسيشار إليه :ابن قتيبة ،عيون الأخبار./ضيف،شوقي (2003). ***العصر الجاهلي***.ط24،دار المعارف، ص 84 ،وسيشار إليه:ضيف ،العصر الجاهلي .

الملك"، ولهذا أمرت بطشت وقامت بقطع راهشيه لينزل الدم فيه، لاستخدامه في العلاج[85].

ولم تكن قدسية الدم الملكي مقتصرة على هذا، فقد اعتقدوا بربط الدم بالروح، فالروح تسري بالدم ولذلك زعموا أن المرأة التي لا يعيش لها ولد إذا وطئت دم الشريف عاش ولدها، أو هو خاص بالشريف القتيل[86].

قال بشر بن أبي خازم [87]:

(الطويل)

تَظَلُ مَقاليتُ النّساءِ يَطَأنَه يَقُلْنَ: ألا يُلقى على المرءِ مِئْزرُ؟ [88]

وشبيه بهذا ما تفعله بعض النساء في مصر اليوم عندما يتخطين القتيل للشفاء من العقم[89].

وكان من عادة العرب فصد عرق الناقة ليخرج الدم منه فيشرب، "ويفعلونه أيام الجوع، كما كانوا يأخذون ذلك الدم ويسخنونه إلى أن يجمد ويقوى فيطعم به الضيف في شدة الزمن، و(الفصيد): دم كان يوضع في

---

[84] الزباء (نائلة بنت عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع من العماليق)، و(الزباء بنت عمرو بن الظرب بن السميدع بن أذينة بن هوبر)،على زعم و(ليلى)في زعم آخر ، وزعموا أن لها أختاً اسمها (زبيبة) لها قصر حين على شاطئ الفرات الغربي فكانت تشتو عند أختها وتصير إلى تدمر كما كان لها جنود هم في نظرهم من بقايا العماليق والعاربة الأولى/ علي، ***المفصل*** ، ج3 ، ص 103

([85]) الطبري، أبو جعفر محمود بن جرير(1939). ***تاريخ الأمم والملوك***. راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء، (د. ط)، مطبعة الاستقامة،القاهرة، ج1 ، ص 445 ،وسيشار إليه :الطبري ،تاريخ الأمم./ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(1989). ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***.،تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي،ط1، دار القلم، بيروت، ج2 ، ص 94 ، وسيشار إليه :المسعودي ،مروج الذهب. /ابن الأثير، ***الكامل*** ،ج1، ص 348 ، 347 . والميداني(1986). ***مجمع الأمثال (مختارات)***. تحقيق محمد علي قاسم، (د. ط)، مكتبة المعارف،بيروت، ص 66،وسيشار إليه :الميداني ،مجمع الأمثال .

([86]) الألوسي، ***بلوغ الأرب*** ، ج2 ، ص 318 / أبو سويلم، ***دراسات*** ، ص 3/9 /الحوفي، ***الحياة العربية***، ص 498.

([87]) أبو خازم ، بشر(1960). ***ديوانه***، تحقيق عزة حسن. (د. ط)، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق ، ص88. وسيشار إليه : أبو خازم ، ديوانه.

([88]) المقاليت: جمع مقلات وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد

(89) حسن،حسين الحاج (1998). ***الأسطورة عند العرب في الجاهلية***.(د.ط)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ،ص 80، 81 ،وسيشار إليه:حسن ،الأسطورة .

الجاهلية في معي معنى من فصد عرق البعير ويشوى، وأما (الفصيدة): فتمر يعجن ويشاب بدم وهو دواء يداوى به الصبيان[90].

وعند بدو شرق الأردن ما يسمى (بفورة الدم) فعندما يأتي الخبر بوقوع حادثة قتل يسارع رجال المضرب إلى حمل سلاحهم، وإذا كان القاتل عربياً غريباً لوحق وقتل إذا قبض عليه، ولن يعفى عنه مطلقاً إلا إذا احتمى بشخص قادر على حمايته. ويسمح العرف بثلاثة أيام لفورة الدم بعدها يجب اتباع الإجراء العادي. لكن القاتل يقع دائماً تحت وطأة الثأر فحينما يُعثر عليه، تعرض لضربة قاتلة ولو كان في حمى أقوى الشيوخ. وإذا أفلح القاتل في الهرب من فورة الدم، فلديه عدة وسائل لفداء نفسه وعليه أن يتخذ المساعي الأولى لدى أقارب ضحيته، فيرسل مبعوثاً يطلعهم على قراره (لقد وقعت مصيبة، لقد سفك دم، لكنني أطلب السلم).

ومن النادر قبول هذا الاقتراح الأول، (الدم يطلب دماً)، هكذا يجيب وليّ الدم، فهو يتذكر القرار الذي اتخذه وقت أن رأى القتيل وليس به حراك، غارقاً في دمه، لقد قطع كُمْ (رِدْن) قميصه وغمسه في الجرح ليصبغه بالدم، ورفعه في أعلى حربة لكي يعلن للجميع أنه يأخذ الثأر على عاتقه، ويُطلب منه الآن أن يقبل مبلغاً من النقود مقابل روح حية؟ مطلقاً !!![91]

وفي الأوساط الشعبية كان إذا جرح أحدهم، فإنهم يقومون بمص دم الجرح النازف وابتلاعه، اعتقاداً منهم أن الدم بهذه الطريقة لا يذهب إلى خارج الجسم ولا يخسره صاحبه إذ إن الدم في هذه الحالة يخرج من العضو المجروح ليعود عن طريق امتصاصه إلى الجسم ثانية، وبذلك فإن الإنسان (لن يفقد) من دمه شيئاً[92].

وقد يلتقي المرء بأحد أقاربه المقربين مصادفة، بعد غياب طويل، ولا يعرف أحدهما الآخر من قبل وبالرغم من ذلك، فإن كلاً منهما يعتريه نوع من الشعور الخفي تجاه الآخر، بأن هناك رابطة دم قوية بينهما، وهم يفسرون هذه الحالة بقولهم: (الدمّ بحن)،وقد يختلف أحدهم مع أحد أقاربه، ويحقد أحدهما على الآخر، وفجأة ولسبب ما، يتصالحان ولو بعد حين، وهم يفسرون هذه الحالة بقولهم (الدم عمره ما بصير ميّ)، أي أن الدم لا يمكن أن يكون ماء، وحنين المرء ومشاعره لا يمكن أن تموت إلى الأبد، كما يقولون في هذا المجال: (الدم عمره ما بصير سمّ)[93].

([90]) علي ، ***المفصل*** ، ج5 ، ص 95 .
([91]) علي ، ***المفصل*** ، ص 62، 63
([92]) الباش ، و السهلي، ***المعتقدات*** ، ص 258
([93]) المرجع السابق، ص 256

كما أن الدم عندهم رمزٌ للخجل والحياء، ويظهر ذلك في حالة الخجل، وهم يخاطبون المرء الذي يرتكب المخازي، أو تحدثه نفسه بارتكابها، بقولهم:(خلّي عندك دم)، أو(خلّي عندك شوية دم)[94].

كما يعتبر الدم علامة للصحة والعافية،إذ(طفح) به خدّا المرء، وهم يصفون مثل هذا الشخص بقولهم:(الدم رايح ينط من وجهه)، أي يكاد الدم يقفز من وجهه من فرط صحته، وللدم عندهم حالات وصفات، فالمرء (دمه بارد)، إذا كان بليداً بطيء الحركة، لا مبالياً، وهو (دمه حامي) إذا كان في ريعان صباه، وفي عنفوان شبابه، و(دمه ثقيل) و(دمه زنخ) و(دمه ما يطيح من الغربال) إذا كان ثقيل الوطء، لا يطاق، و (دمه خفيف)، إذا كان مرحاً خفيف الظل، و(قاعد بلعب بدمّاته)، إذا دخل مداخل الهلاك، و(لقمته مغمسة بالدم)، إذا كان فقيراً يسعى وراء لقمة عيشه فيتعثر خلال ذلك ويصيبه الأذى والضرر باستمرار[95].

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني إذا جرح طفل، يمتص أصدقاؤه بعض النقط من دمه، وعن طريق الدم يمتلك الإنسان قليلاً من روح الطفل، ويصبح بذلك قريباً وحتى أخاً[96].

كذلك كان للدم حضوره الفاعل في طقوس الزواج عند قبائل كثيرة، من ذلك ما نجده عند قبيلة من قبائل بلوخستان، فقد كانت العروس التي تنتمي إلى الطبقة الشعبية الموسرة، تجلس في محفة على جمل، بينما يسير الزوج بجانبها ممتطياً حصاناً، وذلك حتى لا يسير كل منهما سيراً مجهداً على الأقدام، فإذا وصلا إلى بيت العروس تُذبح شاة عند العتبة، وتَعْبُر الزوجة فوق الدم المنسكب، بحيث يترك الدم علامة على أحد نعْلي حذائهما، ثم يؤخذ بعض الدم، ويوضع في فنجان، وتغمس فيه حزمة من الأعشاب، ثم تُدّهن أم العريس جبهة العروس بالدم، وهي تخطو فوق العتبة[97].

ويحدث مثل هذا في احتفالات الزواج في بعض مناطق سوريا، إذ تذبح شاة خارج باب البيت، وتَعْبُر العروس فوق الدم في أثناء انسكابه من الحيوان، ويبدو أن هذه العادة منتشرة بين اليونانيين والبروتستانتيين[98].

وفي مصر يَذْبح الأقباط[99] شاة عند دخول العروس بيت العريس، ويتحتم عليها أن تعبر فوق الدم المُنْسكب على العتبة عند مدخل البيت[100].

---

(94) المرجع السابق، ص258

(95) الباش، والسهلي، ***المعتقدات***، ص 258

(96) المرجع السابق، ص 257

(97) فريزر، ***الفلكلور***، ج2، ص 84 .

(98) المرجع السابق، ج2، ص 84 .

(99) الأقباط : هو الاسم الذي كان يطلق على سكان مصر قبل الفتح العربي ، وهم في الأغلب السكان الأصليون لمصر / الكيالي ، عبد الوهاب (د.ت). ***موسوعة***

كما كانت لدى بعض قبائل الجزائر طريقة خاصة لإتمام الزواج يلعب فيها ذبح جدي على عتبة بيت العروس دوراً حاسماً، ويسمى هذا الزواج بزواج الجدي، وعقد الزواج لدى هذه القبائل يصبح نهائياً بذبح جدي ينثر دمه على عتبة الباب، وطالما أن هذا الإجراء الشكلي لم يتخذ، فإن الزواج لا ينعقد، وبعد اتخاذه يصبح الزواج مكتملاً، ولو لم يتم الاتفاق على جميع شروط العقد، وكان الراغب في الزواج الذي رفض طلبه، أو غير قادر على توفير المهر المطلوب يدعو أصدقاءه لمعاونته في التغلب على هذه الصعوبة، فكانوا يقتربون من بيت الفتاة، مستعينين بأكبر قدر من التخفي، وفي صحبتهم جدي، وينتهزون لحظة مناسبة لكي يندفعوا إلى مدخل البيت، ويذبحوا الجدي، رغم الضربات والتوبيخ وبمجرد أن يسيل الدم على العتبة يعتبر الزواج قد انعقد[101].

وفي عادات الزواج الفلسطيني، يذبح جدي أو دجاجة أو زغاليل على مقدمة السيارة قبل أن تنزل منها العروس.

ولا ننسى في هذا السياق علاقة الدم بالولادة، فالمولود يأتي إلى الحياة مع تدفق الدم ويكون ملطخاً به، بل كانت بعض القبائل تلطّخ المولود بدم الشاة، لمنحه فرصة أطول في الحياة[102].

وفي مجال السحر يذكر أن تمائم الشرّ تُكْتب بالدم، وأحياناً تُكتب تمائم الحب بالدماء لا سيما دماء الطيور[103].

كما أن الأشياء التي يستخدمها الساحر في عمله كلها أشياء مقدسة أو تمائم، وتكون مشحونة بقوة عالية جداً، وكانت هذه الأشياء في الماضي تكتسب قوتها أو قدسيتها العالية من تلامسها مع دماء الأضحيات البشرية التي تحولت فيما بعد إلى أضحيات حيوانية تنحر من أجل أن تنتقل القوة المقدسة من دمائها إلى مادة التميمة[104].

السياسة. (د.ط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،ج1، ص 235 .وسيشار إليه : الكيالي ، موسوعة السياسة .

(100) فريزر ، ***الفلكلور***، ج2 ، ص 84 .

(101) زناتي، ***من طرائف العادات*** ، ص 157، 158

(102) أبو عون، أمل (2003). ***اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي***، شعر المعلقات نموذجاً (رسالة ماجستير غير منشورة)، بإشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص 17. وسيشار إليه : أبو عون ، اللون وأبعاده.

(103) يوسف، عمرو (د.ت). ***حقائق مثيرة عن السحر***. (د. ط)، المركز العربي للنشر والتوزيع، مصر، ص 29، 30، وسيشار إليه :يوسف، حقائق.

(104) الماجدي، خزعل (1998). ***بخور الآلهة***. ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان ، ص 48 ،وسيشار إليه :الماجدي ،بخور.

كما كان السحرة في اجتماعاتهم مع عمدتهم يذبحون الحيوانات، وينثرون دمها في الهواء، وكانوا يلطخون أنفسهم بهذا الدم، كما يقوم العمدة بذبح طفل بريء، ويرش دمه على السحرة وذلك لتعميدهم، وكانت الساحرات يكتبن العهد مع الشيطان بدم الحيض، والسحرة من الرجال يكتبونه بدم القرابين [105].

وفي مجال استخدام الدم في السحر، نجد أيضاً أن الشخص الذي يريق الدماء يكون قد أدى ما عليه من واجب، وفدى نفسه للآلهة، فهو لن يتعرض لبطشها، ويدلنا على ذلك أن الإله(يهوه) طلب من اليهود أن يميزوا بيوتهم بالدم(دماء الخرفان) كي لا يهلكوا مع المصريين[106].

وفي بعض أنحاء العالم يعتقد الناس أن الدم يكسب السحرة القدرة على إيذاء الآخرين، فالساحرة تعجز عن إيقاع الأذى إذا استطاع المرء أن يفصد قطرات دم من جسمها، وكانت النساء في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدن بأنه إذا وضعت امرأة بعض النقط من دمها في شراب لزوجها الذي يحبها، فإن حبه لها يتصاعد، وبالرغم من عدم منطقية هذه الممارسة إلا أنها تشير إلى اعتقادهم بأن هناك قوة سحرية تكمن في دم الإنسان[107].

كما دارت حول الدم مجموعة من الأفكار والطقوس والممارسات السحرية، منها انتشار عادة شربه عند بعض الشعوب، فنجد الأسرة تعطي دم الأب الذي يتميز بشجاعة فائقة لابنه، ليجعله في مثل شجاعة أبيه، كما يطعمون الطفل المريض الضعيف دم طفل آخر صحيح سليم البنية، ليكتسب نفس قوته وصحته، ويحرص الرجال في ساحة المعركة على شرب دماء الأبطال الذين يسقطون في القتال سواء من أصدقائهم أو أعدائهم، لكي يضيفوا إلى قوتهم قوة البطل الصريع وعظمته وشجاعته، ويحرص أبناء بعض قبائل سكان استراليا الأصلية على شرب دم محاربيهم الذين يتميزون بالشجاعة قبل خروجهم إلى المعركة[108].

وبالمثل يعمد أبناء بعض المجتمعات إلى أكل دم بعض الحيوانات ولحمها لكي تنقل خصائص تلك الحيوانات وقدراتها إلى الأفراد الذين

([105]) كـريم، سـيد(ينـاير، 1975). ***السـحر والسـحرة عنـد قـدماء المصـريين***، مجلـة الهـلال، ع1، ص 62. وسيشـار إليه : كريم ، السحر.

(106) إسـماعيل، فـاروق(1985). ***الوثنيـة مفـاهيم وممارسـات***. (د. ط)، دار المعرفـة الجامعيـة، الإسـكندرية، ص147، 148 ،وسيشار إليه :إسماعيل ،الوثنية .

(107) الباش، السهلي، ***المعتقدات*** ، ص 255

(108) الجوهري، ***علم الفولكلور***، ج2 570 .

يأكلونها، فقد كان الصيادون النرويجيون في الماضي يعمدون إلى شرب دم الدببة ليحصلوا على قوة الدب[109].

الاستنتاجات: .

(1)احتل الدم في حياة الأمم القديمة مكانة هامة ومقدسة وقد وظفوه بدلالات أسطورية على الصعيدين: الديني والاجتماعي. فعلى مستوى الصعيد الديني حاولوا إيجاد بُعْداً أسطورياً بين الدم وخلق الإنسان. فلعل البدائي لاحظ أن خروج الدم يؤدي إلى الموت فربط بين الحياة والدم وعده المادة الأولى للخلق. لذا نجد أن معظم الثقافات القديمة تكاد تُجمع أن الإنسان مخلوق من مادة حمراء هي دم الإله ، أو تربة حمراء اكتسبت حمتها من دم الإله ، أو هي خليط من التربة الحمراء ودم الإله الصريع .

(2) رافق تقديم القربان الإنسان منذ بدء التاريخ ، وهو طقس معروف عند الشعوب البدائية وما يزال قائماً في معتقداتنا العربية. فقد اعتقدت هذه الشعوب أن القربان /الدم هو أعظم هدية من الإنسان للآلهة ويوثق العهد الدموي بين الآلهة والبشر ،فكل شيء يتطهر بالدم وبدون سفك الدماء لا تحصل مغفرة. وقد كان استرضاء الآلهة بالدم منتشراً عند شعوب كثيرة لأنها كانت على ثقة راسخة أن هذه القرابين هي التي تساعد على استقرار نظام الكون وثباته. كما أن الإنسان يفتدي المجتمع ويحافظ على سلامة الجماعة وترفع عنه الخطايا.

(3) لما كان الدم يحوي الروح ، وهو مادة الحياة نفسها، لذا دخل الدم في كثير من طقوس القدماء ،جزءاً أساسياً منها. فقد اعتقد القدماء بوجود قوة حيوية بالدم ، فهو مسار الروح والطاقات الحيوية، وقد كان لهذه الطقوس أهمية كبيرة في دراسة تاريخ الفكر الإنساني القديم .

(4)أما في المجال الاجتماعي فقد وظف الدم في العادات والتقاليد بسبب إيمان معظم الشعوب البدائية أن الدم صانع الحياة ، لأن سكب الدم على شيء ما يكسبه صفة القوة والحيوية.لأنه يعطيه جزءاً من دم الإله، وهو جزء مبارك. ولم تختلف نظرة العرب الجاهليين إلى الدم عن غيرهم من الأمم القديمة بل كانت امتداداً لها، لذا كان له حضور كبير في عاداتهم وتقاليدهم، مما يؤكد اندماج الفكر العربي الجاهلي في الفكر الإنساني. ولا يزال للدم حضور كبير في بعض العادات والتقاليد في معظم الأوساط الشعبية في وقتنا الحاضر .

([109])المرجع السابق ، ج2 ، ص 571 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر :

(1)الألوسي ،محمود شكري(د.ت). ***بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب*** .عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2)البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بد ربه .(2000). ***صحيح البخاري***. ط1، در الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت.

(3)الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (1992). ***الحيوان***. تحقيق وشرح عبد السلام هارون، (د. ط)، دار الجيل، بيروت.

(4)أبو خازم ، بشر.(1960)***ديوانه***، تحقيق عزة حسن.(د. ط)،مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم،دمشق.

(4)الزبيدي، عمرو بن معدي كرب .(1985). ***شعره***، جمعه ونسّقه مطاع الطرابيشي، ط 2، شعره.

(5)شابيرو ،ماكس ؛هندريكس، وورودا (1999)***معجم الأساطير***.ترجمة حنا عبود (د.ط)، منشورات دار علاء الدين ، دمشق .

(6)الطبري، أبو جعفر محمود بن جرير.(1939). ***تاريخ الأمم والملوك***. راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء،(د. ط)، مطبعة الاستقامة،القاهرة.

(7)ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(1963).***عيون الأخبار***. (د. ط)، المؤسسة المصرية للطباعة، القاهرة .

(8)المبرد،محمد بن يزيد(د.ت).***الكامل في اللغة والأدب***.(د.ط)،مؤسسة المعارف، بيروت.

(9)المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(1989). ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***. تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي،ط1، دار القلم، بيروت.

(10)ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.(1990)***لسان العرب*** .ط1،دار صادر ،بيروت .

ثانياً: المراجع:

(1)أحمد، عبد الفتاح محمد.(1987). ***المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي***.ط 1، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان.

(2)إسماعيل، فاروق(1985).***الوثنية مفاهيم وممارسات***.(د. ط)، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية .

(3)الأصفهاني، الراغب.(1992)***مفردات ألفاظ القرآن***. ط1، دار القلم ، دمشق.

(4)البيديل، م.ف (2005). ***سحر الأساطير(دراسة في الأسطورة والتاريخ والحياة)***. ترجمة حسان ميخائيل إسحق، ط1، دار علاء الدين، دمشق.

(5)بارندر، جفري(1978)***المعتقدات الدينية لدى الشعوب***. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة عبد الفتاح مكاوي، (د. ط)، عالم المعرفة.

(6)الباش، حسن؛ السهلي، محمد (د.ت)***المعتقدات الشعبية***. (د.ط)، دار الجليل .دمشق.

(7)الباش، حسن(1988). ***الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي***. ط 1، دار الجليل، دمشق .

(8)تيبو، جاك روبيد.(2004)***موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية***. ط 1، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، (د.م)،(د.ن).

(9) الجوهري، محمد.(1980).***علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية)***. ط1، دار المعارف،القاهرة.
(10)حسن،حسين الحاج.(1998). ***الأسطورة عند العرب في الجاهلية***.(د.ط)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.
(11) حماد، حسين فهد (2003).***موسوعة الآثار التاريخية(حضارات ، شعوب ، مدن ، عصور ، حرف، لغات)***.(د.ط)، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن.
(12) الحوت، سليم(1955). ***في طريق الميثولوجيا عند العرب***.ط1،مطبعة دار الكتب،بيروت.
(13)الحوفي، أحمد محمد(د.ت). ***الحياة العربية من الشعر الجاهلي***. ط 4، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر.
(14) الزحيلي، وهبة.(1996). ***الفقه الإسلامي وأدلته***.(د.ط) ، دار الفكر ، دمشق .
(15)زناتي، محمود سلام.(1996). ***من طرائف العادات و غرائب المعتقدات***. (د. ط)، النسر الذهبي(د.م).
(16)سقال، ديزيره(1995)**.** ***العرب في العصر الجاهلي***. ط 1، دار الصداقة العربية، بيروت.
(17)سليم، أحمد أمين(1989)**.** ***دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم*** ، مصر،
(18)السواح، فراس(1996)**.** ***لغز عشتار (الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)***. ط 6، دار علاء الدين، دمشق.
(19)السواح، فراس(2001).**الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية**. ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق.
(20)السواح، فراس(2007).***مغامرة العقل الأولى ،دراسة في الأسطورة(سوريا ،أرض الرافدين)***.ط13، دار علاء الدين ، سوريا.
(21)أبو سويلم،أنور (1987).***دراسات في الشعر الجاهلي***.ط1، دار الجيل،بيروت.
(22)الشامي، رشاد.(2003). ***موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية***.(د.ط) ،المكتب العربي لتوزيع المطبوعات، مصر .
(23)الشواف، قاسم.**(2001). *ديوان الأساطير. سومر وأكاد آشور، الموت والبعث والحياة الأبدية***، ط1، دار الساقي،لبنان.
(24)الشوري، مصطفى عبد الشافي(1996). ***الشعر الجاهلي تفسير أسطوري***.ط1،الشركة العالمية للنشر،القاهرة.
(25)الشوك ، علي.(1999).***جولة في أقاليم اللغة والأسطورة*** .ط2، دار المدى للثقافة ،سوريا .
(26)ضيف،شوقي(2003). ***العصر الجاهلي***.ط24،دار المعارف،مصر.
(27)عبد الحليم ، نبيلة.(د. ت). ***معالم العصر التاريخي في العراق القديم*** .(د.ط) ، دار المعارف،مصر.
(28)عبد الصمد، محمد كامل(1995). ***عادات ومعتقدات في العصور القديمة***. ط 1، مكتبة الدار العربي للكتاب، القاهرة .
(29)عزيز، كارم محمود(1999).***أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم***. ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة،سوريا.

(30)علي، إبراهيم محمد (2001). ***اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)***.ط1، جروس برس ، لبنان .
(31)فريزر، جيمس(1957) ***تموز أو أدونيس (دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة)***. ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، (د. ط)، دار الصراع الفكري، بيروت.
(32)فريزر، جيمس(1976). ***الفلكلور في العهد القديم***.ترجمة نبيلة إبراهيم،(د.ط)الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر.
(33) كونتو، ج (1997). ***الحضارة الفينيقية*** . ترجمة د.عبد الهادي شعيرة، مراجعة د.طه حسين،(د. ط)،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.
(34)الكيالي، عبد الوهاب (د.ت)،***موسوعة السياسة*** .(د.ط)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت.
(35)الماجدي، خزعل(1998). ***المعتقدات الإغريقية***. ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع،عمان.
(36)الماجدي، خزعل(1998)،***بخور الآلهة***.ط 1،الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان.
(37)الميداني(1986). ***مجمع الأمثال (مختارات)***. تحقيق محمد علي قاسم،(د. ط)، مكتبة المعارف،بيروت.
(38)هيئة الموسوعة الفلسطينية.(1984). ***الموسوعة الفلسطينية*** . ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، دمشق.
(39)يوسف، عمرو(د.ت). ***حقائق مثيرة عن السحر***.(د. ط)، المركز العربي للنشر والتوزيع، مصر.

ثالثاً:الدوريات

(1)الديك، إحسان.(تموز ، 2011). ***النماذج البدئية في الأغنية الشعبية الفلسطينية، أغنية (بكرة العيد وبنعيد) نموذجاً***.مجلة جامعة النجاح للأبحاث،العلوم الإنسانية، نابلس، فلسطين، م24،ع7.
(2)كريم، سيد(1975). ***السحر والسحرة عند قدماء المصريين***. مجلة الهلال، ع1

رابعاً:الرسائل الجامعية

(1)أبو عون، أمل(2003). ***اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، شعر المعلقات نموذجاً (رسالة ماجستير غير منشورة)***،بإشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية،نابلس،فلسطين.

الحدث السياسي في شعر نازك الملائكة

قيس خزاعل [110]
الدكتور غلام رضا كريمى فرد[111]

الملخّص :

إنّ نازك الملائكة و هي بنت عائلة تربّت على المفاهيم الوطنية و الأدب و الثقافة لقد كانت تعتني بالأحداث السياسية التي شاهدها الشارع العراقي على الصعيد الداخلي و الخارجي آنذاك و قد لفتت انتباهَ نازك بشكل خاص أحداثٌ كثورة 14 تموز و اعتقال عبد السلام عارف و اعلان الوحدة العربية الثلاثية بزعامة جمال عبد الناصر، كما كانت تترصد نازكُ أحداث فلسطين و لها وقفة فكرية – ادبية مع نضال الشعب الجزائري و الفتاة الثورية جميلة بوحيرد في طرد الإستعمار الفرنسي.

أما الحدث السياسي الهام الذي تأثرت به نازك و تفاعلت معه و كتبت عنه اكثر من كل الأحداث هو الوحدة العربية الثلاثية التي أخذت حيّزاً كبيراً من فكر و شعر نازك بالنسبة للأمور الأخرى، فعبّرت عنه الشاعرة بكلمات تتقاطر لهفة و شوقاً و انتظاراً لحدوثه و فرحاً بمجيئه عند النهاية.

الكلمات الدليلية : نازك الملائكة، الحدث السياسي، الجمهورية، القومية

110- ماجستير في اللغة العربية و آدابها – جامعة شهيد تشمران بأهواز
ghkh79@yahoo.com
111 - استاذ مشارك في قسم اللغة العربية و آدابها- جامعة شهيد تشمران بأهواز
ghkarimifard@yahoo.com

Political positioning in poetry of Nazok Al-Malaekeh

Abstract

Nazok Al-Malaekeh was born in a family that was familiar with nationality, adoring fatherland, literature and humanism. She and her family had valorized toward Iraq and other Arab nations political events. Some events like revolution in 14 July 1958 and changing Iraq imperial administration to republic and after that arrest Abdolsalam Aref who was popular person between people of Iraq had specific affects on mind of Nazok Almalaeke and also expressed in her poetry. Nazok Al-Malaekeh paid her attention to political situation of Arab nations. She desired an association and confederation between them. She has been expressed "Ternate Arab Contract" in her poetry several times. "Ternate Arab Contract" means association between Iraq, Syria and Egypt. After that she has expressed her explicit position concerning Palestine. She has known Ternate Arab Contract a solution foe opposition to ***Imperialism*** and Israel. Nazok Almalaeke has considered war, effort and devotion of people of Aljazai**r** and then the revolutionist girl, Jamile Bohayrd. In her poetry, she has composed some about this liberal war.

Keywords: Nazok Al-Malaekeh , Nationality, Political positioning , Republicanism.

المقدمة :

ما هو مفهوم السياسة ؟ عرّفت " الموسوعةُالحرة " السياسةَ بأنها لغوياً مأخوذة من مادة « ساس ، يسوس » بمعنى قادَ و رأسَ، واصطلاحا هي تعني رعاية شؤون الدولة الداخلية والخارجية، وتُعرف إجرائياً بأنها دراسة السلطة التي تحدد من يحصل على ماذا و متى و كيف. وتعبّر السياسةُ عن عملية صنع قرارت ملزمة لكل المجتمع تتناول قيم مادية ومعنوية وترمز لمطالب وضغوط وتتم عن طريق تحقيق أهداف ضمن خطط أفراد وجماعات ومؤسسات ونخب حسب أيدولوجيا معينة على مستوى محلي أو إقليمي أو دولي. والسياسة هي علاقة بين حاكم ومحكوم وهي السلطة الأعلى في المجتمعات الإنسانية، حيث السلطة السياسية تعني القدرة على جعل المحكوم يعمل أو لا يعمل أشياء سواء أراد أو لم يرد. وتمتاز بأنها عامة وتحتكر وسائل الإكراه كالجيش والشرطة و تحظى بالشرعية. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)

فالسياسة حسب هذه التعاريف هي سارية في شتى نواحي حياتنا اليومية و لابد لنا من الخوض في قضايا تتعلق بها مهما أردنا تجنبها . وللسياسة علاقة وثيقة بالشعر و الأدب منذُ العصر الإسلامي و الأموي حيث ظهرت فيه الأحزاب و الكُتل السياسية المختلفة فكان لكل حزبٍ و طائفة سياسية شاعرها و مُلهمها، ثم نرى امتزاج السياسة بالأدب جلياً في العصور العباسية و ما بعدها إلى عصرنا الحاضر ، فطوال هذه الفترات الأدبية و التاريخية ظهر الشعر السياسي عند الشعراء و كان لهم دوراً هاماً في التأثير على الناس و الحكام و السياسة.

إنّ أحد شعرأء عصرنا أو بالأحرى إحدى شواعر هذا العصر التي تأثرت بالتيارات و الأحداث السياسية المعاصرة في العراق و خارجه، هي نازك صادق الملائكة الشاعرة الرائدة في الشعر الحر و المنظّرة لقواعده الأولية التي انعكست أحداث زمانها السياسية في شعرها و نحن في هذه المقالة بصدد دراسة تلك التطورات و الأحداث التي كانت حديث الساعة آنذاك ونريد أن نتقصى من خلال قصائد نازك، آراءَها و طريقةَتفاعلها مع كل حدثٍ سياسي أرّخت له الشاعرة في طيات دواوينها.

و الشاعرة نازك الملائكة التي ولدت سنة 1923 ببغداد في عائلة محبّة للأدب و الثقافة و معنية بما يجري من أمور سياسية في العراق و العالم العربي - و هي نفس السنة التي اندلعت فيها الثورة السورية ضد الإستعمار

الفرنسي - ككل شاعر ملتزم كتبت عن آلام شعبها و معاناته و تطرقت في شعرها الى أهم الأمور و القضايا السياسة.

يقال أنّ أباها صادق جعفر جواد الملائكة أسماها باسم " نازک " تيمناً باسم الثائرة السورية «نازک العابد» التي قادت المقاومة السورية ضد الإحتلال الفرنسي أيام ولادة نازک الملائكة، فانتسابها لعائلة الملائكة المعروفة باتجاهاتها السياسية و القومية كان يدفعها إلى التطلّع و العناية بالأمور السياسية في العراق و خارجه، فشهدت نازک تقلبات و أحداث سياسية كثيرة منذ نشأتها في تلک الأسرة كمقتل الملک غازي عام 1939 و حركة رشيد عالي الكيلاني عام 1941 و حرب فلسطين الأولى و خسارة العرب عام 1948 في تلک المعركة و قيام دولة اسرائيل . كما شهدت نازک حلف بغداد سنة 1955 و الذي رفضه العراقيون فيما بعد. كما مرَّ العراق آنذاک بثورة 14 تموز 1958 أالتي أرّخت لها نازک في ديوانها شجرة القمر بقصيدة تحمل عنوان « تحية للجمهورية العراقية».

فهي كانت معنيةً بهذه الأحداث كغيرها من شعراء تلک الفترة من تاريخ العراق مثل بدرشاكر السياب و عبد الوهاب البياتي و بلند الحيدري و محمد مهدي الجواهري و سعدي يوسف و لميعة عباس عمارة و حسين مردان و عبد الرزاق عبد الواحد .

أمّا في مجال الشعر و الأدب كانت نازک الملائكة هي الشاعرة الرائدة في الأدب المعاصر والتي كان لها التأثير الكبير على حركة الشعر و تطوره طوال العقود الماضية من القرن العشرين . و إن الدراسات التي كتبت عنها هي كثيرة ، کـ « العاطفة و الخيال» و «الإتجاه الإنساني » و « الألم في شعرنازک » و خصصت مجلة «نقد » الفصلية عددها الرابع سنة رحيل نازک (عام 2007) لدراساتٍ كُتبت حول شعر ها و ادبها لكنما لم يتطرق الكُتّاب و الباحثون إلى مواقف نازک السياسية و القومية في شعرها بشكل لائق حتى الآن ، على سبيل المثال لو نظرنا لدراسة عبدالرضا العلي في كتابه: « دراسة و مختارات» لوجدنا أنه لم يتطرق إلى هذا البعد الهام أي موقف نازک تجاه أحداث العراق والعالم السياسية آنذاک. كما تشير سلمى الجيوسي إلى خصائص شعر نازک الرئيسية قائلة : « و يتقلّبُ شعر نازک الملائكة بشكلٍ أخاذ بين اللوعة و النشوة ، بين الغضب و نبرة واقعية تكاد تكون فلسفية ». (الجيوسي، ص721) و جاء ايضاً في مجلة العلوم الإنسانية الدولية : لاريب أن الأبيات في ديوان نازک الملائكة تصطبغ بالرومانسية و ميزاتها و كانت متأثرة من الأدب الأوروبي إلى حد ما كما يُلقى عليها ضوء ضئيل من التفاؤل و لون غالبٌ من التشاؤم ..(علي نظري و علي عزيزي نيا و بروانه رضايي،ص126)

حتى في المقارنات التي كُتبت عن شعر نازک و الشاعرة الإيرانية «فروغ فرخزاد» لم يُذكر شيءٌ فيما يخص الإتجاه السياسي بشعر نازک كما أن السيدة « كبرى خسروي» التي تكلمت عن الأغراض الشعرية لدى نازک الملائكة ضمن رسالتها للماجستير – في جامعة الشهيد تشمران بأهواز(ايران) - و أتت على ذكر السياسة و موقف نازک منها في الشعر، لم تخصص فصلاً كاملاً في هذا الخصوص بل يكاد أن يكون ماكتبت بمثابة أشارات عابرة . لذلک نحن في هذه الدراسة الموجزة في صدد التبيين لهذه المواقف التي كانت بمثابة رسالة الشاعرة في حياتها الأدبية و بمثابة اهتمامها بإمور و أحداث وطنها و العالم الإسلامي آنذاک، لكي لا تبقى هذه الصفحة من حياتها الأدبية غير واضحة للجميع، فنكون بهذه قد ألقينا ضوءاً و لو كان ضئيلاً على الموضوع فمهّدنا الطريق للباحثين عن هذا الجانب من حياة و شعر الشاعرة الرائدة .

برغم ما يُقال عن النزعة الإنطوائية لدى نازک و برغم ما قالته هي بنفسها عن إنطوائيتها كمثل هذه الأبيات من قصيدتها **ثلج و نار**:« لا, لاتسأل..دعني صامتة منطويه / أترك أخباري وأناشيدي حيث هي/ أتركني أسئلة و رداً منزويه» لكننا حين نتصفّح ديوان نازک الملائكة نجدُ مواقفَها السياسية بارزة في عدد من قصائدها و هذا الأمر قد يكون مشهوداً سيما عند بداية القصائد التي تذكر الشاعرة شأن نزولها إن صحّ التعبير و سبب إنشاءها بإشارة قصيرة في أعلى الصفحة و هي تدلّ على موضوع الحدث السياسي و تاريخ ميلاد القصيدة . فالشاعرة في مواكبتها للأحداث التي كانت تقع على الصعيد السياسي في وطنها العراق والعالم العربي، إستطاعت أن تؤكد بذلك على أنها معنيةٌ بما يجري في العالم العربي من أحداث. فنظمت قصائد عن تلک الأحداث المأساوية التي تمثلت في الهزائم السياسية أو العسكرية كقضية فلسطين، والأحداث التي كانت تتعلق بالعراق و الوحدة العربية.

ونحن إخترنا في هذه الدراسة خمس مواقف سياسية - قومية لنازک الملائكة قد تقصيناها من خلال قراءتنا لديوانها ، فهي :

1- **موقف الشاعرة من ثورة 14 تموز عام1958 و تشكيل الجمهورية العراقية (قصيدة تحية للجمهورية العراقية)**
2- **موقف الشاعرة تجاه عبد السلام عارف (قصيدة : وردة لعبد السلام)**
3- **موقفها من قضية فلسطين و الوحدة العربية الثلاثية و اعلانها في عام 1963 (قصائد: حدود الرجاء ، ثلاث أغنيات، الوحدة العربية)**

4- موقف نازک من نضال الشعب الجزائري و تضحيات الفتاة الثورية جميلة بوحيرد ..(قصيدة: نحن و جميلة)
5- موقفها من أنور السادات و استسلامه للصهاينة.. (قصيدتا: الرقص على البارود، ثلاثيةٌ لعروسِ النيل)

***

اولاً: موقف الشاعرة من ثورة 14تموز عام1958 و تشكيل الجمهورية العراقية (قصيدة تحية للجمهورية العراقية)

كانت ثورة 14 تموز سنة 1958 حدثاً سياسياً هاماً أثّر بشكل كبير على تاريخ العراق السياسى المعاصر.. إذ فوجئت الدولة في هذا التاريخ بنهايتها السريعة على يد اللواء «عبدالكريم قاسم» بسيطرته على العاصمة بغداد و قوّض فيه الحكم الملكي و لاقى الملک "فيصل الثانى " و جميع افراد الاسرة المالكة فى بغداد صباح يوم 14 تموز حتفهم في ثورة متفجرة، و اعتُقل الوزراء الفدراليون و العراقيون ما عدا نوري السعيد الذي اكتشف بعد بضعة أيام متنكراً بزي امرأة وقُتل . فكتبت عن هذا الحدث نازک الملائكة قصيدَتها المعروفة باسم «تحية للجمهورية العراقية» مشيرة لانبثاق النور على ارض الوطن الذي عانى اضطهاد و عبودية العهد الملكي، ألا و هو في مثل هذا اليوم قد دخل مرحلتـهُ الجديدة من الحياة و الفرحُ فيه كأنه :

«فرحُ الأيتامِ بضمّة حُبٍ أبويّه
فرحةُ عطشانٍ ذاقَ الماءِ
فرحة تموزَ بلمسِ نسائمَ ثلجيّه
فرحُ الظلماتِ بنبع ضياءٍ
فرحتنا بالجمهوريّه» (نازک الملائكة،ج2،ص445)

في المقطع الاول تفتتح الشاعرةُ قصيدَتها بذكر الفرح الغامر و تعبّر عنه بالإرتواء و لمسة النسائم الثلجية التي تمرّ على تموّز و هو - حسب الأساطير البابلية القديمة- رمزٌ لإعادة الحياة و الخصوبة والنماء لجسد الطبيعة .كما إنها تشير بذلک إلى زمن وقوع الحدث و هو شهر تموز الحار من سنة 1958م .

بعد الإتيان بكل تلک الصور التي ترسم بها الفرح و السرور تقول الشاعرة : «فرحتُنا بالجمهورية» وهذه الجملة بمثابة خبرٍ لتلک المبتدآت و كأنّ الشاعرة تتلذذُ في إسهابها عند وصف الجمهورية الحبيبة.. و تخلق بذلک تعبيراً لم نرى أحد من الشعراء استخدمه من ذي قبل بهذه الجرأة و الصراحة في شعره .فعدد تكرار لفظة « الجمهورية » الذي وصل الى الأربعة عشر - مع الذي ذُكر في عنوان القصيدة - يدلُّ على أهمية هذا

المفهوم الجديد آنذاك لدى العراقيين عامةً و لدى نازک الملائكة خاصةً ، فهي التي كانت تترقب الأمور و الأحداث السياسية بدقة و تخشى سيطرة البعثيين و الأمبرياليين على نظام الحكم فالآن و قد نجحت الثورة على يد الناس و قائدها عبدالكريم قاسم فتبددت المخاوف نسبياً .

فهذه الجمهورية المنتظَرة المترقَّبَة التي قالت عنها نازک « **نحنُ نترقبها زمناً من دون كلال** » و هي التي « **كانت حُلماً ضاعَ إلى زرقته الباب** » و أيضاً « **كانت أشواقاً مشبوبة / يحجبها غيمٌ و ضبابُ** » لكن و في النهاية و بعد كل الغموض قد أتت إلى العراق: « **و أخيراً نحنُ لمسناها / بأكُفٍ راعشةٍ فرحاً و ملكناها** » تُحدّثنا الشاعرةُ عن اجتناء ثمرة الجمهورية بلهفٍ يغمرُ قلبها كما يغمرُ كلَّ العبارات في القصيدة، حتى انها تمنح الجمهورية مفهوماً و وجوداً أسطورياً مقدساً و كأنها هدية مُهداة من الآلهة البابلية القديمة :

جمهوريتنا وردتنا النشوى العطرة
أهداها تموزُ الطيب
أعطاها لرؤانا، لرُبانا المنتظره
للوادي العطشان المُجدِب (نفس المصدر، ص448)

و تموز هنا ما هو الا اشارة إلى تاريخ ذاک الحدث السياسي المنتظَر الواقع في 14 تموز 1958 كما أنه بمثابة رمز و إيحاء للأسطورة البابلية القديمة و هنا المقصود في التورية هو تموز الإله كما هو واضح من القرائن و الإشارات الواردة في الأشطر التالية من القصيدة:

وردتنا البيضاء الغَضّه
تغمرنا ثلجاً في تموز و حريه
تعطينا عطراً و سلاماً و رؤىً بَضّه
تبعثنا أغنيةً حيّه
تحيا تحيا الجمهوريه . (نفس المصدر،ص448)

كما أننا نشاهدُ الموقف السياسي المناهض للإستعمار عند الشاعرة حيثُ تقول في مقطع آخر من القصيدة :

في أظلعنا يا وَردتنا الجمهورية
في أعيننا نامي فلصوص الورد كثار
أعداء العطر العابق، تجار الأزهار (نفس المصدر، ص449)

فالشاعرة تُشيرُ إلى لصوص الجمهورية الذين طالما استعبدوا عقول الناس و نهبوا ثروات الوطن و خيراته، هؤلاء الخانعون للأمبريالية الذين يُتاجرون بأرواح البشر و يقمعون الحريات .

أيقَظَ عطرُكِ فيهم أشواقاً ذئبية
السوقُ صحا يا وردُ حذار
من نقمتهِ الصهيونيه
و مخالبهِ الأمريكيه (نفس المصدر،ص449)

السوق صحا، سوق الذئاب و الإنتهازيين من داخل العراق و خارجه، فالموقف السياسي القومي يدفع الشاعرة لمناهضة هذا السوق و الإستعمار و الصهيونية و يبرزُ نفسه صريحاً في هذه العبارات الجريئة. فتحذرُ الشاعرة من وقع الجمهورية بأيدي الأعداء الذين توصفهم بالذئاب مرة و باللصوص تارة أخرى :

جمهوريتُنا، وردتُنا، لن نعطيها
إنا قد ذُقنا سكرَها بعد الحرمان
هل نُسلمُها للصّ الآن؟
جمهوريتَنا عشتِ سلمتِ من الطغيان
إنّا و البعثَ على موعِد . (نفس المصدر،ص450)

فلقد كانت ثورة 14 تموز ثورةً وطنيةً خالصة و كان تحرير العراق من الهيمنة الإمبرالية من أهدافها الرئيسية كما كانت تسعى لإستعادة ثروات البلاد النفطية من شركات النفط الإحتكارية و استغلالها وطنياً و ايضاً كانت تسعى للتخلص من **حلف بغداد**[112] المفروض على العراق و بعض الدول في

---

[112]- **حلف بغداد** : هو أحد الأحلاف التي شهدتها حقبة الحرب الباردة، حيث تم إنشاؤه عام 1955 للوقوف بوجه المد الشيوعي في الشرق الأوسط، وكان يتكون إلى جانب المملكة المتحدة من العراق وتركيا وإيران وباكستان. فالولايات المتحدة الأمريكية هي صاحبة فكرة إنشاء هذا الحلف حيث وعدت بتقديم العون الاقتصادي والعسكري للأعضاء، ولكنها لم تشارك فيه بشكل مباشر وإنما وكلت بريطانيا بالقيام به. انضم العراق لهذا الحلف بعد القمة العربية التي جرى الاتفاق بموجبه على معاهدة الضمان الاجتماعي.يعتبر الحلف أحد أقل الأحلاف نجاحاً في فترة الحرب الباردة، حيث انسحب العراق من الحلف إبان إعلان ثورة 14 تموز/يوليو 1958 بقيادة عبد الكريم قاسم والتي انقلب فيها على النظام الملكي وأعلن الجمهورية العراقية وقد كان لنوري السعيد دور كبير في إنشاء هذا الحلف، وقد تبنى عبد الكريم قاسم سياسة محايدة وأقام علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي و انسحب من الحلف. (http://ar.wikipedia.org)

المنطقة من قِبَل أمريكا و بريطانيا . فهذه المبادئ و الأهداف تكون بارزة في شعر نازك الملائكة و مواقفها الدقيقة الواعية من سياسة العراق آنذاك .

ثانياً : موقف الشاعرة تجاه عبد السلام عارف (قصيدة : وردة لعبد السلام فذلكة تاريخية عن سقوط الملكية و قيام الجمهورية (من 1958 إلى 1966م)

قاد الجيش العراقي بقيادة عبد الكريم قاسم انقلابا ضد الملك في 14 يوليو/ تموز 1958، وقتل الملك فيصل الثاني وخاله عبد الأله ورئيس الوزراء نوري السعيد، وأعلنت الجمهورية برئاسة محمد نجيب الربيعي، واحتفظ عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء بصلاحيات واسعة في إدارة البلاد. كما أنسحب العراق من حلف بغداد والاتحاد مع الأردن سنة 1959، وفي سنة 1960 أعلن العراق بعد انسحاب بريطانيا من الكويت عن تبعية الأخيرة له، وقاد حزب البعث انقلابا على عبد الكريم قاسم في 8 فبراير/ شباط 1963، وأصبح عبد السلام عارف الذي لم يكن بعثياً رئيساً للعراق، وتولى عبد الرحمن عارف -أخو الرئيس السابق- الرئاسة بعد موت عبد السلام سنة 1966.

في بداية الثورة اختلف الساسة العراقيون في أدارة الحكم و عندما احتدم الصراع في تشرين الثاني من عام 1958 بين عبد الكريم قاسم و نائبه عبدالسلام عارف قد أدى ذلك الى سجن عبدالسلام عارف بتهمة التآمر فانقسم العراقيون آنذاك الى فريقين: «فريق في الحكم يقوده قاسم و يؤيده الشيوعيون و يرغب في الإبقاء على العراق كياناً سياسياً مستقلاً، و الثاني في المعارضة ينظر إلى عارف زعيماً له و يؤيده بصورة خاصة حزبُ البعث و يرغب في نوعٍ من الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ..» (بلاطة،ص140)

و كانت نازك في الصف الثاني المؤيد لعبد السلام عارف و هذا الموقف دفعها الى كتابة قصيدتها(وردة لعبد السلام) في مساء اليوم الذي أُعلن فيه اعتقاله بتهمة التآمر سنة 1958م.

في جداولنا في شفاه روابينا ريبةٌ و ظلام
و سؤالٌ تحرَّق ملءَ أغانينا : أينَ عبدُ السلام؟
والعروبةُ تسألُ : أينَ أضعناهُ؟ صوتها محزونُ
هل نقولُ لها إننا قد رميناهُ في ظلام السجون؟
يا نصير العروبة و الحقّ و الوحدة يا عدوّ الظلام .

الموقف الحزبي واضح تجاه السياسة من خلال الكلمات لأن نازك كانت ترى في عبدالسلام عارف «نصير العروبة و الحقّ و الوحدة» و هو في نظرها « عدو الظلام» أي نداً لعبد الكريم قاسم و حزبة ذي الأتجاهات الشيوعية .

ثالثاً : موقفها من قضية فلسطين و الوحدة العربية الثلاثية و اعلانها في عام1963 (قصائد: حدود الرجاء ، ثلاث أغنيات، الوحدة العربية)
بناء الدولة الاتحادية و اختصاصاتها

التقت في القاهرة الوفود الممثلة للجمهورية العربية المتحدة (دول مصر و سورية و العراق)و امتثالاً لإرادة الشعب العربي في الأقطار الثلاثة وفي الوطن العربي الكبير بدأت المباحثات الأخوية بين الوفود الثلاثة يوم السبت السادس من شهر أبريل (نيسان) وانتهت يوم الأربعاء السادس عشر من شهر أبريل (نيسان) سنة 1963. لقد استلهمت الوفود في كل مباحثاتها الإيمان بأن الوحدة العربية هدف حتمي، يستمد مقوماته من وحدة اللغة التي تحمل الثقافة والفكر، ووحدة التاريخ التي تصنع الوجدان والضمير ووحدة الكفاح الشعبي التي تقرر وتحدد المصير، ووحدة القيم الروحية والإنسانية النابعة من رسالات السماء ووحدة المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية القائمة على الحرية والاشتراكية، ثم أعلنت هذه الوحدة الثلاثية في 17 نيسان عام1963.

وقد تم الاتفاق على المبادئ الرئيسية التالية:

1 ـ أن تقوم دولة اتحادية باسم (الجمهورية العربية المتحدة) على أساس الاتحاد الحر بين كل من مصر وسوريا والعراق وتكون أسماء الأعضاء بالدولة الاتحادية القطر المصري والقطر السوري والقطر العراقي.

2 ـ أن يكون لكل جمهورية عربية مستقلة تؤمن بمبادئ الحرية والاشتراكية والوحدة الحق في أن تنضم إلى هذه الدولة بإرادة شعبية حرة ويتم الانضمام بعد موافقة السلطة الدستورية في الدولة الاتحادية.

3 ـ أن تكون السيادة الدولية الكاملة للدولة الاتحادية.

4 ـ أن يكون لمواطني الدولة الاتحادية جنسية واحدة هي الجنسية العربية يتمتع بها كل من يتمتع وقت قيام الدولة بجنسية الأقطار الأعضاء وتنظم أحكامها بقانون اتحادي.

5 ـ أن تكون السيادة في الدولة الاتحادية للشعب يمارسها طبقاً للدستور.

6 ـ أن يكون الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية.

7 ـ أن يكون علم الدولة، علم الجمهورية العربية المتحدة الحالي وفيه ثلاث نجوم بدلاً من نجمتين وتزاد نجمة كلما انضمت دولة إلى الدولة الاتحادية.
8 ـ أن تكون عاصمة الدولة القاهرة.[113] المجلة الإلكترونية
(/ http://www.iraqja.iq/view.91)

كتبت نازک عام 1963 قصيدتها « حدود الرجاء » عن الوحدة الثلاثية و أشارت إلى اقتراب هذا الحدث و الحلف السياسي العربي في أعلى صفحة القصيدة قائلةً : « في انتظار إعلان الوحدة الثلاثية » .

كنا نراها في ضباب الكرى
ملفوفةَ الهيكل بالمستجيل
كنا شفاهاً عطشت و التظَت
وكان مَرآها يُرَوّي الغليل (نازک الملائكة، ج2 ، ص 513)

كلما اقترب الوقت من اعلان الوحدة العربي ازداد تلهّف الناس و الشاعرة إلى هذا الحدث السياسي التاريخي ونازک التي بَدَت في هذه الفترة اكثر قوميةً وعروبية أرّخت لهذا الحلف السياسي بقصائد مختلفة وعبرت عن شوقها و عطشها بأبيات كثيرة فتقول:

كنا مـلايينَ نُعاني اللّظى
و ظلُّها فوقَ مُنانا ظلـيل
وكانتِ الأحلامُ تُلقِي بنـا
في كلِّ فجرٍ فوق صَحوٍ ثقيل
الوحدةُ الكبرَى شَدَونا بهـا
ونحـنُ في المهدِ صغارُ المنى
وكم بَنينا صَرحها المشتَهَى
على تـلالِ الرّملِ في أمسِنا (نفس المصدر، ص 513و 514)

كم تبدو الوحدة العربية مهمة في نظر الشاعرة فهذا الموقف السياسي الحاد والحساسية الشديدة تجاه قضية الوحدة الثلاثية قد ينبع من موقف آخر للشاعرة ألا و هوقضية فلسطين المحتلة من قبل اسرائيل التي ذكرتها نازک

---

[113] ـ « و لكن مباحثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق عام1963 م . فشلت فيما بعد لعدم وجود ثقة متبادلة بين عبد الناصر وحزب البعث لأن عبد الناصر أدرک ان حزب البعث في كل من سوريا والعراق يحاول كسب مزيد من الوقت لاقصاء الناصريين في كلا البلدين من أية مناصب قيادية». المجلة الإلكترونية (http://www.marefa.org)

كثيراً في ديوانها وشبهتها بقلب النسر العربي المطعون برمح اسرائيل كما جاء في أغنيتها الثالثة من قصيدتها « ثلاث أغنيات عربية » .
إذن الوحدة العربية في رأى نازک هي بالغة الأهمية بحيث:

من دونها ضِعنا فلا زَهرةُ
توقِظُها أشذاؤها السارية
لانَغَمٌ يُسعِدُ أرواحنا
لانَهرَ يروينا ولا ساقية
لانخلةٌ تضحكُ في أرضنا
لا زارعٌ يُنشِدُ لا راعيه
جَفّت أراضينا و أشجارنا
وارتحلَت أطيارنا باكية (نفس المصدر، ص 515و516)

فاليوم (عام 1963) حان وقتها و قاربت الأمة العربية حدود الرجاء فهذه القصيدة كتبت إبان اعلان الوحدة لذلک نجدها مليئة بصور البحث عن المفقود و الرجاء والتمني والتلهف إلى المطلوب:

واليومَ حانَ الفجر يا أمّتي
فنحنُ قارَبنا حدود الرّجاء
الوحدةُ الكبرى دنا ركبُها
منّا فيا بُشرَى الشِفاه الظِماء
يا فرحة السارينَ تحت الدُجى
قد لاحتِ الدارُ وحانَ اللقاء (نفس المصدر ، ص 517)

قصيدة الوحدة العربية

تأتي القصيدة التالية في ديوان نازک مباشرة بعد قصيدة حدود الرجاء التي ذكرناها في السطور الآنفة و مضمونها يبدو جلياً من عنوانها(**الوحدة العربية**) وتاريخها المذكور أعلى الصفحة على هذه الصورة «**عند إعلان ميثاق الوحدة الثلاثية من القاهرة في17نيسان 1963**» فتبدأ بهذا المطلع والمقطع الجميل منادية ً البيد و الصحارى الأبية والأمة بها:

يا صميم الدُجى الذي أسدلَ السِتـ
ـرَ على بيدِنا الرِحابِ النقيّه
يا جراحَ التقسيمِ ، يا عارَ إسرا
ئيلَ في جبهة الصَحَارى الأبية
يا مسيلَ الدماء من عُنُقِ المو
صلِ باسم السلامِ والحُريّه

يا صُراخَ الجنوبِ من أرضنا المشـ
ـبعةِ الرّملِ بالدماءِ الشذيّـه
يا سنينـاً مقتولةً في ثَرَى تا
ريخِنا لم تَزَل رؤاهـا طريّه
يامُنى أمّتي جميعاً، ويا آ
مـالها يا أحلامَها المَطويّه(نفس المصدر ، ص 518و519)

ثم عبرت عن اتحاد الدول الثلاثة (عراق و مصر و سوريه) بذكر ثلاثة أنهر يقع كل منها في بلاد:
حُـزَمٌ من سعادةٍ و ضياءٍ
دَفَقَت في الديَاجـر الغَيهبيّه
طوتِ النيلَ و احتوت بَرَدَى و احـ
ـتَضنَت دجلةً بكفّ نديّه (نفس المصدر ، ص 519)

فالسعادة ضمت هذه الأنهر الثلاثة عن طريق الوحدة العربية التي اعلن ميثاقها في 17 نيسان 1963 م. فـ :
إنّها ساعة المدى أعلنت دقّـ
ـاتُها فجرَ أمّـي العـربيّة (نفس المصدر، ص 519)

فكم تتلذّذ الشاعرة بذكر الوحدة حتى أنها تذكر وقت اعلانها و هو صباح 17 نيسان إذ تقول:
في سكونِ الصباح جلجلتِ السا
عـةُ مِـلءَ المهامِهِ السمراءِ
تُعلن الوحدةَ الكبيرةَ ضوءاً
و سلاماً في ليلةٍ لَيـلاءِ
واستفاقت بغدادُ نشوى تُغنّـي
وهي تَسقي ورودَ أجملِ فَجرِ
خَفَقَت في سمائها رايةُ الوحـ
ـدةِ يا لَلحُلمِ الجميلِ النَضرِ (نفس المصدر ، ص 521-522)
ثمّ تُشير إلى الراية المُشتركة المثلة الأنجم التي اتفق على شكلها الدول الثلاثة :
أنّه الصبحُ جـاء فاستقبلتهُ
في أشدِّ اعتناقَةٍ و أحَرّ

جاء بالراية المثلّثةِ الأنـ
ـجمِ يمحو عارَ السنينِ الحُمر

وهي في البيت الثاني تشير إلى هيمنة الشيوعيين (الحمر) كما قد تكون الإشارة باللون الأحمر إلى بطشهم و إراقة دماء الأبرياء على أيدي هولاء الشيوعيين لأنها تقول في الأبيات التالية:

وبيمناهُ وردةٌ بَضّـةُ الملـ
ـمسِ ريّا البياض نَشوى العِطر
هي مِنـهُ تحيّيٌ للذينَ اسـ
ـتُشهدوا أمسِ في إباءٍ و كِبرِ
ايهِ بغدادُ أيقظي كلّ من ما
تَ شهيداً على نشيدِ النَصرِ (نفس المصدر ص 522و523)

حيث الضمير في « بيمناه » و « منه» يرجع إلى الصبح المذكور في الأبيات السابقة و هو أصبحَ عند الشعراء الطليعيين رمزاً يدل على الإنتصار ونهاية الليل و الهوان وفي البيت الأخير من هذا المقطع تقول نازک :

طلع الفجرُ من وراءِ الدياجي
يا عيونَ الشهيد نامي وقَرّي (نفس المصدر، ص 523)

بعد ذلک تستمر نازک في ذكر هذا الحدث السياسي مشبهةً ايّاه بالفجر الذي أطلعته كفّا جمال عبدالناصر في الأفق :

فجرنا لاحَ أبيضاً عربياً
أطلعتهُ في الأفق كفّا (جمال)
ناصر الحقّ و العروبة أحيى
كل حُـلمٍ مقطّعِ الأوصالِ
لم شمل الرمال في أرضنا السمـ
ـراء بعد التمزيق و الإذلالِ
ثمّ أهدى ديارَنا الوحدةَ الكبـ
ـرى فموجي يا أرضَنا و أختالي (نفس المصدر ، ص524-525)

***

أما الشاعرة في « ثلاث اغنيات عربية » تبدأ قصيدتها بإقتباس من كلمات أغنية ثورية شعبية كانت تذاع زمن رئاسة جمال عبد الناصر تحث الناس على العمل الثوري و وجوب تحرير فلسطين و هي للشاعر المصري **حسين السيد** (1916-1985) حيث تبدأالأغنية الشعبية بـ« دقّت ساعة العمل الثوري / تعلن زحف الوطن العربي بطريقه الجبار » فنرى هذا التناص

الثوري - السياسي في بداية القصيدة أو كما تسميها نازك« الأغنية » الأولى بعنوان « الساعة » :

دقّت الساعة في أرض بلادي العربيّة
جلجلت ، ضجّت ، و دوّت ملءَ و ديانٍ قصيّه
غلغلت عبر بساتين النخيل العنبريّة
و تلوّت في صحارٍ رَسَخَت كالأبديّة (نفس المصدر ، ص 492)

تشير إلى مختلف الدول العربية بتعبيرها الجميل « وديانٍ قصيّة » ونرى هنا الرموز الطبيعية لبلاد العرب؛ كبساتين النخيل والصحاري و البيد و الرمال ، مما تؤكّد انتماء نازك القومي أو العروبي.
أما في المقطع الثالث تبدأ الشاعرة بخطاب الملايين :

إنّه الفجرُ فهُبّي يا مـلايينُ و موجي
إحملي أغنية الصَحو إلى خُضر المروجِ
و وعوداً مورقاتٍ عربيات الأريجِ
نبضت بين المحيط المُترامي و الخليجِ (نفس المصدر، ص 492)

إنه الفجر ، رمز الأمل و انبثاق النور و التجدد كأنما الخطاب مُوَجَّـهٌ من قِبل زعيمٍ ما إلى شعبه و ليس بكلام شاعر أو أديب.

أما في الأغنية أو القصيدة الثانية بعنوان « اللصوص » تحذّر الشاعرة من غدر اللصوص كدأبها المعتاد في قصائدها السابقة عن الجمهورية ، إذ تبدو نبرة الخطاب و التحذير مرة أخرى للإنسان العربي الذي تريد القوى المسيطرة على العالم أن تسرق خيرات بلاده وهم مقبلون إليه « من وراء البحار »على حد تعبير الشاعرةِ :

إنّه الليلُ كلُّ الحدود غرقت في مَدَى غيـهبِـه
بدياجيهِ لفَّ الوجود أيّهـا العربيّ انتبه
رَحباتُ المَدى النائيات زخرت بخطَى الأعداء
من وراءِ ضفافِ الفرات والخليجِ إلى صنعاء
و لصوصٌ هناكَ كثار كلّـهم جَشَع و خداع
أقبلوا من وراءِ البحار يسرقون طعام الجياع (نازك الملائكة، ج2، ص 494- 495)

مَن هُم الأعداء في « رحبات المدى النائيات » و « وراء ضفاف الفرات والخليج إلى الصنعاء » ؟ طبعاً إنهم الغزاة و الساسة الإمريكان و الصهاينة الذين سبق و ذكرتهم الشاعرة في موقفها السياسي من ثورة 14 تموز عام 1958حيث قالت: السّوق صَحَا يا وردُ حَذَار
من نقمتـِهِ الصهيونيَّة

و مخالبِهِ الأمريكيّة

فهذه الدّقة و الوجل السياسي و الحساسية البالغة كلها من دأب نازک لأنها كانت معنيةً تماماً بالأحداث السياسية التي تجري في العراق خاصة و على الصعيد العربي عامةً و هذه الكلمات خيرُ دليل على اهمية الوعي السياسي في وجهة نظر نازک لمقابلة الخطر الصهيوني و الإمبرياني آنذاک.

تقول في مقاطع أخرى من قصيدة اللصوص :

نزلوا أرضَک السمراء يسرقون الجنى والتمور
يأخذون الثَّرَى والهواء يخطفون النَدَى والنور
يسلبونکَ لو يقدرون خضرةَ الشَجَر المتسِم
يخنقونَ الأغاني الحنون يمنعونَ الكَرَى و الحُلم
انّهم يقطعون الطُرُق ويُسدّون كلّ سبيل
فاستفق من كَرَاک استفق أيّها العربي النبيل (نفس المصدر ، ص 495)

فالإشارات إلى سرقة المواهب الطبيعية و ثمار البلاد العربية تستمر وتتكرر في هذه المقاطع أيضاً كما نرى الحثَّ على الإستيقاظ من نوم الغفلة، مشهوداً في طيّات المقطع.

أما الأغنية الثالثة التي تشير إلى موقف نازک تجاه قضية فلسطين تصور لنا نسراً مطعوناً في قلبه ألا و هو ذاک النسر أو رمزُ القوة لدى العرب و فلسطين هي بمثابة قلب النسر أى قلب الوطن العربي كله .

حيثُ النخيلُ الساموقُ المزدهي
حيثُ الصحارى المُحرقِات الرّمال
حيثُ الينابيـعُ و كاسـاتُها
تقطرُ شهداً و تغذّي التلال
وحيثُ أغنيّـاتُ أنهـارنا
تشدو بها شِفاهُ ريحِ الشِـمال
هناکَ ألقـى طـائرٌ ظلّـهُ
ضخماً ، إلهيـّاً تحدّى ألمحـَال (نفس المصدر ، ص 496)

القصيدة الثالثة بعنوانها « النسر المطعون » تكاد تكون قصة أو خرافة جميلة حيث اسلوب الوصف و ترتيب الصور هو قريب من طريقة السرد الذي يأتي به القاص والروائي في قالب القصة و النص النثري.. و الإتيان بكلمة حيث في بدايات الأبيات الثلاثة الأولى يؤكد هذا المعنى للترتيب و التمهيد القصصي .

في قلبه النابض قـد أغمدوا

رمحاً غليظَ الخدِّ خشنَ الشّفاه
من صدره الحرّ يغذّي الثـرَى
والوردُ يستنبتـُهُ من دمـاه
يا رمحَ إسرائيلَ مهما ارتوى
من جنحـِهِ من روحهِ من مُنَاه
يبقى ثَرَانا عربيّ الشذَى
والضوءِ ، يبقى عربيّ المياه (نفس المصدر ، ص 497-498)

فهنا تندّدُ الشاعرة بإسرائيل لاحتلالها قلب الأمة العربية فلسطين و إذا رجعنا الى بداية القصيدة أي الأغنية الأولى « الساعة » حيث رددت الشاعرة كلام عبدالناصر عن ساعة العمل الثوري سنعرف أنّ سبب للإتيان بتلك المقدمة هو الوصول إلى هذه النتائج أي التحريض على النهوض في وجه اسرائيل و التنبّـأ و التمنى بإسترجاع فلسطين و محو دولة إسرائيل من الأرض .

يافـا وحيفا في غـدٍ نلتقي
فنحن والضوءُ على مـوعدِ
تبقى فلسطينُ لنـا نغمةً
قدسيـّةً على فمِ المـُنشِدِ
و نسرُنا الشامخُ لـن ينثني
أمـام بابِ الزمنِ الموصَدِ
غداً فلسطينُ لنـا كلّهـا
كأنَّ إسرائيلَ لم توجَدِ

رابعاً : موقف نازك من نضال الشعب الجزائري و تضحيات الفتاة الثورية جميلة بوحيرد ..(قصيدة: نحن و جميلة)

الثورة الجزائرية أو ثورة المليون شهيد، اندلعت في 1 نوفمبر 1954 ضد المستعمر الفرنسي ودامت 7 سنوات ونصف. استشهد فيها أكثر من مليون ونصف مليون جزائري. وقامت الثورة بقيادة جبهة التحرير الوطني الجزائرية ونجحت الثورة في تحقيق أهم أهدافها بحصول الجزائر على إستقلاله في 5 يوليو 1962 . المجلة الإلكترونية http://www.marefa.orgو أشارت نازك الملائكة إلى الشهداء الجزائريين و أشادت بثورنهم من أجل تحقيق الحرية و الإستقلال قائلة :

يا سنينا مقتولة في ثرى تا
ريخنا لم تزل رؤاها طريـّه

يا قبوراً تضمُّ قتلى عطاشاً
فوقَ أرضِ الجزائر العبقريّه (نفس المصدر ، ص 519)

و بعد اعتقال المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد عام 1956، على يد سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر، بقى ملايين العرب طيلة أسابيع وشهور وسنوات في الشارع. ترك المواطن العربي كل شيء وتفرغ لقضية جميلة، التى تحولت إلى رمز للنضال والتضحية، وحظيت باحترام وحب ملايين العرب، الذين سارع كثيرون منهم إلى إطلاق اسمها على وليداتهم، ووضعوا صورها فى بيوتهم، وجعلوها أعز قضاياهم، فكان تفاعلهم معها انتسابا وجدانيا إلى وحدة العرب وثورة الجزائر، ومارس ضغطا يوميا على حكوماتهم، التى وجدت نفسها مجبرة على دعم قضيتها ماديا ومعنويا وعلى حملها إلى المحافل الدولية .

أما نازك الملائكة فكيف تعاملت مع قضية جميلة بوحيرد ؟ هل وظّفت شخصيتها توضيفاً رمزياً لتعبر بها عن الثورة و المقاومة ضد المستعمرين كما فعل سائر الشعراء في الأدب المعاصر (مثل السياب في قصيدته المعروفة «رسالة من مقبرة »

في هذه القصيدة التي أسمتها الشاعرة « **نحن و جميلة** » لم تتخذ من شخصية الثائرة الجزائرية رمزاً و إنما بدأت تخاطبها كسجينة لاحول لها و لاقوة امام بطش العدو المستعمر، فنرى جميلة هنا ليست رمزاً أو نموذجاً عالياً لا يُقهر و لا يضعف بل انها تملك ملامحاً طفولية و الشاعرة قد تتعاطف مع حالتها البئيسة التي تشبه لأحوال الشعب الجزائري كله الذي يعاني الإرعاب و الإضطهاد، فجميلة تلقى في السجن كآلاف السجناء و تواجه التعذيب مثلهم.

« نحنُ و جميلة »
جميلة ! تبكين خلف المسافات ِ خلف البلاد
وترخين شعرك كفّك دمعك فوق الوساد
أتبكين أنت ؟ أتبكي جميلة ؟
أما منحوك اللحونَ السخيات و الأغنيات؟
أما طعموك حروفاً ؟ أما بذلوا الكلمات؟ (الملائكة : ج 2 ص: 505)

من جانب آخر إذا اعتبرنا الواو في هذه التسمية (**نحن و جميلة**) للمعية عندئذٍ يغدو موضوع التعاطف أكثر وضوحاً عند نازك الملائكة، فإنّ العنوان هو بمثابة القصيدة المُصغّرة و هذا يدلّ على حسن إختيار نازك لإسم القصيدة و دقتها البالغة في التسميات.

خامساً : موقفها من أنور السادات و استسلامه للصهاينة.. (قصيدتا: الرقص على البارود، ثلاثيةٌ لعروسِ النيل)

إن لنازك الملائكة موقفاً سياسياً حاداً من الرئيس المصري الأسبق أنور السادات و تنازلاته و خنوعه أمام الصهاينة فيما يخص الأراضي المحتلة و سياسة الدولة المصرية و قد أشار الى هذا الموقف الحاد «سعد الدين الخضر» في مقال له نُشر على الموقع الإكتروني لجريدة (الزمان) الدولية (العدد 3526) . فقالت نازك عن زيارة السادات للقدس :

«لقد سقط أنور السادات على ركبتيه مقبّلاً أيدي الصهاينة و أسلم لهم مصر الغالية يجوسونَ فيها و يلطخون دروبها بالعار» كما أنها شعرت بالمرض و الموت إثر هذه الزيارة قائلة عنها ايضاً :

«زيارة أنور السادات للأرض المحتلة قد أمرضتني و كادت تقتلني و قد بادرتُ فوراً إلى نظم قصيدة عنوانها (الرقص على البارود) وصفتُ فيها رحلة الخيانة، و كنتُ أنظم القصيدة و أنا قد أغلقتُ الأبواب لكي لا يصلني صوت أنور الغادر و هو يُلقي خطابهُ الذليل في الكنيست الإسرائيلي ».

فخاطبت نازك في هذه القصيدة أنور السادات بهذه الكلمات الجريئة :

يا عجباً و رأسك الغادر يا أنور
كيف أنت قد وسدته
أكتاف دايان
وفي قبورنا أرقصته
وكيف في دمائنا خبزك قد غمسته
والنيل في نعال بيغن كيف يا خائن
قد صببته **!؟**

أيضاً الشاعرة هنا تهاجم إسرائيل و رئيسها يومذاك « موشه دايان» و تستنكر عمل و سياسة أنور السادات و تذمُّ خنوعه لـ « مناحم بيغن » رئيس الوزراء لدولة إسرائيل آنذاك .

بعد أسبوع مضى على كتابتها لهذه القصيدة ، بادرت نازك إلى كتابة قصيدة ثانية أسمتها «ثلاثية لعروس النيل» و لكننا لم نعثر عليها في دواوينها المطبوعة غير أن الشاعرة هي قالت عنها :

« لقد نظمتُ قصيدة (الرقص علي البارود) فور سماعي الخبر، وبعد اسبوع واحد نظمتُ قصيدة ثانية سميتها (ثلاثية لعروس النيل) وصفتُ فيها بائعة جرائد مصرية شابة إسمها (شيرين) يُعثر عليها قتيلة علي الرصيف ولا

يُعلم هل قتلها أنور السادات أم بن غوريون، والقصيدة طويلة وتقع في ثلاث أغنيات، ولقد أرسلتُ القصيدة الأولي إلي إحدي الإذاعات العربية القريبة من مصر لأنني أردتُ أن يسمعها أحبائنا المصريون الذين يُضللهم أنور بأجهزة إعلامهِ الخائنة لكي تكون سنداً لهم ولكي يعلموا أننا نقف معهم في محنتهم ..، ولكن ملابسات حدثت جعلت القصيدة لا تُذاع. ومن ثم فقد بادرتُ إلي إلقاء القصيدة الثانية، والثلاثية خلال أُمسية شعرية لي في الكويت في رابطة الأدباء ..، وأنا مع هذا أشعر بأنني مقصّرة نحو مصر لأنهُ قد كان عليّ أن أرفع صوتي أعلي ». (سعد الدين الخضر، المجلة الإلكترونية)

الخاتمة و النتيجة

و أخيراً يمكننا القول بأن الشاعرة نازک الملائكة التي أُتـُّهمت من قِبـَل النقـّاد و الكتـّاب بالإنطوائية و عدم الإكتراث بالسياسة، هي التي قد تأثـّرت بأحداث العراق السياسية و ما يجري على الصعيد العربي خارج العراق، فرصدت هذه الأمور و تفاعلت معها و كتبت عنها قصائد مختلفة فأصبح هذا الإلتزام و الملامح القومية مشهوداً في طيـّات دواوينها لاسيما في القصائد التي جاءت في ديوانها « شجرة القمر» .

و إنّ الرجوع إلى فحوى القصائد المذكورة في هذه الدراسة و غيرها سيـُظهر لنا نازک في هيئة شاعرة تتحسس آلامَ العراقيين و تنظر إلى تقلبات الأنظمة و الأحوال السياسية فتحوّلها إلى كلمات رقيقة و صورٍ شعريةٍ رائعة .

المصادر:

1- بلاطة، عيسى؛ بدرشاكرالسياب،حياته وشعره،الموسسة العربية ،بيروت،ط6، 2007 م.
2- الجيوسي، سلمى الخضراء: الاتجاهات و الحركات في الشعرالعربي الحديث،ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، ط2، مركزدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م.
3- خسروي، كبرى : بررسى و تحليل درونمايه هاى شعرى نازک الملائكة، پايان نامه كارشناسى ارشد، دانشگاه شهيد چمران اهواز،1384ش.
4- علي، عبدالرضا : نازک الملائكة الناقدة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت،1995 م.
5- علي نظري و علي عزيزي نيا و بروانه رضايي، (2009م - 1430هـ.ق) العدد16(3)،طهران، مجلة العلوم الإنسانية الدولية
6- الملائكة، نازک : الديوان، ج2 ، دار العودة ، بيروت ، 1997 م.
7-سعد الدين الخضر، جريدة (الزمان) الدولية - العدد 3526 www.azzaman.com
8- المجلة الإلكترونية :http://www.iraqja.iq/view.91
9- موسوعة المعرفة : http://www.marefa.org
10- ويكيبيديا الموسوعة الحرة :http://ar.wikipedia.org
11- مجلة نقد الفصلية، العددالرابع، دار النهضة العربية ،بيروت، أكتوبر 2007 م.

التحليل اللغوي بين المعنى المعجمي والسياق
في تفسير عبد الحميد بن باديس "في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"

لـ د/لخضر حداد، أستاذ محاضر بكلية العلوم الإسلامية
جامعة الجزائر

ملخص البحث:

يعتبر هذا البحث محاولة لاكتشاف منهج ابن باديس رحمه الله (ت 1359هـ - 1940م) في معالجة قضية "المعنى" من خلال تفسيره "في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير".
إنَّ المتأمل لتفسير ابن باديس سوف يكتشف أن للرجل باعا طويلا في علوم اللغة العربية وفقهها، بل وأجزم أنه أتى على جل مستويات البحث اللغوي المعروفة عند الباحثين اللغويين، وأعني بذلك المستوى الصرفي والنحوي والدلالي.
ومن أهم الملاحظات التي خلص إليه البحث ما يأتي:
أولا: لقد بدا لي أن من أبرز خصائص منهج ابن باديس في معالجة بعض القضايا المتعلقة بالمعنى، هو البحث عن الدليل واتباعه دون تعصب لمذهب أو لإمام، وكشف لنا هذا المنهج عن سعة اطلاع الرجل والتزامه الدقيق في التحليل، وعدم قناعته بظواهر النصوص بل كان يغوص في معانيها ومقاصدها للوصول إلى المبتغى، وقد دل ذلك على رجاحة رأي وأصالة فكر، وشخصية علمية فذة.
ثانيا: يعتبر السياق اللغوي عند الشيخ ابن باديس، أساسا وركيزة للتحليل اللغوي، بغية الوصول إلى النتائج والحكم عليها، وتوجيهها الوجهة السليمة.

L'analyse linguistique du sens lexical et le contexte Dans l'interprétation d'Abdul-Hamid Ben Badis

Pr/ Lakhdar Haddad, à la Faculté des Sciences Islamiques professeur Université d'Alger.

Résumé du thème de recherche

Cette recherche est une tentative d'approche de la découverte du cheikh Ibn Badis (d. 1359H 1940) pour aborder la question du "sens" à travers l'interprétation " MAJALIS EL TADKIR".

Quiconque regarde à l'interprétation d'Ibn Badis va découvrir l'homme a sacrifié sa vie pour la langue arabe, mais je suis confiant qu'il a abordé tout les niveaux en vrac de la recherche linguistique connues des chercheurs, des linguistes, et je veux dire le niveau de la grammaire morphologique et sémantique.

Les observations les plus importantes que les résultats de recherche sont les suivants:

D'abord, il me semblait que les principales caractéristiques du programme d'études Ibn Badis pour répondre à certaines questions liées au sens, est la recherche de preuves et de ses disciples, sans l'intolérance de la doctrine ou l'Imam, et nous a révélé cette approche pour une connaissance approfondie , et son engagement à l'analyse exacte, et non pas son phénomènes condamnation textes, mais il s'enfonce dans leur sens et le but d'atteindre le souhaitez, ce qui indique que l'opinion de la sagesse et l'originalité de pensée, de scientifiques et personnels uniques.

Deuxièmement: Le contexte de la langue quand Cheikh Ibn Badis, la base et le fondement de l'analyse du langage, afin d'accéder aux résultats et à les juger, et canalisé dans la bonne direction.

مقدمة

إن هذا المقال الذي نضعه بين يدي القارئ العربي هو محاولة للكشف عن منهج ابن باديس رحمه الله (ت 1359هـ - 1940م) في معالجة قضية "المعنى" من خلال تفسيره "في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، الذي لم يُكتب له أن يصل إلينا كاملا، للظروف الصعبة التي صاحبت الشيخ طيلة حياته، حيث لم تسعفه لتأليف الكتب، بل كان الهم الذي ظل يشغله هو تأليف الرجال*، وإصلاح المجتمع الجزائري تربية وتعليما.

لقد تركزت معظم البحوث والدّراسات حول جهود ابن باديس التربوية والتعليمية والإصلاحية، من خلال ما تبقى من آثاره التي جمعها الأوفياء من تلامذته، ولكننا لم نجد في حدود ما اطّلعنا عليه، بحثا أكاديميا خُصّص للحديث عن جهود ابن باديس اللغوية.

ولما رأيت من تقصير في هذا الجانب، استشرت الأستاذ الدكتور محمد بن سمينة رحمه الله في الموضوع، فأخبرني أن المكتبة العربية والإسلامية تفتقر إلى دراسة جادة في هذا الجانب، وهمس في أذني أن ابنته كانت تعتزم الكتابة في "الدّرس البلاغي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس"، ولست أدري أين وصلت الدراسة.

لقد كان للحوار الذي دار بيني وبين أستاذي الفاضل رحمه الله، وقعٌ حسن وأثر طيب في نفسي، فكان ذلك حافزا ودافعا قويين، زادا في همّتي وعزمي في الكتابة في الموضوع، سائلا المولى عزّ وجل أن يسدّد خطانا، ويوفقنا إلى خير العمل، وأن يتغمد فقيدنا الأديب محمد بن سمينة برحمته الواسعة، وأن يسكنه فسيح جنانه آمين.

ولا ريب أن النزعة الإصلاحية والدعوية هي السمة الغالبة في فكر المصلح عبد الحميد بن باديس، للظروف التي عاشتها البلاد، ولكن المتأمل لتفسير ابن باديس سوف يكتشف أن الرجل كان له باع طويل في علوم اللغة العربية وفقهها، بل وأجزم أنه أتى على جل مستويات البحث اللغوي المعروفة عند الباحثين اللغويين، وأعني بذلك المستوى الصرفي والنحوي والدلالي.

ولمعالجة الموضوع اتبعنا الخطوات الآتية:

المبحث الأول: ثقافة ابن باديس اللّغوية

لقد شاءت الأقدار أن ينشأ الشيخ عبد الحميد بن باديس في أسرة متعلمة ومحافظة على قيم الإسلام ومبادئه، فنال حظّه من التربية والتعليم، وحفظ القرآن الكريم كاملا مع تجويده في سن مبكّرة على يد شيخه محمّد بن

المدَّاسي، كما تلقى دروسا في العلوم العربية والشرعية من العلامة الشيخ الونيسي التي كانت له اليد البيضاء في توجيهه وإرشاده.
وفي جامع الزيتونة واصل الشيخ في طلب العلم حيث تتلمذ على علماء أفذاذ ومشايخ أجلاء، أقرّ لهم بالفضل العلمي، وحسن التربية، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر "محمّد النّخليّ القيروانيّ"، و"محمّد الطّاهر بن عاشور"، و"محمّد الخضر بن الحسين، وغيرهم رحمهم الله جميعا وأجزل مثوبتهم.
وقد بدت ملامح شخصية ابن باديس العلمية ترتسم عندما تخرّج في الزيتونة معتليا المرتبة الأولى في صف الناجحين، ولم يغادر تونس إلا بعدما مكث بها سنة كاملة في التّعليم والتّعلم.
وإذا عدنا إلى الحديث عن ثقافة ابن باديس اللّغوية، فإنّ عوامل عدّة مجتمعة، جعلت الرجل يكتسب ملكة(**) لغوية متينة، وذوقا أدبيا راقيا، وتلك العوامل يمكن حصرها على النحو الآتي:
أ ـ حفظه للقرآن الكريم في سن مبكرة
ب ـ تحصيله العلمي المتنوع والتفوّق فيه
ج ـ تأثّره بشيوخه
د ـ حبّه الشّديد للّغة العربية
وأما عن ذوقه الأدبي الرّفيع، يقول توفيق محمد شاهين: "وهو أديب ذواقة، يعشق الأدب القديم والحديث، وينقده، ويعطي لطلابه وزائريه زبدة ما قرأ، ويوازن بين شعر وشعر، وينشر الملح والطرائف وله باب في الشهاب بعنوان "من أحسن القصص والأدب" جمع فيه بين كل طريف وظريف"[1].
وعن خصائص اللغة العربية وحكمتها، يقول ابن باديس: "فمن حكمة اللغة العربية الشريفة، أن سمت أصوات الحيوانات نطقاً، كما سمت- في المتعارف- اللفظ الذي يعبر به عما في الضمير نطقاً، لأن الأصوات لغير الإنسان تقوم مقام الألفاظ للإنسان، فهي طريق تفاهمها وطريق فهم ما يمكن للإنسان فهمه عنها.
فلله هذه اللغة ما أعمق غورها! وما أدق تعبيرها"[2].
إن اللّغة العربية التي ابتعدنا عنها وصارت غريبة في ديارنا، هي في فكر الشيخ بن باديس بمثابة السيروم الذي يتقوى به المريض، والأوكسجين الذي يتنفس منه مَن به حرج في صدره.
هكذا حُبِّب إلى الرّجل لغة القرآن الكريم حبا جما، بل وجعلها عنصرا مهما من العناصر المكوّنة للشخصية الجزائرية، فانصهرت في معادلة، صعُب تفكيك عناصرها، فكان ذلك الشعار الخالد والمضيء الذي من أجله أوقف الشيخ حياته، وأفنى عمره في خدمته، والتفاني فيه، ألا وهو "الإسلام ديننا

والعربية لغتنا والجزائر وطننا"، وبقي هذا الشعار منقوشا في ذاكرة تاريخ الجزائر المحروسة وشعبها، يستحيل نسيانه أو محو آثاره.
وإنّ من مظاهر اعتزاز الشّيخ باللّغة العربية أنه "عمل على إحياء الكتب العربية القديمة، واحتفل بها لتحيا رغم أنف الاستعمار"[3]. وكانت دروسه تُلقى بالعربية الفصحى، وقلّما ينزل إلى لغة العوام إلا في مواقف التفهيم والبيان، فيضطر حينئذ إلى الاستئناس بأمثلة من لغة التخاطب اليومي القريبة إلى العربية الفصحى، ومن ذلك ما جاء في تفسيره: "ولا يزال من أساليب العربية في لسان التخاطب الدّارج بيننا قول الناس لبعضهم: "كلْمُه في كذا إذا نفع فيه الكلام" استبعاداً لنفعه فيه. ومن ذلك قوله تعالى: "فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ"[4].
وكثيرا ما كان الشيخ ينصح ويرشد إلى استعمال الأساليب البيانية الواضحة، والعبارات السّهلة حسب ما يقتضيه المقام، والظرف الذي يُساق فيه الكلام، وذلك كله من أجل ترغيب الناس في تعلم لغتهم، وعدم النفور منها وكراهيتها، وقديما قالوا لكل مقام مقال، وفي هذا السياق يقول ابن باديس: "وما يكون من البيان العلمي فيختار أسهل العبارات وأقربها للفهم حتى لا يحدث الناس بما لا يفهمون، فيكون عليهم حديثه فتنة وبلاء.
وما يكون من الكلام في مقام التنازع والخصام فيقتصر على ما يوصله إلى حقه في حدود الموضوع المتنازع فيه، دون إذاية لخصمة، ولا يعرض لشأن من شؤونه الخاصة به"[5].
ومما سبق ذكره علمنا مدى أهمية اللغة العربية ومكانتها عند ابن باديس، وعنايته بها عناية فائقة، وربما يرجع الفضل في ذلك بعد الله عزّ وجل إلى ما لقيه من تعليم وتربية من علماء ومشايخ أجلاء في الجزائر وتونس. ولم يتردد الشيخ ابن باديس في الاعتراف بفضلهم والثناء عليهم والدعاء لهم، حيث قال: "وإن أنسى فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت مِن أول ما قرأت عليه، فقد حبّبني في الأدب والتفقه في كلام العرب، وبث فيّ روحا جديدا في فهم المنظوم والمنثور، وأحيت مني الشعور بعزّ العروبة والاعتزاز بها كما أعتز بالإسلام".
وتقدير ابن باديس لشيخه، واعتزازه به لم يكن يمنعه، من مخالفته وانتقاد بعض فتاواه.
وهذا دليل على رفض ابن باديس للتقليد الأعمى، بل كان يراه عائقا لبناء الشخصية العلمية والعملية، ولعل الفضل في ذلك يعود إلى ما تلقاه من علم وتوجيه على يد شيخه محمد النخلي القيرواني، حيث يقول عنه ابن باديس: "كنت متبرما بأساليب المفسّرين، وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله..فذاكرت يوما الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من

التبرم والقلق، فقال لي: "اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، وهذه الأقوال المختلفة، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط، ويبقى الصحيح وتستريح.. فوالله لقد فتح الله بهذه الكلمات القليلة عن ذهني آفاقا واسعة لا عهد له بها"[6].

ويبدو من خلال ما ذكره الشيخ ابن باديس "في غاية من الأهمية ودليل قاطع على مدى تأثره في تكوينه بهذين الأستاذين"[7].

وأحسب أن الشيخ عبد الحميد بن باديس يصدق عليه ما ذكره ابن قتيبة في تأويله حيث قال: "وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب"[8].

وهذا المعنى يعزّزه ما قاله الشيخ البشير الإبراهيمي في سياق حديثه عن "مجالس التذكير" والإشادة به، حيث قال: "ولكن الله تعالى أبى إلاّ أن يذيع فضله وعلمه. فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدّروس، وكان ينثرها فواتح لأعداد مجلة "الشهاب" ويسميها "مجالس التذكير"، وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له،كما أنها نموذج من أسلوبه الكتابي"[9].

المبحث الثاني: علم المعاني

لقد أولى الشيخ عبد الحميد بن باديس هذا الجانب عناية خاصة في تفسيره، مقتفيا في ذلك أثر سابقيه من المفسرين كأبي حيان الأندلسي، والشوكاني، والشيخ الطاهر بن عاشور، الذين نهجوا طريقة خاصة للوصول إلى فهم النصّ القرآني وإدراك مقاصده. وقد صرّح الشيخ بن باديس عن المنهج الذي سلكه في تفسيره حيث قال: "على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات، بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك على صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون، أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون، رحمة الله عليهم أجمعين"[10].

وينبغي في هذا المقام التنويه بما قدمه الأصوليون من أبحاث جادة ومتميزة لها علاقة بموضوع المعنى، وربما فاقت ما قدمه اللغويون أنفسهم.

ثم إن فهم النصوص يختلف فيه أهل العلم والنظر، وهو أمر طبيعي، بل كان منذ عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، يقول ابن قيم الجوزية: "وقد قال عمر بن الخطاب للصحابة: ما تقولون في: **"إذا جاء نصر الله والفتح"**[11]، قالوا: أمر الله نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره، فقال لابن عباس ما تقول أنت؟ قال: هو أجل رسول الله - ﷺ -، أعلمه إياه، فقال: ما أعلم منها غير ما تعلم، وهذا من أدق الفهم وألطفه، ولا يدركه كل أحد". ثم يضيف قائلا: "والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكما أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم

من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره، وأخص من هذا وألطف ضمه إلى نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرا زائدا على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم، فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به"[12].

إنّ ما ذهب إليه ابن القيم من خلال نظرته إلى المعنى، ينطبق على كثير مما ذهب إليه اللغويون المحدثون في دراستهم للمعنى. فما هي وجهة نظر ابن باديس حول هذه المسألة الحساسة ؟ أو بعبارة أوضح، ما هي وسائل تحديد المعنى التي اعتمدها ابن باديس ؟ وهل كان منهجه في دراسة المعنى منهجا متميزا، ؟ وهل كانت نظرته إلى دلالات الألفاظ والنصوص نظرة ضيقة تنحصر في ظاهر المعنى ـ كما كان الأمر مع بعض الفقهاء المقلدة ـ أو كان يأخذ بمبدأ التوسيع في دلالات الألفاظ كما فعل بعض الأصوليين واللغويين ؟ والجواب عن هذه التساؤلات قد نعثر عليها من خلال ما سنعرضه من أمثلة، بدءا بالمعنى المعجمي إلى السياق اللغوي.

أولا ـ دلالة الألفاظ وحسن اختيارها

تحدثنا فيما مضى عن ذوق ابن باديس الأدبي الراقي، وفهمه للنص القرآني فهما متميّزا بشهادة إخوانه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولقد لفت انتباهي من خلال قراءتي المتواضعة لبعض ما ورد في مجالس التذكير، أن الرجل كان يكتب بوعي وذكاء كبيرين، مما يدل على علمه وسعة اطلاعه بعلوم العربية، فكان يحسن اختيار اللفظة المناسبة في الموضع المناسب للتعبير عما كان يختلج في صدره، فيضطر القارئ في بعض الأحيان إلى مراجعة المعاجم اللغوية؛ لمعرفة دلالة الألفاظ ومعانيها التي قصدها ابن باديس، فمن ذلك مثلا قوله:" نجد العزّ القدموس [13]. و"القدموس"، هي الصخرة العظيمة[14]، وقوله: "فوالله لو بذلت لنا الدنيا بحذافيرها في تركه ما ساوت عندنا حبة رَغام"[15]. و"الرَّغام"، بفتح الراء، بمعنى التراب. ويقال: ألقاه في الرغام: أذله وأهانه"[16]، وقوله في موضع آخر: "ومن مظاهر ذلك الخنوع: الدعاء والسؤال والتضرع والجؤار إليه"[17]. والجُؤار، من: "جأر جأرًا وجؤارًا: رفع صوته؛ وجأر إلى الله: تضرع واستغاث"[18]، وفي سياق آخر يقول: ""حتى فهم ما همست به النملة، وهي من الحُكل"[19]. "الحُكْلُ: جمع أحْكَل، وهو الأعجم من الطيور والبهائم، وما لا يسمع له صوت كالذر والنمل"[20]. ثم يضيف قائلا: "وأن يلزم ذلك الطريق، ويسير في سوائه غير

مائل إلى جنباته، ولا ذاهب في بُنيَّاته"[21]. "بُنَيَّة الطريق: طريق صغير تشعب من الجادة"[22].

وأما شرحه لألفاظ القرآن الكريم فكان يعتمد على بعض المعاجم المشهورة،كلسان العرب لابن منظور[23]، والصحاح للجوهري الذي ذكره في موضعين اثنين[24]. ولا يكتفي الشيخ بذكر معاني ألفاظ القرآن الكريم فحسب، بل كان يشير إلى حسن اختيارها، وسر موقعها في السياق القرآني، ومن أمثلة دلك ما يأتي:

- جاء في قول الله عزّ وجلّ: **"تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا"**[25].

يقول ابن باديس: "نذيرًا" مادة (ن ذ ر) كلها ترجع إلى الإعلام والتحتيم، فمنها: نذر على نفسه الصوم أوجبه وحتمه وأعلم به، ونذر بالعدو؛ كفرح علم به وأنذره، أعلمه؛ ولا يستعمل إلا في إبلاغ ما فيه تخويف، فهو إعلام بتأكيد وتحتيم. ونذير هنا بمعنى منذر من فعيل بمعنى مفعل"[26].

- ورد في قوله عزّ وجلّ: **"وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا"**[27].

يقول ابن باديس: "قال في لسان العرب[28]، "الأزهري وغيره: جماع معنى (الفتنة) الابتلاء، والامتحان، والاختبار. وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد". اهـ. ومنه قوله تعالى: **"أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ"**[29]، وقوله: **"أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ"**[30]، وقوله: **"وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا"**[31]، وقوله: **"وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً"**[32].

"أتصبرون": الصبر حبس النفس على المكروه. والمكروه لها فعل ما فيه تعب، وترك ما فيه لذة. ويكون في المشروع والمقدور، ففي الأول بالقيام بالمأمورات، والترك للمنهيات. وفي الثاني بالرضا والتسليم في المصائب والبلايا للخالق، وعدم الاعتراض عليه، وعدم السعي في إزالتها بغير الوجه المأذون فيه.

و "البصير": هو المشاهد للأشياء ظاهرها وباطنها، ذواتها ونعوتها وأحوالها؛ مباديها وغاياتها وعواقبها"[33].

يقول سبحانه وتعالى: **"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا"**[34].

"التثبيت": ثبات الشيء إقامته ورسوخه دون اضطراب، وذلك من قوته، كما أن اضطراب المضطرب من ضعفه. فتفسير تثبيت الفؤاد هنا بتقويته تفسير بلازم معناه على أنه مراد منه أيضا أصل المعنى، وهو السكون وعدم الاضطراب. فتثبيته- إذن- هو تسكينه وتقويته.

"الترتيل": مادة (ر ت ل) كلها ترجع إلى تناسق الشيء وحسن تنضيده: منه ثغر رتل بالتحريك، أي مفلج بين الأسنان فرج لا يركب بعضها بعضا.
وترتيل القرآن في التلاوة هو إلقاء حروفه حرفاً حرفاً، وكلماته كلمة كلمة، وآياته آية آية، على تؤدة ومهل. حتى يتبين للقارىء وللسامع، ولا يخفى عليه شيء منه.
وأما ترتيله في نزوله- وهو المراد هنا- فإنه: إنزاله آية وآيتين وآيات، مفرقاً نجوما على حسب الوقائع"[35].
- وورد في قول الله عزّ وجلّ: "**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**"[36].
لما أعلم العباد بأنه يكتب لهم وعليهم أعمالهم، أعلمهم بأنه تعالى قد كتب كل الأشياء لا خصوص أعمالهم تعميماً بعد تخصيص.
"الإحصاء": تحصيل الشيء بالعد وضبطه والإحاطة به.
"الإمام": ما يؤتم ويقتدى به، والكتاب، إمام لأنه يتبع فيؤخذ بما فيه ويعتمد عليه.
و(المبين) المظهر لما فيه، فكل ما فيه ظاهر فيه.
أصل الكلام: أحصينا كل شيء أحصيناه. فحذف أحصينا الأول لدلالة الثاني، فكان هذا أقوى في ثبوت الإحصاء ووقوعه على كل شيء"[37].
ويتضح لنا من خلال الأمثلة التي ذكرناها سابقا، الطريقة التي سلكها ابن باديس في بيان المعنى المعجمي لألفاظ القرآن الكريم، مبرزا معناها الأصلي، كما وردت في المعاجم، ثم يورد المعاني الأخرى التي تتفرع عن المعنى الأصلي لها،كما في لفظة الفتنة والإمام وغيرهما، مستدلا بذلك بما ورد في السياق القرآني. واللافت للانتباه أن الشيخ ابن باديس لايكتفي بذكر المعنى المعجمي للكلمة فحسب، بل يستنبط معناها من النص القرآني نفسه.
ومن هنا ندرك مدى أهمية دعوة الأستاذ إبراهيم السمرائي الباحثين اللغويين إلى توجيه عنايتهم وجهودهم لتأليف معجم متخصص يعنى بالمعنى القرآني للكلمة. ونلمس أهمية ما نادى به السّمرائي في كلام الراغب الأصفهاني قائلا: "وذكرت أنّ أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللّبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كلّ علم من علوم الشرع"[38].
هذا ولم يغفل الشيخ ابن باديس عن بسط القول في إبراز بعض الخصائص التي امتازت به ألفاظ القرآن الكريم، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

ـ قال عزّ وجلّ: **"وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا"**[39].

"اختيرت لفظة الخلفة هنا، لدلالتها على الهيئة، فتكون منبهة على هيئة هذا الاختلاف، بالطول والقصر المختلفين في جهات من الأرض. وذلك منبه على أسباب هذا الاختلاف من وضع جرم الأرض وجرم الشمس.

وذلك كله من آيات الله الدالة عليه، وبتلك الهيئة من الاختلاف المقدر المنظم عظمت النعمة على البشر، وشملتهم الرحمة.

فكانت هذه اللفظة الواحدة منبهة على ما في اختلاف الليل والنهار من آية دالة، ومن نعمة عامة وهكذا جميع ألفاظ القرآن في انتقائها لمواضعها"[40].

ـ قال تعالى: **"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"**[41].

"واختير لفظ الناس، من بين الألفاظ المشاركة له في الدلالة كالبشر والبرية، لأنه ينوس ويضطرب وينساق. وهي صفات يلزمها التوجه، ويسهل التوجيه، فلا غنى لصاحبها عن توفيق الله للوجهة الصالحة، والتسديد فيها، ما دام لا يملك لنفسه ذلك، وما دام محاسباً عليه، وما دامت هناك قوة مسلطة تنزع به إلى الشر"[42].

وفي قوله عزّ وجلّ: **"الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ"**[43]، يضيف ابن باديس قائلا: "ومواقع استعمال القرآن لكلمة الصدر مفرداً وجمعاً- فالحكم عليها بالشرح، والحرج، والضيق، والشفاء، والإخفاء، والإكناد- ترشدنا إلى أنه ليس المراد منه الصورة المادية، ولا أجزاءها المادية، إنما المراد القوى النفسية المستودعة فيه، وأن الوسواس الخناس، يوجه كيده ووسوسته دائما إلى هذه القلعة التي هي الصدر؛ لأنها مجمع القوى"[44].

ثانيا ـ معاني الحروف

يفضل بعض الدارسين المهتمين بهذا المبحث، إطلاق مصطلح "الأدوات" بدلا من "الحروف"، لأن الأول يشمل الحروف وغير الحروف، يقول السّيوطي في هذا المعنى: "وأعني بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف"[45].

وقد تسهم الحروف في تحديد المعنى العام وتغيره، إذا ما تم توظيفها في سياقات لغوية مختلفة، يقول السيوطي: "اعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما في قوله تعالى: **"قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"**[46]، فاستعملت "على" في جانب الحق، و"في" في جانب الضلال لأن صاحب الحق كأنه مستعل يصرف نظره كيف شاء وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه"[47].

وإذا عدنا إلى مجالسنا وجدنا نماذج مشرقة مما ذكره السيوطي في إتقانه، ومن ذلك مثلا:

المثال الأول:
قال عز وجلّ: **"قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"**[48].
يقول ابن باديس: "ليس كل من زعم أنه يدعو إلى الله يكون صادقاً في دعواه، فلا بد من التفرقة بين الصادقين والكاذبين. والفرق بينهما- مستفاد من الآية- بوجهين:
الأول: أن الصادق لا يتحدث عن نفسه، فلا يستطيع أن ينسى نفسه في أقواله وأعماله.
وهذا الفرق من قوله تعالى: "إِلَى اللهِ".
الثاني: أن الصادق يعتمد على الحجة والبرهان، فلا تجد في كلامه كذباً ولا تلبيساً ولا ادعاء مجرداً، ولا تقع من سلوكه في دعوته على التواء ولا تناقض ولا اضطراب.
وأما الكاذب فإنه بخلافه: فإنه يلقي دعاويه مجردة ويحاول تدعيمها بكل ما تصل إليه يده، ولا يزال لذلك في حنايا وتعاريج لا تزيده إلاّ بعداً عن الصراط المستقيم.
وهذا الفرق من قوله تعالى: "عَلَى بَصِيرَةٍ". واختيرت "عَلَى" لتدل على تمام التمكن"[49].
يقول الطاهر بن عاشور: "وعَلى فِيهِ للاستعلاء الْمجَازِي المُرَاد بِهِ التَّمَكُّن، مثل "على هدى من رَبهم"[50].
ومن معانيها:
أ ـ المصاحبة: كقوله تعالى **"وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ"**[51].
ب ـ المجاوزة، كقول الشاعر:
إذا رضيت علي بنو قشير ... لعمر أبيك، أعجبني رضاها
أي: عني.
ج ـ التعليل: كقوله تعالى: **"ولتُكَبّروا الله عَلَىَ مَا هَدَاكُم"**[52].
د ـ تأتي بمعنى "مِنْ":كما في قوله تعالى: **"إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ"**[53].
هـ ـ تأتي بمعنى "الباء": كقوله تعالى: **" حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ"**[54]، أي بألا أقول"[55].
المثال الثاني:

قال عزّ وجلّ: "**وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**"[56].

قال ابن باديس: "و "أو" تفيد أحد الشيئين المذكورين على الإبهام وعدم التعيين.

يقول تعالى: ما من قرية على وجه الأرض إلّا ولا بد أن يحل بها منا هلاك وفناء بما يبيدها ويفنيها، أو عذاب شديد لا يفنيها، ولكنه يذيقها أنواع الآلام وشديد النكال.

كان هذا قضاء سابقاً في علمنا، ماضيا في إرادتنا، مكتوباً أسطاراً في اللوح المحفوظ"[57].

ويقول في موضع آخر شارحا قول الله عزّ وجل: "**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**"[58].

"أو": للتفصيل والتنويع؛ لأن المستفيدين من اختلاف الليل والنهار هم المتذاكرون والشاكرون، فلا تمنع من أن يكون الشخص الواحد متذكراً شاكراً في آن واحد".

يقول تعالى: وهو الذي جعل الليل والنهار، ووضعهما يختلفان ويتعاقبان على هيئة مخصوصة في التخالف والتعاقب؛ ليستفيد من ذلك العباد.

من أراد أن يتذكر فيعتبر بما فيهما من انتقال وتغير ونظام وتقدير. ويستدل بذلك على وجود خالقهما، وقدرته وإرادته وعلمه وحكمته، ورحمته بمخلوقاته.

أو أراد أن يشكر؛ فيقوم بعبادة خالقه المنعم عليه بجلائل النعم ودقائقها التي منها هذا الاختلاف والتعاقب بين هذين الوقتين، الذي لا يصلح حال الإنسان، ولا تنتظم أعماله ولا يستقيم عمرانه إلاّ به[59].

ومن معاني "أو" ما يأتي:

ـ الشك: نحو: قام زيد أو عمرو.

ـ التخيير. نحو: خذ ديناراً أو ثوباً.

ـ الإباحة. نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين.

والفرق بينهما جواز الجمع في الإباحة، ومنع الجمع في التخيير"[60].

ثالثا ـ في الإيجاز

الإيجاز، كما عرفه السكاكي "هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط"[61].

ويعتبر الإيجاز السمة البارزة للسان العربي، ومن أخص خصائصه ذلك "أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار.."[62].

وإليك نماذج من "مجالس التذكير"، أعرضها على النحو الآتي:

النموذج الأول:

يقول المولى عزّ وجلّ:**"كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا"**[63].

يقول ابن باديس: "إن الغاية التي يسعى إليها كل عاقل هي السعادة الحقة، وإن التّكاليف الإسلامية كلها شرعت لسوقه إليها؛ ولما كانت أصولها قد تضمنتها الآيات السابقة أمراً ونهياً بطريق الإطناب والتفصيل؛ أعيد الحديث عنها في هذه الآية بطريق الإيجاز والإجمال، قصداً للتأكيد وتقرير هذه الأصول العظيمة في النفوس، مع اشتمال هذه الآية الموجزة على ما لم يشتمل عليه ما تقدمها. وهذا من بديع التأكيد، لاشتماله على السابق مع شيء جديد"[64].

النموذج الثاني:

يقول الله عزّ وجلّ: **"وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا..وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"**[65].

يقول ابن باديس: "ومن بليغ إيجاز القرآن في بيانه أنه يذكر الشيء ليدل به على تأثيره، أو الذي هو أحرى بالحكم منه، أو لكون امتثال الحكم الشرعي فيه داعيا إلى امتثاله في غيره بالمساواة، أو الأحروية"[66].

النموذج الثالث:

في قوله عزّ وجلّ: **"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا .. وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا .. قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا"**[67].

يقول ابن باديس: "لقد جاءوا الظلم والزور في قولهم الأول وقولهم الثاني.

وقوله: "قل" أمر بما يرد قولهم الأول، وقولهم الثاني، غير أنه قصد إلى الإيجاز وعدم التكرار.

فجعل مع قولهم الأول الوصف وهو الظلم، واكتفى بذكره هنا عن إعادته.

وجعل مع قولهم الثاني الدليل: وهو إنزال من يعلم السر واكتفى بذكره هنا عن ذكره مع الأول فحذف من كل ما أثبت مع الآخر. وجعل الوصف مع الأول والدليل مع الثاني ترقياً من الدعوى للدليل"[68].

النموج الرابع:

جاء في قول الله عزّ وجلّ: **"حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ"**[69].

ومن المعاني التي حملتها الآية ما أشار إليها ابن باديس قائلا: "لا يحطمنكم"، نهتهم عن أن يحطمهم، والحطم ليس من فعلهم حتى ينهوا عنه، وإنما المعنى: لا تكونوا خارج مساكنكم فيحطمكم، فنهتهم عن السبب، والمراد النهي عن السبب، لما في ذلك من الإيجاز المناسب لسرعة الإنذار

لسرعة النجاة، ولما في ذكر المسبب- وهو الحطم- من التخويف الحامل على الإسراع إلى الدخول.
والجملة مؤكدة للأولى فكأنها قالت: ادخلوا مساكنكم لا تبقوا خارجها. ونظير التركيب في التعبير بالمسبب عن المسبب: لا أرينك ههنا؛ أي لا تكن هنا فأراك"[70].
ومن بديع الإيجاز التي تضمنته الآية ما ذكره السيوطي في إتقانه قائلا: "جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنسا من الكلام نادت وكنت ونبهت وسمت وأمرت وقصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وعذرت فالنداء "يا"والكناية "أي" والتنبيه "ها" والتسمية "النمل" والأمر "ادخلوا" والقصص "مساكنكم" والتحذير "لا يحطمنكم" والتخصيص "سليمان" والتعميم "جنوده" والإشارة "وهم " والعذر "لا يشعرون" فأدت خمس حقوق حق الله وحق رسوله وحقها وحق رعيتها وحق جنود سليمان"[71].
لم تسعفنا صفحات هذا المقال لعرض كل ما ورد عن الإيجاز في مجالس التذكير، والأمر متروك للقارئ للكشف عن المزيد في هذا الموضوع، وصدَقَ من قال أن "الإيجاز هو البلاغة"، كما أصاب من قال "لكل مقام مقال"، ذلك أن إيراده في أي تركيب ينبغي أن يكون بقدر المعنى الذي يتحمله التركيب والمقام، ومن هنا نعذُر من ذهب إلى أن ذلك "ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، ولو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال، لجرده الله في القرآن ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للإيجاز وكرر تارة للإفهام"[72].

رابعا ـ المجاز

إن الحديث عن موضوع المجاز حديث ذو شجون، وقد أسال الحبر الكثير، واختلف أهل العلم والنظر من القدامى والمحدثين في إثبات وقوعه أو نفيه في اللغة العربية فضلا عن وروده في القرآن الكريم، وبصفة أخص في آيات الأسماء والصفات.
ولا يسع المقام هنا لبسط الآراء وما جادت به قرائح الحذاق والبلغاء، وذلك خشية الإطالة والإسهاب، والخوض فيما قد يضر المقال والمقام، وحسبنا في هذا السياق الإحالة على رأي الشيخ عبد الحميد بن باديس في موضوع المجاز، من خلال ما سنعرضه من أمثلة، قد تُمكِّن القارئ من معرفة اتجاه ابن باديس ورأيه.
وأضع بين يدي القارئ جملة من الأمثلة وردت في "المجالس" على النحو الآتي:
أ ـ يقول ابن باديس: "والفؤاد : القلب، والمراد به هنا العقل من حيث اعتقاده لشيء ما. وإطلاق لفظ الفؤاد والقلب على العقل مجاز مشهور"[73]. ومحل

الشاهد قول الله عزّ وجلّ: **"وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"**[74].

ب ـ ورد في المجالس:"القرية: المساكن المجتمعة، ومادة (ق ر ى) تدل على الجمع، فتصدق على القرية الصغيرة والمدينة الكبرى[75]. وتطلق القرية مجازا على السكان إطلاقاً لاسم المحل على الحال ومنه هذا"[76]. ومحل الشاهد قول الله سبحانه وتعالى: **"وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا"**[77].

يرى كثير من الأصوليين والبلاغيين في لفظة "القرية" مجازا، وحصروا مدلول اللفظة في المكان فقط،كما ذكر ابن باديس الذي صرح بوقوع المجاز في الآية.

ولابن قيم الجوزية رأي آخر في المسألة حيث ينفي وقوع المجاز في لفظة القرية، سواء في هذه الآية أم في غيرها؛ لأن مدلول اللفظة يحددها السياق، يقول ابن القيام: "وإن كان أكثر الأصوليين يمثلون به فإن القرية اسم للسكان في مسكن مجتمع فإنما تطلق القرية باعتبار الأمرين كالكأس لما فيه من الشراب والذنوب للدلو الملآن ماء النهر والخوان للمائدة إذا كان عليها طعام ونظائره ثم إنهم لكثرة استعمالهم لهذه اللفظة ودورانها في كلامهم أطلقوها على السكان تارة وعلى المسكن تارة بحسب سياق الكلام وبساطه وإنما يفعلون هذا حيث لا لبس فيه، فلا إضمار في ذلك ولا حذف فتأمل هذا الموضع الذي خفي على القوم مع وضوحه"[78].

ج ـ يقول ابن باديس: "وإسناد الضلال للسبيل مجاز"[79]، مستدلا بقول الله عزّ وجلّ: **"الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا"**[80].

معنى الأية: "هؤلاء المشركون القائلون للمقالات المتقدمة، ومن كان على شاكلتهم في الكفر والعناد الذين يجمعون ويساقون إلى جهنم مقلوبين على وجوههم: أولئك شر مكاناً ومستقرا، فإنهم أهل النار، وأضل طريقاً فإنهم سلكوا طريق الكفر الذي أداهم إلى ذلك المستقر"[81].

د ـ يقول ابن باديس: "ولا يعارض تلك القواطع حديث مسلم عن أنس رضي الله عنه: أن رجلًا قال للنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: يا رسول الله، أين أبي؛ قال: «في النار» . فلما قَفَّى الرجل دعاه، فقال: "إن أبي وأباك في النار"[82]؛ لأنه خبر آحاد، فلا يعارض القواطع. وهو قابل للتأويل بحمل الأب على العم مجازاً، يحسنه المشاكلة اللفظية، ومناسبته لجبر خاطر الرجل، وذلك من رحمته ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وكريم أخلاقه"[83].

خامسا ـ التقديم والتأخير

لقد كان لأهل اللغة والمعاني صولة وجولة عندما عرّجوا على موضوع التقديم والتأخير، ووقفوا في ظلاله كثيرا، مبرزين أسباب وروده في الجملة العربية، وأثره على تغير المعنى، كما أطالوا النظر في أسرار انتظامه في القرآن الكريم ردحا من الزمن. وحسبي في ذلك ما ذكره السيوطي في إتقانه قائلا: "وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه المقدمة في سر الألفاظ المقدمة قال: فيه الحكمة الشائعة الذائعة في ذلك الاهتمام كما قال: سيبويه في كتابه: كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم.
قال: هذه الحكمة إجمالية وأما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع"[84].
ولا يخلو كتاب تفسير من ذكر لهذا الموضوع وبيان أهميته، كما هو الشأن في مجالس التذكير، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

المثال الأول:
يقول ابن باديس:"وقدم الليل وآيته على النهار وآيته في ترتيب النظم، لأنه ظلام، والظلام عدم الضوء. والعدم مقدم على الوجود في هذه المخلوقات"[85]. والدليل على ذلك قوله تعالى: **"وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا"**[86].

المثال الثاني:
جاء في قول الله عزّ وجلّ: **"كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا"**[87].
يقول ابن باديس: "وتركيب الآية يفيد أن عطاء الرب لا يمنع، ولا يجوز أن يمنع، لأن من مقتضى ربوبيته دوام عطائه ومدده لعموم خلقه بعلمه وحكمته.
وقدم المفعول، وهو "كلا" ردا على من يعتقد أن الله تعالى يمد بعضا دون بعض"[88].

المثال الثالث:
ورد في المجالس: "وقدم الشفاء، لأنه برء من النقص، على الرحمة، لأنها حصول الكمال، تقديم التحلية وآيات القرآن سبب في حصول الشفاء، فجعلت

هي شفاء على طريق المبالغة تنبيها على تحقق حصوله بها"[89]. ومحل الشاهد قوله تعالى: **"وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا"**[90].

معنى الآية: "وننزل عليك يا محمد- بحسب الوقائع والمناسبات- آيات من القرآن العظيم، هي شفاء يستشفي بها المؤمنون، ونعمة عظيمة أنعمنا بها عليهم يؤمنون بها ويحلون حلالها، ويحرمون حرامها، ويعملون بما فيها فينالون سعادة الدنيا والآخرة.

أما الكافرون الظالمون الذين قابلوا بالكفر ما يجب أن يقابل بالإيمان، وقابلوا بالرد ما يجب أن يقابل بالقبول، فإن نزول تلك الآيات يكون سببا في زيادة خسارهم، وضياع الخير عليهم، إذ كل آية من تلك الآيات كانت كافية في شفائهم لو استشفوا بها، ونزول الرحمة عليهم لو اهتدوا بها إلى الإسلام.

لكنهم يقابلون كل آية بالكفر والجحود، فيخسرون في كل مرة كنزا عظيما.

وهكذا يزداد خسارهم بقدر كفرهم المتجدد بنزول الآيات"[91].

المثال الرابع:

يقول ابن باديس: "وقدم الجار ليفيد تخصيص عبادتهم بربهم ويفيد الكلام عبادتهم وإخلاصهم.

وقدم "سجداً" لأن السجود أقرب أحوال العبد للرب، لحديث: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"[92].

ووقع "قياماً" في موقعه مناسباً للفاصلة"[93]. وشاهده قول المولى عزّ وجلّ: **"وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا"**[94].

المثال الخامس:

ورد في قول الله عزّ وجلّ: **"من الجِنّة والنَّاس"**[95].

يقول الإمام ابن باديس: "ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة، أنه يقدم أولاً الاسمين المتلازمين في آية، لسر من أسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام، ولا يؤخر ذلك المقام في آية أخرى، لسر آخر: فيقدم السماء على الأرض في مقام، ويؤخرها عليها في مقام آخر.

ومن هذا الباب تقديم الإنس على الجن في آية الأنعام، لأن معرض الكلام في عداوتهم للأنبياء، وهي من الإنس أظهر، ودواعيها من التكذيب والإيذاء أوضح.

وفي آية "الناس" قدم الجنة على الناس، لأن الحديث عن الوسوسة، وهي من شياطين الجن أخفى وأدق، وإن كانت من شياطين الإنس أعظم وأخطر وأدهى وأمر: فشيطان الجن يستخدم شيطان الإنس للشر والإفساد، فيربى

عليه ويكون شراً منه، لأنه بمثابة السلاح الذي يفتك به؛ ورب كلمة واحدة صغيرة يوحيها جني لإنسي، ويوسوس إليه بتنفيذها، فتتولد منها فتن، ويتمادى شرها من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل"[96].

يرى ابن باديس أن التقديم والتأخير يأتي في القرآن الكريم؛ لتأدية معنى من المعاني بحسب ما يقتضيه المقام، وقد جاء ـ كما في الأمثلة السابقة ـ لأغراض نجملها على النحو الآتي:

أ ـ الترتيب بما يقتضيه المقام، كتقديم الليل على النهار.

ب ـ الانتباه كتقديم المفعول.

ج ـ التنبيه على تحقق الحصول، كتقديم الشفاء.

د ـ الاهتمام كتقديم الجنة على الناس.

خاتمة

ومما سبق ذكره، فقد لمسنا "في مجالس التذكير" جانبا مهما من الدرس اللغوي عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، متمثلا في علم المعاني، وكنا نأمل عرض جميع القضايا اللغوية الواردة في هذا السفر النفيس، إلا أن المقال لم يخصص لذلك، وأعد القارئ بإنجاز دراسة متكاملة حول جهود ابن باديس اللغوية، في قادم الأيام إن شاء الله تعالى.

ومن أهم الملاحظات التي خلص إليه المقال ما يأتي:

أولا: يعتبر ابن باديس عالما من علماء هذه الأمة، ومرجعا من مراجعها في العلوم الإسلامية، ومجاهدا من مجاهديها بعلمه وقلمه، أفنى عمره من أجل الإسلام والعربية والجزائر.

ثانيا: لاحظنا من خلال دراستنا هذه سعة اطلاع الإمام بالعلوم العربية، بل إن الدرس اللغوي حاضر في مجالس التذكير بمستوياته المعروفة لدى الباحثين اللغويين المحدثين، من صرف ونحو ودلالة، واكتفينا نحن بعرض جانب منه فقط.

ثالثا: لقد بدا لي أن من أبرز خصائص منهج ابن باديس في معالجة بعض القضايا المتعلقة بالمعنى، هو البحث عن الدليل واتباعه دون تعصب لمذهب أو لإمام، وكشف لنا هذا المنهج عن سعة اطلاع الرجل والتزامه الدقيق في التحليل، وعدم قناعته بظواهر النصوص بل كان يغوص في معانيها ومقاصدها للوصول إلى المبتغى، وقد دل ذلك على رجاحة رأي وأصالة فكر، وشخصية علمية فذة.

رابعا: يعتبر السياق اللغوي عند الشيخ ابن باديس، أساسا وركيزة للتحليل اللغوي، بغية الوصول إلى النتائج والحكم عليها، وتوجيهها الوجهة السليمة.
خامسا: إني لأرجو من إخواني الأساتذة القائمين على تدريس مادة التفسير اللغوي، حثّ طلبتنا الأعزاء على قراءة هذا التفسير القيم "في مجالس التذكير"، قراءة واعية، كما أدعو طلبة الدارسات العليا في قسم اللغة والدراسات القرآنية، إلى التفكير في بحث أكاديمي جاد يتناول القضايا اللغوية في كتابنا هذا.
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

ـ القرآن الكريم

*) أثر عن ابن باديس قوله: "شغلنا تأليف الرجال عن الكتب". انظر، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط 1، 1416هـ/1995م، ص 14.

**) ـ وفي تحصيل الملكة اللغوية يقول العلامة ابن خلدون: "اعلم أنَّ اللغات كلَّها ملكاتٌ شبيهةٌ بالصناعة، إذ هي ملَكاتٌ في اللسان، للعبارةِ عن المعاني وجودتها وقصورِها بحسبِ تمامِ الملكةِ أو نقصانِها. وليسَ ذلك بالنظرِ إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة . والملكات لا تحصلُ إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقعُ أولاً وتعودُ منه للذاتِ صفة، ثم تتكرر فتكونُ حالاً. ومعنى الحال أنها صفةٌ غير راسخة، ثم يزيدُ التكرارُ فتكونُ ملكةً أي صفةً راسخة" . مقدمة ابن خلدون ، تح: أ. درويش الجويدي، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط2، 2003، ص554 .

1) - في مجالس التذكير، ص .9
2) المصدر السابق، ص .257
3) - انظر، المصدر السابق، ص 10
4) - ق/45. وانظر، المصدر السابق، ص .26
5) - المصدر السابق، ص.114
6) - آثار ابن باديس، عمار طالبي، الشركة الجزائرية، ط 3، 1417هـ - 1997م، مج 1، ص.78
7) - المرجع السابق، الصفحة نفسها.
8) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدّيَْنَوَري، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص .17
9) - في مجالس التذكير، ص.21
10) - في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 41.
11) - النصر/.1
12) - إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، 1411هـ - 1991م، 1/266 - .267
13) - انظر، في مجالس التذكير، ص 398.
14) - انظر، لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ، مادة "قدمس".
15) - انظر، في مجالس التذكير، ص.40
16) - انظر، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة، ص358.
17) - انظر، في مجالس التذكير، ص65.
18) - انظر، المعجم الوسيط، ص.103
19) - انظر، في مجالس التذكير، ص.264
20) - انظر، المعجم الوسيط، ص.190
21) - انظر، في مجالس التذكير، ص.290
22) - انظر، المعجم الوسيط، ص.72
23) - انظر، في مجالس التذكير، ص.165
24) - انظر، المصدر السابق، ص91 و.137
25) - الفرقان/.1
26) - في مجالس التذكير، ص.153
27) - الفرقان/.20
28) - انظر، لسان العرب، مادة (فتن).
29) - العنكبوت/.2
30) - التغابن/.15
31) - طه/.40
32) - الأنبياء/.35
33) - في مجالس التذكير، ص165 - 166. وانظر، تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري، .260
34) - الفرقان/.32
35) - في مجالس التذكير، ص.178

36) - يس/.12
37) - في مجالس التذكير، ص.309
38) - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط 1، 1412 هـ ص.54
39) - الفرقان/.62
40) - في مجالس التذكير، ص.190
41) - الناس/.1
42) - في مجالس التذكير، ص382 - .383
43) - الناس/.5
44) - في مجالس التذكير، ص284. ولمزيد من البيان انظر، المثل السائر، ابن الأثير، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، 1420 هـ، 161/1 - .162
45) - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974م، 166./2
46) - سبأ/.24
47) - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 166./2
48) - يوسف/.108
49) - في مجالس التذكير، ص.316
50) - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 65./13
51) - البقرة/.177
52) - البقرة/.185
53) - المطففين/.2
54) - الأعراف/.105
55) - انظر، الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين المرادي، تح: د فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1413 هـ - 1992م، ص.478
56) - الإسراء/.58
57) - في مجالس التذكير، ص.124
58) - الفرقان/.62
59) - في مجالس التذكير، ص.190
60) - انظر، الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص228 - .229
61) - مفتاح العلوم، السكاكي، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 2، 1407 هـ - 1987م، ص.277
62) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدّينوري، ص.58
63) - الإسراء/.38
64) - في مجالس التذكير، ص.109
65) - الإسراء/34 - .35
66) - في مجالس التذكير، ص.95
67) - الفرقان/4 و5 و.6
68) - في مجالس التذكير، ص159 - .160
69) - النمل/.18

70) ـ في مجالس التذكير، ص.262
71) ـ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 3/.184
72) ـ شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، لأبي منصور ابن الجواليقى، تقديم: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص.85
73) ـ في مجالس التذكير، ص.100
74) ـ الإسراء/.36
75) ـ قال الفيومي: "وقال في كفاية المتحفظ: القرية كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قرارا وتقع على المدن وغيرها والجمع قرى على غير قياس قال بعضهم لأن ما كان على فعلة من المعتل فبابه أن يجمع على فعال بالكسر مثل ظبية وظباء وركوة وركاء والنسبة إليها قروي بفتح الراء على غير قياس". انظر، المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 2/.500
76) ـ في مجالس التذكير، ص.123
77) ـ الكهف/.59
78) ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، 3/.25
79) ـ في مجالس التذكير، ص.184
80) ـ الفرقان/.34
81) ـ في مجالس التذكير، ص184 ـ .185
82) ـ الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ـ باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تناله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقربين ـ رقم.347
83) ـ في مجالس التذكير، ص297. قال النووي: "وقوله ﷺ إن أبي وأباك في النار هو من حسن العشرة للتسلية بالاشتراك في المصيبة". انظر، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط 2، 1392هـ، 3/.79
84) ـ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 3/.40
85) ـ في مجالس التذكير، ص.47
86) ـ الإسراء/.12
87) ـ الإسراء/.20
88) ـ في مجالس التذكير، ص.58
89) ـ المصدر السابق، ص.142
90) ـ الإسراء/.82
91) ـ في مجالس التذكير، ص.142
92) ـ أخرجه مسلم في صحيح عن أبي هريرة، في كتاب "الصلاة"، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم .215
93) ـ في مجالس التذكير، ص.198
94) ـ الفرقان/.64
95) ـ الناس/.6
96) ـ في مجالس التذكير، ص385 ـ 386.

المصادر والمراجع

1 ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م.
2 ـ آثار ابن باديس، عمار طالبي، الشركة الجزائرية، ط 3، 1417هـ ـ 1997م، مج 1.
3 ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، 1411هـ ـ 1991م.
4 ـ تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدّيْنَوَري، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
5 ـ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
6 ـ الجني الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين المرادي، تح: د فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1413 هـ ـ 1992م.
7 ـ شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، لأبي منصور ابن الجواليقى، تقديم: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت.
8 ـ في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط 1، 1416هـ/1995م،
9 ـ لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ.
10ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح، ضياء الدين بن الأثير، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، 1420هـ.
11 ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
12 ـ مفتاح العلوم، السكاكي، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 2، 1407 هـ ـ 1987م.
13 ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط 1، 1412هـ.
14 ـ مقدمة ابن خلدون ، تح: أ. درويش الجويدي، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط2، 2003.
15 ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط 2، 1392هـ.
16 ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة

رمز الحب و الرحلة في القصيدة الصوفية الجزائرية
سعيد المنداسي الجزائري نموذجا

الأستاذ : الطاهـــــــــــــــــر حسيني
جامعة الوادي/ الجزائر

لا يختلف اثنان أن موضوعة الحب تتمركز كبنية أساسية من البنيات التي بنيت عليها القصيدة العربية، و سيطرت على مضامينها، حتى غدت تقليدا من تقاليدها، يجسده ما يعرف بالمقدمة الغزلية التي صمدت طويلا أمام محاولات التجديد و التغيير. لقد أخذ شعر الغزل حيزا كبيرا في ديوان العرب، ما جعله يتبوأ مكان الصدارة بين الموضوعات المتعـــــــــــــــــددة التي اشتهرت بها القصيدة العربية ،كما أخذ مكانته كذلك في أشعار و آداب الأمم الأخرى .

و شعر الغزل كما نعلم، يصور فيه أصحابه عاطفة الحب، ما يعني قيمة هذه العاطفة و خطورتها في حياة العربي و الإنسانية جمعاء، فالحب هو سر هذا الوجود، به تسعد البشرية ، و بدونه تشقى؛ أعني هنا ذلك الحب السامي، الذي ينطلق من الأنا و يتجه نحو الآخر، ليبني معه عالم البشرية المنشود، الذي تنمحي فيه صور الكراهية، و تترسخ فيه صور المحبة، تلك المحبة التي ترقى بالبشرية إلى صورة المخلوق المثالي العاقل، الذي تنشده الأديان، و يسعى إليه الإنسان ، فليس عجيبا أن تدعو لمثل هذا الحب الشرائع السماوية، و تنـــــــادي به القوانين الوضـــــــعية، و ليس عجيبا أيضا أن نجـد البعض << يبررون خلق العالم بالحب مستندين في ذلك إلى الحـــــــــديث القدسي " كنت كنزا مخفيا لم أعرف ، فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فـبـــــــي عرفوني " باعتبار أن الخلق ناشئ عن المحبة >> [1] .

من الطبيعي إذا ، أن يشغل هذا الحب البشر جميعهم، فمثلما نظم فيه الشعراء، كتب فيه الأدباء ، وتحدث عنه الفلاسفة و الصالحون و الفقهاء، و علماء النفس و الاجتماع، و حتى علماء الدين و الأطباء، كل نظر إليه من زاوية نظر خاصة به، تبعا لثقافته و اتجاهه الفكري و حضارته، و طبيعة تكوينه و عقيدته،

فهذا ابن حزم الأندلسي و هو << رجل سياسة و فقه و قانون >> [2] ، يعرف الحب بأنه << اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع >> [3] . و مثل هكذا تعريف مثلما نلاحظ، فيه من العمق ما يجعله أقرب إلى النظرة الفلسفية، و هي النظرة التي تتعمق أكثر عند الجاحظ، الذي يسمو بالحب إلى العشق الذي يرى أنه مما لا يمكن دفعه، و لا التحكم فيه، فهو يستولي على من أصيب به، فيضعف عوده، و يشحب وجهه، و يسلبه إرادته؛ إذ << هو داء يصيب الروح ، و يشتمل على الجسم بالمجاورة ،كما ينال الروح الضعف من البطش ، و الوهن في المرء ينهكه، و داء العشق و عمومه في جميع البدن بحسب منزلة القلب من أعضاء الجسم. و صعوبة دوائه تأتي من قبل اختلاف علله، و أنه يتركب من وجوه شتى ... فالعشق يتركب من الحب و الهوى، و المشاكلة و الإلف، و له ابتداء في المصاعدة ، و وقوف على غاية ، و هبوط في التوليد إلى غاية الانحلال و وقف الملال >> [4] .

إن الحديث عن الغزل في الشعر العربي، يحتم علينا التمييز بين أنواعه من حيث مضمونه، و دلالة موضوعه، فهناك الماجن الذي يتحدث عن المرأة من غير خجل و لا حياء، يصفها و ينقل تفاصيل صورتها، ولا ينظر إليها إلا كجسد و مادة ،لا يهمه منها إلا تحقيق اللذة، و إشباع الغريزة الحيوانية. و هناك غزل عفيف يتحدث إلى المرأة، متذللا شاكيا آلامه، معبرا عن عواطف سامية طاهرة، بكلام لا يفسد الأخلاق، و لا يتعدى الحدود.

في مثل هذا النوع من الغزل ، تسمو الأفكار ،و ترقى فيه الأحاسيس، ينظر من خلاله الشاعر إلى الطرف الآخر ممثلا في المرأة ، على أنها رمز النماء، ومنبع العطاء ، بها يستمر الوجود، وعليها تقوم الحياة، و قد يتجاوز شعراء الغزل التعبير عن المشاعر و الأحاسيس ، << إلى التعبير عن فلسفة الوجود و الحياة، ليصبح النسيب في حقيقته، و في جذوره النفسية اللاواعية، مظهرا من مظاهر التوق إلى الخلود، بالاتحاد بالجنس الآخر لتأمين ديمومة الحياة >> [5] .

من هذه النظرة الفلسفية الروحانية، و خاصة بعد ظهور الإسلام، ظهر في الأدب العربي، قوم نقلوا الغزل بألفاظه و تعابيره، بأساليبه و صوره، إلى شعر تناولوا فيه حبا آخر غير حب البشر للبشر، انه حب المحبوب فيه قريب بعيد، موجود في

الوجود، لا تراه عين ولا تلمسه يد، و لا يشم مسك روائحه أنف، حب تتعلق فيه النفس بمعشوق أعظم من أن يرتبط بزمان أو مكان، إنه الحب الذي يعرف بالحب الصوفي، أو العشق الإلهي، الذي يتعذب فيه الجسد، و تتألم فيه الجوارح، لتنعم فيه الروح باللقاء و الفناء، إنه الحب الذي انطلق فيه صفوة قوم عرفوا بالمتصوفة، أولئك الذين ترتقي تعابيرهم، و تسمو رموزهم، و إيحاءاتهم و إشاراتهم، إلى الحد الذي يجعل غيرهم غريبا عنهم، فهم في حقيقة أمرهم كما عبر عنهم الجنيد (297ه) أهل بيت واحد، لهم ما يجمعهم و يعزلهم فلا يدخل فيهم غيرهم، وهم قوم أهم ما يميزهم أنهم يعتزلون الخلق ، و يتصلون بالحق [6] و لمثل هذا المعنى أشار المنداسي بقوله :

و اعتزل ما استطعت من كل انس و اجعل الله إن ظللت كفيلا [7].

لقد وظف الشعراء المتصوفة المرأة في أشعارهم الغزلية كرمز، باعتبارها قبسا من الجماليات الإلهية. وعلى هذا الأساس يصبح الحب الصوفي كما يراه المختصون في الدراسات الصوفية، يرتبط بالباطن و يبتعد عن الظاهر، يتجه من العالم السفلي في اتجاه العالم العلوي، قاصدا الذات الإلهية ليعيش في نعيم رياض المحبة، مع الأصفياء من خيار الأمة و الأولياء .

إن التعبير عن مثل هذه المعاني بطبعه، يتطلب عمقا في الفكرة و رمزا في التعبير، و هو ما لا يمكن أبدا أن تحمله لغة خطاب عادية . و عليه، فان هذا النوع من الشعر - اعني الغزل الصوفي – يتطلب لغة خاصة، تتفجر فيها المعاني و الدلالات، و هو ما يحتـــم التأويل و القراءة الشاعرية العميقة، التي لا ينخدع فيها المتلقي بظاهر النص، و إنما يسعى إلى قـــــــــراءة ما وراء ألفاظه و عباراته، من معان و دلالات، مستعينا و متسلحا بما يجب معرفته من طبيعة الشعر الصوفي، و مصطلحات المتصوفة، نقول هذا الكلام من منطلق أن هذا النوع من الشعر، هو شعر رمزي بالدرجة الأولى، له خصائصه الروحية السامية، و عليه، فإن أي متلق إذا لم يدرك جمالية لغته و خصائصها، و لم يعرف حقيقة التصوف و أسراره، لا شك أنه سيتيه فكره ، و يرتبك فهمه ، وبالتالي يضطرب حكمه، و قد يخرج عن حقيقة القصد، خاصة إذا لم يتوفر في النص الدلائل اللفظية أو المعنوية الدالة على التصوف[8] . هذا ما جعل المتصوفة من الشعراء،

يعمدون لتقديم شروح لأشعارهم، تفاديا للالتباس و سوء الظن، مثلما فعل الشيخ الأكبر – كما يسميه المتصوفة – ابن عربي (638 ه) الذي تحدث عن ديوانه " ترجمان الأشواق " في كتابه " ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق " عن المحبة الإلهية و التنزلات الروحية ، و انه نظم في " النظام " الملقبة بعين الشمس التي عرفت بجمالها و علمها، و خلقها و زهدها، و اتخذ منها رمزا أومأ به إلى الحب العلوي، و في ذلك قال:<< نظمنا فيها بعض خواطر الاشتياق ، من تلك الذخائر و الأعلاق ، فأعربت عن نفس تواقة،و نبهت إلى ما عندنا من العلاقة، اهتماما بالأمر القديم و إيثارا لمجلسها الكريم ، فكل اسم أذكره في هذا الجزء فعنها أكني ، و كل دار أندبها فدارها أعني ، و لم أزل فيما نظمته في هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلهية ، و التنزلات الروحانية ، و المناسبات العلوية ،جريا على طريقتنا المثلى...و الله يعصم قارئ هذا الديوان من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية، و الهمم العلية المتعلقة بالأمور السماوية .آمين >>[9].

و الأكيد أن صورة المتصوفة في مخيلة العوام، كما في مخيلة الخواص، هي صورة لجماعة يطغى عليها الطابع الديني، و ربط الحديث عنهم بالحديث عن المرأة و الحب، قد يثير السؤال عن حقيقة هذا الحب، بل قد يوقع البعض في الالتباس، و لعل هذا ما يحتم الإشارة إلى ما يطمئن النفس، و يزيل اللبس، عندما نعرف أن هؤلاء انطلقوا في كل ذلك من منطلق ديني، فجاء خطابهم في الحب مرتكزا على الآيات القرآنية، و الأحاديث النبوية، فهم يعتبرون أنفسهم من المشمولين بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[10]. و يؤكدون على قوة إيمانهم بقوة حبهم لله، تناغما مع قوله تعالى : ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾[11] ،كما وجدوا ضالتهم في دعاء داوود عليه السلام : << اللهم إني أسألك حبك، و حب من يحبك، و العمل الذي يبلغني حبك ،اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي،و أهلي و الماء البارد >> رواه الترمذي. هكذا يتجلى بوضوح ،أن المحبوب عند المتصوفة ليس المحبوب عند غيرهم، و المتصوفة و إن اختلفت طرق تعابيرهم، و إشاراتهم إلى من

يحبون، إلا أن المحبوبين عندهم جميعهم يرتبطون بصورة أو بأخرى، بمحبوب مقدس واحد عكس ما نجده عند غيرهم من بني البشر ؛ فقد أحب امرؤ القيس امرأة، و أحب أبو جهل اللات و العزى، و مناة الثالثة الأخرى، و أحب قارون الذهب، و أحب الرئاسة أبو لهب ، فهل نجا أو فاز منهم أحد، كلا ،لأنهم لم يحبوا من يجب أن يحب .

ما سبق من كلام، يجعل حديثنا عن موضوعة الحب في شعر الغزل الصوفي، حديثا مشروعا، بل أن هذه الموضوعة تستحق الوقفة و الدراسة، نظرا للحيز الضخم الذي تحتله في دواوين أشعار المتصوفة من الشعراء ، المعروفين منهم أو المغمورين، كما هو الشأن مع المنداسي، الشاعر الجزائري [12] الذي عاش في القرن الحادي عشر، و ترك قصائد عديدة، ملحونة و فصيحة، جمع بعضها رابح بونار و أصدرها في ديوان * لم يلتفت إليه الدارسون ، و لم يهتم به إلى اليوم الباحثون ، و مرد ذلك يعود – أغلب الظن - إلى عدم اشتهار صاحبه من جهة ، و قلة قصائده من جهة أخرى ، و رغم ذلك فإن هذه القصائد – على قلتها - تجلت فيها موضوعة الحب كبنية أساسية، باعتبارها من أساسيات القصيدة الصوفية التي ركز عليها المتصوفة، رغبة منهم للوصول إلى عمق المخاطب ، ولفت انتباهه، عندما رأوا أن الغزل أكثر قربا من النفوس، و أكثر تأثيرا في القلوب، عليه يقبل البشر، و لأبياته يحفظون ، و بها يترنمون.

و كغيره من الشعراء الذين اتخذوا التصوف نهجا دينيا و فكريا، اتخذ المنداسي من لغة الغزل العذري و صوره ، وسيلة للتعبير عن حبه الصوفي، و كأني به هو الآخر، لم يستطع -كسابقيه من المتصوفة - أن يخلق تقاليد لغوية و صورا خاصة به، يعبر بها عن مشاعره و أحاسيسه و تجربة حبه نحو معشوقه .

لقد جاء الغزل، أو بالأحرى الحديث عن الحب عند المنداسي، بصورة تكاد تتطابق مع غزل العذريين، إذ سار على نهجهم، و استعار لغتهم، و جرى شعره في ذلك مجرى أشعارهم، فقد تأوه و تألم، تعذب قلبه و دمعت عينه ، هزل جسمه و اصفر لونه ، حرم الوصال و ذاق مرارة الذل و هوان الفراق، و بكى الأحبة و لام العذال :

كيف يسلو من كان للحب دالا و
تســــــــربل أنينه حيـــــــــــــث دارا
أول الأمر كان للحب جـــــــــــارا
فاستوى الحب بعـــــــد ذاك فخارا
أفي شرع الهوى يعذب قـــــــــلب
أبـــــــــــــــــدا بالديار يبكي الديارا
يا قضاة الهوى علمتم بأمـــــــــري أن
لـــــــي منه رقـــــة و اصفـــــــرارا
ما اقتضى حكمكم علـــي فانـــي في سبيل
الهوى أموت مـــــــــــرارا [13]

لا شك أن مظاهر العذاب و الآلام التي ذكرها الشاعـــر، تدخـــــــــل فـــي بـــاب المجاهدة ؛ مجاهدة النفس من أجل ثنيها عن لذة الدنيا، و وضع حجاب بينها و بين ظاهر المتعة. ذلك ما يصر عليه المتصوفة الذين يتمتعون بهذه المجاهدة و يتلذذون ، باعتبارها تمثل عندهم أول الطريق للوصول إلى حقيقة المعشوق . فلا نتعجب إذا عندما نجد الشاعر يدعو إلى هذا العشق الصوفي ، الذي يعتبره رغم الآلام أحلى من العسل:

معشر العشاق موتوا في الهوى إن موت العشق
أحلى من عسل [14]

إلا انه يذكر كل سالك لهذا السبيل، أن الأمر ليس هينا، من منطلق أن المجاهدة إنما هي حرمان النفس مما تشتهيه من ملذات الدنيا، و هو ما يعني أن القلوب ستحمل حملا ثقيلا ، يتمثل في ذلك العشق الذي لا يقدر على حمل تبعاته - في نظر الشاعر- إلا أصحاب الأسرار من المتصوفة.

هذه المعاني ألمح إليها الشاعر بقوله:

قل لأهل الغرام أنا سنلـــــقي للقلوب
الرقـــــــــــــــاق قولا ثقيلا [15]

و لا يخفى علينا ما في البيت من تناص قرآني، دال على الطبيعة الدينية لشعر المنداسي .

و قال في موضع آخر :

لن تنالوا الوصل حتى تنفقوا من عزيز النفس في
اثر الامـــــــــــل[16]

وهكذا يصبح الوصل صعب المرام لن يناله إلا من ينفق من أعز ما يملك .و في ذلك جمالية تتمثل في تقاطع هذا المعنى تناصيا مع

القرآن الكريم في قولـــه تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبّونَ ﴾[17].

و رغم أن الأمر يتعلق بغزل غير الغزل العادي، و معشوق فرد لا يشبهه أحد ، إلا أننا نجد الشاعر لا يختلف في طريقة تعبيره، و طبيعة أفكاره ، عن الشعراء العذريين، فهو في سبيل هواه يموت و لا يبالي، و قبله تمنى الموت شيخ العذريين ، بن معمر إذا قدر له أن لا يصل إلى من أحب :

يا ليتني ألقى المنيـــــــــــــــة بغتة إن كان يوم لقائكم لم يقـــــــــــــــدر [18].

كما فضل قيس بن ذريح الموت عن بعد الحبيب وعدم لقياه:

فان الموت أروح من حيـــــــــاة تدوم على التبـــــــــــــاعد و الشتات [19].

و لأن هذا الأمر جلل ، فقد وجد الشاعر نفسه مضطرا أن يبرر هذا العشق، و يثبت الصدق فيه ، و يقدم البرهان على حقيقته ، انطلاقا من ذاته و معاناته :

إن لي آية من العشق كبـــــــــــرى لو وجـــــــدت من الزمان اختيـــــارا

آية الصدق مني أننـــــــــــي إذا مت عليـــــــــه فعـــــــــــــاد لـــــي أنوارا [20].

إن طريق العشق الذي سلكه الشاعر، هو في نظره طريق الحق الذي يوصل إلى حقيقة هذا الكون ، و بالتالي المعرفة الحقيقة بمبدعه، لأن هذا العالم في نظر المتصوفة، قائم في الأساس على الحب المثالي، الذي يعتبرونه نواة الحياة الروحية. و على هذا الأساس نجده يرحب به رغم قسوته، بل يجعله بالنسبة إليه يمثل كل شيء :

مرحبا بالغرام أهلا و سهـــــــلا لولا أنه في البـــــواطن نـــارا

هو سؤلي و موئلي و اختياري منه بين الورى لبست إزارا [21].

إن ما تقدم من أبيات مختارة ، فيها حديث عن الحب لسعيد المنداسي، لا نكاد نجزم انه حب غير عادي كما سلف ذكره .و حتى لا يتيه المتلقي و تختلط علية أمور التأويل، و كما هي العادة في كثير من قصائد المتصوفة ، فإننا عندما نتتبع أشعارهم بروية، و نقرأها قراءة شاعرية، لا بد أن نقع فيها على إشارات دالة ، قد

تكون عند البعض و واضحة جلية، و قد تكون عند آخرين غامضة خفية، لا يكتشف أمرها إلا دارس فطين متخصص . و على هذا الأساس، فإن الأكيد، أننا عندما نقرأ شعر المنداسي في الحب، سنجد فيه - في الغالب *- ما يدل على أن الأمر عنده يتعلق بالعشق الإلهي، و هو ما توحي به بعض القرائن التي تمثلها الألفاظ التي لا تتماشى في دلالتها مع الحب العذري ،أو لنقل مع الحب العادي بين البشر، و إنما نجدها كثيرا ما تتكرر على ألسنة المتصوفة قال المنداسي :

كيف يسلو من كان للحب دارا و تسربل أنينه حيـــــــــث دارا

و ادعى أولا من الوجـــــــــد قربا و تأخر لم يجد إنكـــــــــــــارا

كم علوت منابر العشـــــــــــق حبا فاكتسبت سكينة و وقـــــــارا

ما الفتـــــــى للأمور إلا إنـــــــــــــــاء وفي رشح الأنا ترى الأســـــرارا [22]

من الألفاظ التي جاءت هنا كقرائن دالة على أن الأمر يتعلق بالغزل الصوفي، و حاملة في ذاتها شحنات دلالية صوفية : " الوجد " " العلو " " السكينة "" الوقار " و " الأسرار " فكلمة العلو التي ربطها الشاعر بمنابر العشق، تحمل دلالة السمو في الحب ،ما يجعل الحب عندهم درجات. أما السكينة، فهي في نظرهم تلك الحالة التي تتنزل على عباد الله الذين اصطفاهم، و رضي عنهم، و هي دليل الطمأنينة المرتبطة بالباطن، و لا أظن أنني مخطئ عندما أقول أن ذلك أقصى ما يريده المتصوفة فـــــ << السكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها، و سكنت إليها الجوارح و خشعت و اكتسبت الوقار، و أنطقت اللسان بالصواب و الحكمة، و حالت بينه و بين قول الخنا و الفحش، و اللغو و الهجر و كل باطل، و كثيرا ما ينطق صاحب السكينة بكلام لم يكن عن فكرة منه، و لا روية ولا هبة،و يستغربه هو من نفسه، كما يستغرب السامع له، و ربما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه، و أكثر ما يكون هذا عن الحاجة ،و صدق الرغبة من السائل، و صدق الرغبة منه هو إلى الله، و الإسراع بقلبه إلى بين يديه و حضرته، مع تجرده من الأهواء >> [23]

وفي كثير من الأحيان، يربط الشاعر بين الغرام و لحظات نشوة السكر، بل يعتبر أن في السكر أسرارا لا يعرف حقيقتها إلا الكرام. و لا شك انه بذلك يقصد المتصوفة، الذين تجذبهم الخمرة إليها، بينما ينفر منها غيرهم فيحرمون من خير عميم قال المنداسي :

إن للحب في الدجى قوم فتك هجروا النوم و استباحوا العقارا
فمن الرشد للفتى إن تـــــــراءى لمعان الكؤوس يبدي وقـــــــــارا
در كؤوس المدام انـــــك ميت و احذر القوم أن للعذل جـــــارا
فنفوس الكـــــــرام تدنو لشرب و نفوس اللئام تبـــــــــــدو نفارا [24]

إن هذه الخمرة و هذا السكر في هذا المقام ،يجب أن ننظر إليه بعيدا كل البعد عن مفهوم الخمرة العادية ، و طعمها ، و تأثيرها ، و صفائها، إنها خمرة المعرفة الباطنية التي يشربها العارفون، فيثملون و يتأثرون و يتلذذون، و نشوة السكر هذه هي نشوة الحب الصوفي، تلك النشوة النورانية التي تضفي على صاحبها الوقار، و التي لن يصلها العاشق إلا إذا بلـــــــــغ درجة معينة من السمو الروحي.

إن المطلع على ديوان المنداسي، يمكنه أن يقف كذلك على غزل آخر؛ نعني به ذلك الغزل الذي يمكن أن نسميه الغزل المـــحمدي، و الذي يتغني فيه الشـــــــاعر بحـــب خـــــــير عباد الله قاطبة، المصطفى محمد صلى الله عليه و سلم، و هذا النوع من الغزل اتخذه الشاعر مقدمة للعديد من قصائده في المدح النبوي، و يبدو انه بذلك أراد المحافظة على تقاليد البناء الهيكلي للقصيدة العربية القديمة، من خلال اعتماد المقدمة الغزلية .

إن ربط هذا الغزل بموضوعة المديح النبوي وحده، في قصائد لم تتناول غير هذه الموضوعة، << يحملنا على أن نعـــــــتد هـــــذا الغزل ضـــــــــربا من الأدب الرمزي يتغزل فيه الشاعر بأشخاص معنوية >>.[25] رغم أن ظاهر معاني الأبيات تحيل إلى الغزل ذي الطابع المادي .
يقول المنداسي في نموذج لذلك:

أرذاذ المزن من عيني نـــــــزل أم دموع الشوق إذ رق الغـــــزل

أبعيني ديمـــــــــــــة و كافـــــــــة أم شعيب للنوى منها انبـــــــــزل

مذ دعاني البين و الدمع على صحن خدي وابل يهمي و طل [26].

إن أول ما يلفت الانتباه في هذه الأبيات، هو الربط بين الشوق الباطن و البكاء الظاهر، من خلال الدمع كلفظة مفتاحية ذات دلالات متعددة؛ فقد تدل على الألم أو الحزن أو الفرح أو غيرها، إلا أن الشاعر هنا وظفها توظيفا فيه جمالية، لترتقي في دلالتها على تلك العيـــــــــــن التي لا تمسها النـــــــــار، تلك التي أشار إليها الحديث النبوي << عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، و عين باتت تحرس في سبيل الله >> [27]. و الجميل عند الشاعر في هذه الأبيات، و الذي يمكن أن نتخذه قرينة على أن الحديث لا يتعلق بالحب العادي، هو ربط الدموع بمختلف أنواع المطر النازل من الأعلى ،و الذي يمثل الغيث .و عندما ينمو شوق اللقاء يزداد الدمع ليغدو طـــــوفانا يخشى فيه الهلاك ،و الهلاك هنا يعني الخشية من عدم الوصول إلى الحبيب محمد صلى الله عليه و سلم و عدم العيش معه في جنة الخلد.

و يستمر الشاعر على نفس النهج، وبنفس طريقة التعبير التي استعارها من طريقة الشعراء العذريين، يعبر عن معاناته من الهوى، معاناة سببها ألم الباطن الذي يتجلى عند الشاعر في الظاهر دمعا على الخد، و اصفرارا في الجسم يقول:

لا تقل قلبي إن الهوى مســـــتتر سره في الخد تبديـــــــه المقـــــــل

ضقت ذرعا بين خوفي و الرجا فاعترى جسمي اصفرار و خـــــلل [28]

ليصل بعد معاناة و طول ألم يتماشى مع عدد الأبيات التي مثلت موضوعة الحب، إلى اللحظة التي يعترف فيها بأن حبيبه قد سكن القلب، و لم يترك لغيره في القلب مكانا،و يصرح مباشرة بان حبيبه الذي قصد، و بحبه تغني، إنما هو صاحب الحسن الذي به حسّن الله الحسن :

كيف و الحسن بقلبي قاطن لم يرق طرفي جمال مذ نزل

حسّن الله بـــــه الحسن و في حسنه ســـــــر بديـــــــــع للمقل
هل رأيتم أو سمـــــعتم حسنا في الورى من حسنه اكتمل
كالرسول العربي أكـــــرم بـــه مذ بدا الشرك اضمحـــــــــــل [29]

من المعلوم أننا لا نكاد نجد قصيدة في الحب العذري ، تخـــــلوا مــن الحديث أو الإشارة إلى العواذل؛ أولئك الذين بمجرد بوح الحبيب بحبه، يظهرون على مسرح الأحداث يمثلون المعيق، الذي يحول بين المحب و إتمام تجربته مع من أحب، و لما كانت تجربة المنداسي ارتكزت على نفس ما ارتكزت عليه تجارب العذريين، فانه عبر على ما عاناه من هذا الصنف من البشر، و كيف وقف أمام لومهم و عتابهم متسلحا بقناعته بنهجه،و قيمة حبه، مبرزا عدم استجابته لهم، ملمحا إلى صفاء حبه و نقاء عواطفه. من ذلك قوله :

دع عذولي اللوم إني شائق رق طبعي دون صنعي في الأزل [30]

في هذا الخطاب مثلما نلاحظ اختار الشاعر – عن قصد أو عن غير قصد – توظيف فعل الأمر، و الأمر في لغة العرب طلب القيام بالفعل على وجه الإلزام، و عادة ما يصدر ممن هو أعلى درجة إلى من هو أدنى، و هكذا يرتفع الشاعر و يسمو عـــن العذول، وفي هذا تسبيق دلالة على عدم الاستجابة، و هو ما يقره الشاعر ملمحا إلى أن ما اقبل عليه، اقبل عليه مجبرا و لا خيار له فيه ، باعتبار أن دَقة قلبه هي خارج إرادته، و اشتياقه و رقة طبعه ليست من صنعه، و إنما خلقت معه منذ الأزل، فلا سبيل لتغييرها أو الوقوف في وجهها.

وحتى إن تدخل الطرف الثالث، فموقف الشاعر باق على حاله، لا يتغير و لا يتبدل، فالمحبوب أعظم من أن يرتد عن حبه، وهو يمثل الحق، و قد يمثل الطريق إلى الحق، و الشاعر في كل هذا لا يساوم ولا يناقش فبأذنيه صمم مثلما قال :

لا تلمني دون لوم عاذلي فبسمعي صمم عمن عذل [31]

و قال :

قل ما استطعت عدولي السمع في شغل عنك فقلبي لمن أهواه معمور

و الملفت للانتباه عند المنداسي، أننا لا نكاد نجد قصيدة من قصائد ديوانه تخلو من الحديث عن العذول، و في بعض الأحيان مناقشته و مجادلته، و قد يصل إلى حد تعنيفه، إذ يعتبره حجر عثرة أمامه، يعيقه عن الوصول إلى الغاية العظمى المتمثلة في العيش رفقة المحبوب أو في كنف المعشوق

أيها العاذلون خلـــــــــــوا سبيلي إنني بالبكا اشتهرت اشتـــــهارا

لو رأيتم من الهوى ذات لهب طرحت فـــــي الفؤاد منه جمارا [32]

و قال :

خل السبيل فان السر مستتر عنك و أنت على الأسرار مستور [33]

إن طبيعة المعاني الواردة في الأبيات السابقة، وتنبيه العذول إلى السر و الستر، يجعلنا نقول مطمئنين أن العذول المقصود ليس أبدا ذلك الذي تحدث عنه شعراء الغزل العذري،و المشتهر في أغلب الأحيان بالوشاية و إنما يمكن تأويل - و التأويل حق المتلقي للأدب الصوفي - المقصود بالعذول هنا، تلك الطائفة من الفقهاء الذين يحكمون بالظاهر، و ينكرون على المتصوفة مغالاتهم في الانغماس في علم الباطن، و لعل ما يمكن أن يتخذ كمؤشر دال على الصراع بين المتصوفة و الفقهاء هو الحد الذي وضعه الشاعر بينه و بين عذوله، حيث يغدو لكل منهما سبيله الذي يختلف على سبيل الآخر، فالسر وهو من خصوصيات المتصوفة مستتر عن العذول حاضر مع الشاعر كما يوحي بذلك الشطر الثاني من البيت السابق .

هكذا يتضح جليا أن شعر المتصوفة في الغزل، شعر مفتوح للتأويل،التأويل الذي يشترط أن يكون من المتخصصين، حتى يؤتي أكله، و يعمق العلاقة بين القارئ و الأدب الصوفي .

و من خلال كل ما تقدم بدا المندسي عاشقا ساعيا بعشقه إلى الأعلى، رغبة منه أن يصل إلى المقام الذي فيه تطيب النفس، و تستريح الروح ،و تنعم بنعم ما بعدها نعم .

من منطلق أن المحب إذا أحب إلى من أحب ارتحل، و باعتبار أن المنداسي ظهر في صورة المحب، فإن ربط حديثه عن الحب

بالرحلة يصبح أمرا مشروعا، كما هو الشأن في الشعر الصوفي عموما.

و الرحلة هي قدر الإنسان، فرضتها عليه طبيعة الحياة، و هي في أبسط معانيها الانتقال من مكان إلى آخر، بدافع محدد و هدف مقصود ،و قد فتن العرب كغيرهم من البشر بها ، فأخذت حيزا كبيرا في تراثهم الأدبي شعرا و نثرا، و لا يخفى على دارس أن موضوعة الرحلة تعتبر من بين الموضوعات التي بنيت عليها القصيدة العربية القديمة، و قد كان الشاعر في ذلك العهد يتخذ من الأماكن التي هجرها الأحبة نقطة انطلاق في رحلة بحث عنهم، محركه في ذلك شوق اللقاء ،و غرضه الوصال، في هذه الرحلة عادة ما يبرز من خلالها الشاعر ما لاقي من المتاعب ، من عطش تيه و مخاطر ، و تتنازعه فيها مجموعة << من الأحاسيس و المشاعر الدرامية التي تلون مقاطع الرحلة بألوان من الحزن و الأسى نتيجة الفراق >> [34] .

أما إذا انتقلنا إلى القصيدة الصوفية، فإننا سنجد شعراء هذا النوع من القصائد، لا يختلفون عن غيرهم من حيث الأساليب و اتخاذهم الرحلة وسيلة للوصول إلى المحبوب، إلا أن رحلاتهم حملت معان سامية، باعتبارها رحلات في اتجاه الأعلى، تنطلق من المدنس لتتجه نحو المقدس، و بالتالي فان صاحب الرحلة وعلى امتداد مسافتها، يمر بمحطات هي في حقيقة الأمر محطات لتنقية النفس و تطهيرها، للانتقال من درجة إلى أخرى من درجات المتصوفة، قبل الوصول إلى الدرجة القصوى المتمثلة في الوصول المعشوق و الحلول فيه ، وعلى هذا الأساس يصبح كل ما في هذه الرحلة يعتبر رمزا إلى شيء آخر، يمكن الوصول إليه من خلال التأويل. و المنداسي كغيره من الشعراء الذين نهجوا نهج المتصوفة، لم يخرج عن القاعدة، فتجلت في شعره موضوعة الرحلة بصورة بارزة، من ذلك قوله:

قف بنا حادي السير حتى نرى بالعـــــــرا دارا عهدنا و الطلل

ســـــــر بنـــا نحو أثيـــلات الحمى عل منا البرء يسري في العلل [35]

الملفت للانتباه هنا هو المزج بين الرحلة و الطلل، فالشاعر استبد به الشوق إلى تلك الدار و الأطلال التي عهدها، ليطلب من الحادي أن ينطلق به في رحلة ، لا للنزهة و الترفيه و الاستمتاع،

و إنما لطلب الشفاء من سقم لا نظنه إلا سقم النفس، أو بالأحرى دنسها، الذي يسعى و يجاهد من أجل البرء و التطهر منه، هكذا يتجلى بوضوح أن الغرض ليس الوصول إلى محبوب عادي، يضمه و يعانقه، و قد يذرف دمع حرارة اللقاء معه ،و إنما الوصول إلى معشوق لا يمكن أن يكون مـــعه بجسده ، بل بروحه الطاهرة ،لأن المحبوب محمدا ﷺ - و هو المقصود - في عالم آخر غير العالم الذي يعيشه الشاعر، و عليه كان حديثه على ما يرتبط بهذا المعشوق من آثار و معجزات شاهدة على عظمته، و سمو مكانته ،هكذا ينقلنا الشاعر من المعاني الظاهرة إلى المعاني الخفية، محتما علينا القراءة الشاعرية ،تلك القراءة التي تجعل المتلقي يتلذذ بالمعاناة الفكرية، مثلما يتلذذ الشاعر بالمجاهدة و المعاناة الظاهرية و الباطنية .

و من أجمل صور توظيف الرحلة عند المنداسي ما جاء في رائيته " دعني عذولي " حيث قال :

دعني عذولي فان القلب مســـــــــطور لما علـــــــي من الهجـــــــران مســـــــطور

مالي أرى العين لا تهمى مدامـــــــــعها و الوصف في عصمة التسويف محجور

فما الحياة و حبل المـــــــرء منفصـــــم و ما النجاة و قلب الأمـــــــن مكـــــسور

كأن يـــــــوم النوى و العيـــــــس واقفة بين الخيـــــــام و للجمـــــــــال تشمير

فالعين مـــــرها و قلبـــــي فـي تقلبـــــــه و الركب في البيد منـــــــــظوم و منثور

ما كنت أسلو و كان القلب في طرب كيف و قلبي بذات البيـــــــــن مذعور

أبكي الديار و لا في الدمـــــع منقصة ما نام طرف و رب الطـــــــرف مهجور

يا عاذلي لو رأيت العيس فـــي ولـــــــه و للدليل أمـــــام الركـــــب تكبيـــــر

ما كنت تعذل في المحبوب عاشـــقه و قلبـــــــه كأكاف الرحـــــــــل مهجور

نار الصبابة قبـــــل الحـــشر أوردهـــــا قلبي ليشفع لـــــــي فـــي الموقف النور [36]

إن المعاناة كما نعلم ملازمة للرحلة عبر مختلف مراحل التاريخ، و عند جميع الأمم ؛إذ المعلوم أن الرحلة تبنى أساسا على بنية السفر، و السفر كما يقال قطعة من العذاب . و الملاحظ أن رحلة الشاعر لم تخرج عن هذا المفهوم، يؤيد ذلك ما ورد في الأبيات من الألفاظ الدالة على المعاناة و الألم، فالقلب عبث فيه سيف البين و الفراق فجعله مسطورا، و العين انهمرت دموعها و أصابها المرض و أهلكها الأرق، إنها مظاهر للألم تبدو للعيان واضحة يراها الصديق كما يراها العدو، و هي في حقيقة الأمر تعبير عن ألم الباطن، ألم النفس و أنات الروح، و لو بحثنا عن سر هذا الألم و المعاناة، لوجدنا الأساس هو الفراق ، و البعد عن الذات الإلهية المعبر عنه "بالبين " و " النوى " . ما يعني منطقيا حضور طرفين أساسيين في هذه الرحلة :" المحب " و " المحبوب " كشخصيتين محوريتين تمثلان طرفي المعادلة الصوفية، إضافة إلى العذول و الدليل؛ أما العذول فيمثل المعيق - تمت الإشارة إليه سابقا- و الذي سعى الشاعر للتخلص منه " دعني عذولي ..."و أما الدليل و الركب فيمثلان المساعد باعتبارهما يشاركان الشاعر في نفس الاتجاه و لو أن الشاعر يضع نفسه في مقام متميز عنهم :

أنا فرد الزمان و العشق فرد فابتل أمرنا تر الاكبارا [37].

من خلال كل ما تقدم يتضح أن رحلة المتصوفة و الرحلة العادية بينهما تشابه كبير، و لا يختلفان إلا في طبيعتيهما باعتبار أن الأولى هي رحلة نحو حبيب من البشر العاديين في الدنيا مكانها الأرض، و زمانها زمن المحب، أما الرحلة الصوفية فهي رحلة زمانها غير الزمان، و مكانها غير المكان، هي رحلة دوما نحو الأعلى، الغرض منها تطهير النفس للوصول إلى المقام الأعظم، مقام الأنبياء و الشهداء والأولياء و الصالحين، يوم لا ظل إلا ظله و لا شفاعة إلا لمن ارتضى .

نار الصبابة قبل الحشر أوردها قلبي ليشفع لي في الموقف النور [38]

و في الأخير، هناك بعض الملاحظات التي لا بد من الإشارة إليها فيما يتعلق بشعر المنداسي، منها أن الشاعر في حديثه عن الحب، لم يوظف أبدا اسم امرأة و لم يخرج في قصائده عن الحديث عن الذات، أما فيما يتعلق بالمحبوب، فقد عبر عنه عادة بضمير

المذكر الجمع، و كل ذلك يمكن أن يكون من المؤشرات الدالة على أن غزل الشاعر إنما هو غزل صوفي، ما يعني أنه خاض تجربة شعرية صوفية تبدو في عمومها تجربة بسيطة، ما يحتم الاعتراف إنها تجربة لا تصل أبدا إلى تجارب رواد الشعر الصوفي و شيوخه ،كرابعة العدوية و ابن الفارض و ابن عربي و غيرهم . رغم ذلك يبقى شعر المنداسي يمثل مجالا بكرا ينتظر الاهتمام من الباحثين و دارسي الأدب.

الهوامش :

1- عاطف جودة نصر، شعر عمر بن الفارض دراسة في فن الشعر الصوفي، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان، ط 1، 1986م ، ص: 250.
2- ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، تقديم و تحقيق فاروق سعد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، دط ، 1980، ص: 8.
3- نفسه ، ص: 61.
4- أبو عثمان عمر بن بحر /الجاحظ، رسائل الجاحظ، مطبعة التقدم شارع محمد علي مصر دط، دت، ص:.165
5- مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني الرؤيا و التشكيل دراسة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق،د ط ، 2002، ص: 67.
6- عاطف جودة نصر، المرجع السابق ، ص: 15 و ما بعدها.
7- سعيد بن عبد الله المنداسي، الديوان ، تحقيق و تقديم رابح بو نار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، دط ، دت، ص:.49
8- ينظر، مختار حبار ، المرجع السابق، ص: 96.
9- محي الدين بن عربي ، ذخائر الأعلاق شرح ترجما الأشواق،المطبعة الأنيسية بيروت ، 1312ه ، ص:4
10- سورة المائدة الآية 54.
11- سورة البقرة الآية 165.
12- هو أبو عثمان بن عبد الله المنداسي الأصل التلمساني دارا و منشأ عاش بتلمسان في القرن الحادي عشر حيث درس وتعلم علوم عصره كالنحو و الصرف و البلاغة و العلوم الشرعية
قال الشعر الفصيح و الشعبي إلا أن أغلب أشعاره ما زالت إلى اليوم في حكم الضائعة لم يجمع منها إلا ما هو في الديوان الذي حققه الأستاذ رابح بو نار و نشره أغلب الظن في العام 1976 .
انتقل الشاعر إلى المغرب وعاش في كنف السلطان مولاي إسماعيل بعد توليه الملك في العام 1082ه و قد نال منه العطاء الوفير نظير مدائحه . الراجح ان الشاعر توفي في العام 1088.

* في هذا الديوان الكثير من الارتباك في الأوزان و المعاني يمكن العودة إليها من خلال إشارات المحقق .
13- سعيد بن عبد الله المنداسي، الديوان ، ص: 53.
14- نفسه، ص:35.
15- نفسه، ص:.47
16- نفسه، ص:.35
17- سورة آل عمران الآية .92
18- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولسية لبنان، ط10، 1980، ص: .250
19- شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ،دار المعارف بمصر، ط 6، دت ، ص: .365
20- المنداسي ، الديوان ،ص:.54
21- نفسه، ص:55.
* نجد كذلك عند الشاعر ما يمكن أن نطلق عليه الحب المحمدي المتعلق بحب رسول الله صلى الله عليه و سلم كما سيتضح لاحقا .
22- المنداسي ، الديوان، ص:.53
23- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، منازل السالكين بين منازل " إياك نعبد و إياك نستعين "، ضبط و تحقيق رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع القاهرة، الطبعة الأولى 2001م، ص: .209
24- المنداسي ، الديوان ، ص: 57.
25- نفسه، ص: .25
26- نفسه، ص:.31
27- محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي ، رياض الصالحين، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة، المكتبة العصرية صيدا بيروت،دط،دت، ص:.176
28- المنداسي ، الديوان ، ص:.32
29- نفسه، ص: .40
30 - نفسه، ص:32
31- نفسه، ص:.33
32- نفسه، ص:.56
33- نفسه، ص:.68
34- مختار حبار ، المرجع السابق، ص:.84
35- المنداسي ، الديوان ،ص:.38
36- نفسه، ص: 67- .68
37- نفسه، ص: .54
38- نفسه، ص:69.

دراسات التاريخ

العلماء والسلطة بالمغرب الأقصى:

مسألة التجنيد خلال عصر السلطان العلوي المولى إسماعيل أنموذجا (1672-1727م)

العلماء والسلطة بالمغرب الأقصى:
مسألة التجنيد خلال عصر السلطان العلوي المولى إسماعيل أنموذجا (1672-1727م)

الدكتور الحاج ساسيوي الفيلالي أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المركز الجهوي للتكوين مكناس-المملكة المغربية.

توطئة :

من المعلوم، أن أية دولة تبتغي الاستمرارية والحفاظ على استقرارها واستقلالها، وفق تراتبات معينة، تعمل على تأسيس جيش نظامي، لذلك ارتأى المولى إسماعيل،ضمن سياسته العسكرية، تجنيد كل العبيد المتواجدين بالبلاد، هذه السياسة التي نهجها السلطان، تكون قد وضعت حدا فاصلا بين مكونات "المؤسسة العسكرية" في عهد سلفه المولى الرشيد[2]، والمعتمدة في الغالب على التحالفات القبلية، وبين تشكيل قوة عسكرية مستقلة،لها ارتباط وحيد ومباشر بالسلطان.

فما هي السبل والوسائل التي سلكها المولى إسماعيل لبلوغ هذا الهدف؟

وما هي الأسس والدعائم التي ارتكزت عليها فئة العلماء (النخبة المثقفة) للوقوف في وجه المشروع الاسماعيلي؟ هل هي تجريد القبائل من السلاح، وبالتالي حرمناهم من واجب الجهاد على حد قول الحسن اليوسي[3]؟أم أن المسألة تتعلق بنصرة واجب شرعي، قد تكون هي حرية الإنسان، كما ذهب إلى ذلك جسوس[4]؟ أم غير ذلك؟.

1-عملية الجمع والتأسيس:

يذكرالمؤرخون أن المولى إسماعيل قد ولع بجمع العبيد، قصد تنظيمهم في سلك الجندية، فانطلقت العملية من مدينة مراكش

وأحوازها، وقبائل الدير تحت إشراف الباشا عليليش[5] ،" ...فلم يترك بتلك القبائل أسوداً، سواء مملوكا أو حرطانيا[6]، فجمع في سنة واحدة ثلاثة ألاف نفس،منهم المتزوج وغيره، فكتبهم في دفتر، ووجهه للسلطان"[7]؛ ثم عممت هذه العملية لتشمل باقي أنحاء البلاد، حيث أنيطت مهمة ذلك بقواد الدولة الكبار، "... فجمعوا كل ما وجدوه، حتى لم يبق أسود بالمغرب، في حاضرة ولا بادية، ولو كان حرا أسود او حرة سوداء..."[8].

ولما كان المولى إسماعيل يعتبر "... اتخاذ الجند عدة الله في أرضه، وبه حماية بيضة هذه الأمة"[9]، فقد عمل على تنظيم حملات نحو تخوم السودان، لجلب المزيد من العبيد "... وامتدت الطاعة والحمد لله لنا- يقول المولى إسماعيل- في بلاد القبلة،وما والاها من بلاد الأكوار والسودان"[10]. ويشير"دولفوس" إلى حملة أخرى قام بها ابن أخ السلطان إلى تومبوكتو، عاد على إثرها بالعديد من السود[11].

وبعد انتهاء عملية الجمع أضفى السلطان وساما على جيشه، ذا مسوح شرعية كرمزية تنسب إلى "صحيح البخاري"، فقد أورد الناصري أن "سبب تسمية هذا الجيش بعبيد البخاري، أن المولى إسماعيل... جمع أعيانهم، وأحضر نسخة من "صحيح البخاري"؛ وقال لهم: أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله، وشرعه المجموع، في هذا الكتاب، فكل ما أمر به نفعله، وكل ما نهى عنه نتركه، وعليه نقاتل. فعاهدوه على ذلك، وأمر بالإحتفاظ بتلك النسخة، وأمرهم أن يحملوها حال ركوبهم، ويقدموها أمام حروبهم كتابوت بني إسرائيل... فلهذا قيل لهم : عبيد البخاري"[12].

وفيما يخص الاعتناء بهذا الجيش، فإن المولى إسماعيل لم يكتف بجمعهم فقط بالمحلة المذكورة، بل عمل على تربيتهم وتدريبهم وفق النموذج العسكري التركي[13].

وتجدرالإشارة إلى أن السلطان قد سلك في سبيل الحصول على هؤلاء السود المملوكين والأحرار طريقين : الأولى، كانت تتم عن طريق الشراء، يقول أكنسوس: "ومن كان مملوكا لصاحبه أعطاه عشرة مثاقيل"[14]، "للعبد وعشرة للأمة"[15]؛ أما الثانية، فقد كانت تتم قسرا أو طواعية؛وبدون مقابل، إذ "من كان غيرمملوك أخذه بلا شيء "[16]. وبذلك يكون المولى إسماعيل قد جمع من العبيد" إلى أن لم يبق عند أحد عبد"[17].

وعموما، يتضح أن القواد الذين كلفوا بعملية الجمع لم يحسنوا التصرف، لدرجة أنهم لم يتركوا في "القبائل كلها أسود، سواء كان مملوكا أو حرطانيا أو حرا أسود، واتسع الخرق وعسرالرتق"[18]. وهذا يبين بجلاء مدى الفزع الذي ساد سكان البلاد، خاصة ذوي اللون الأسود، يقول محمد الفاسي. "فقد أصاب المغاربة الذعر والرعب، وخاصة من كان لون جلدهم أسودا، أو قريبا من السواد"[19]. الشيء الذي أفرز ردود فعل قوية من قبل "نخبة مثقفة"، حملت مشعل المعارضة للمشروع السلطاني.

2- معارضة العلماء:

من البديهي، ألا يحصل الاتفاق بالإجماع دائما بين العلماء وسلاطينهم، وهو ما يعطي لمبدإ الشورى مضمونه الحقيقي، فالاتفاق معطى شرعي، غير أن الإختلاف في بعض الأحيان ممكن شرعا[20]، وبذلك تكون مسألة تمليك الأحرار من المسائل التي أثارت نقاشا حادا بين العلماء والسلطان، وكثر فيها الأخذ والرد، فأصبح التوافق والتكامل بينهما استثناء[21].

لقد استاء العلماء بزعامة القاضي الشيخ بردلة[22] على ما أسموه ب"استرقاق المسلمين الأحرار"[23]. وحيال هذا العصيان، انتقص المولى إسماعيل من كفاءة هذا القاضي، وأمر بعزله من منصب القضاء، كإجراء عقابي له، أو على الأقل تحذيري.

وسلك السلطان مع العالم محمد بن عبد القادر الفاسي[24] أساليب مختلفة للحصول منه على فتوى تزكي مشروعه، من بينها الإعلاء من قدره والحط من مكانة غيره من العلماء، فخاطبه قائلا : "ومن أجل هذا، فلابد من نظركم فيما أجاب به الغير، وتصحيحكم لما تضمنته الأجوبة التي وردت من قبل القاضي بردلة، وصاحبه، إذ لا يمكن الاعتماد على مجرد فتاويهما دون مطالعتكم، وقبولكم أوضح القبول، لأنه وإن كان متسما بسمة العلم فإنه مقصر فيه "[25]. فالهدف إذن هو القضاء على وحدة العلماء، إلا أن هؤلاء كانوا ينظرون إلى المشروع الاسماعيلي كمؤسسة غير شرعية، فعارضوه بشدة، كل حسب أسلوبه الخاص.

وقد طال الجدال بين العالم محمد بن عبد القادر الفاسي والسلطان، وكانت بينهما مكاتبات ومراجعات كثيرة، فاختار الأول أسلوب المماطلة كوسيلة لاتقاء شر السلطان، ذلك أنه "كان فقيها بأساليب الدهاء والسياسة، وبقي اثنا عشر سنة يراوغ السلطان، إلى أن

توفي سنة 1116هـ، دون أن يفتيه"[26]. وللكشف عن هذا الأسلوب أكثر، نجد في إحدى رسائل الشيخ المذكورأجوبة عامة، من ذلك الرسالة المطولة التي خص الثلثين منها للتأكيد على مكانة العلم وأهله، ويتعذرعن إبطاء الجواب. ولم يتناول مسالة العبيد كموضوع في رسالة السلطان إلا في الثلث الباقي منها[27]. وفي محاولة أخرى، نهج السلطان أسلوبا آخر مع الفاسي، اعتمد من خلاله تبيان نقائص ومساوئ هؤلاء العبيد-حسب زعمه- من قطع للطرق، ...إلخ، إلا أن محاولته هاته باءت بالفشل[28].

ويظهر أن هذه الأساليب التي اتبعها السلطان مع هذا العالم، لم تؤت أكلها المرغوب، ففضل العاهل نهج أسلوب آخر، غير المعتاد في شخصه، فبعد أسلوب المراوغة وألوان الحيل، نهج هذه المرة أسلوبا لينا لعله يفي بالمطلوب؛ وهذا ما جاء في إحدى رسائله للفقيه المذكور "...تمعنوا النظر في هذا الرسم الموجه إليكم منا، صحبة حامله، وطالعوه، فإن كان سالم القواعد والفصول، ولا فيه لأحد ما يقول، فلتصنعوا خطكم لنا عليه..."[29]. إلا أن المتصفح لأجوبة الشيخ، يلاحظ أن خط يده هو الغائب في رسائله الموجهة للسلطة المخزنية.ورغم ذلك فإن السلطان رفع من درجة تودده للعلماء إذ يقول في إحدى رسائله"... فالمطلوب من سادتنا هو إطفاء هذه النائرة بفتاو لا ئقة، وعبارة صريحة. ونحن حرمة العلم، والشيخ سيدي عبد القادر رحمه الله تعالى، ما أرحمتمونا من هذه الكلفة، وأزلتم عنا هذه الغصة، لله تعالى، والله يديم علاكم بمنه آمين"[30]. ولما كانت النازلة تحتاج إلى موقف شرعي صريح، لا يحتاج إلى تأويل، فإن الفقيه التزم أسلوب المماطلة، رغم ما خصه به السلطان من ألقاب وتباجيل، توحي كلها بطابع التعظيم، من قبيل "أنتم القضاة، ونحن المنفذون "[31]. ولعل رغبة السلطان في ذلك، هو إخماد نار الفتن التي أشعلتها مسألة تمليك الحراطين، وهذا ما تكشف عنه إحدى العبارات السلطانية التي توحي بأن الأمر يتطلب "إطفاء هذه النائرة" إلى درجة أن المولى إسماعيل شعر بما اقترفه من فعل، لذلك كان مراده هو "البيان عما ارتكبه سيدنا نصره الله من هذا الإنشاء للجند، هل هو سائغ أم لا؟ وأيضا هذا البحث، وهذا التحري والاحتياط، ما قولكم فيه ببيان شاف للغليل، كاف في المقصود... إذ المعتمد هو خطكم، ولا يكفي قولهم في كتبهم، ظهرالحق كل الظهور..."[32]. إلا أن أسلوب اللين والمهادنة لم يجد في الحصول على الفتوى المذكورة، بالشكل

التقريري، لذا نجد السلطان قد غيرمن لهجة خطابه السابق، وفق تسلسل تصاعدي،حيث نسجل في إحدى رسائله إلى الشيخ سيدي محمد أسلوبا ينم عن سخطه وتوبيخه للعلماء، إذ يقول :"...حسبنا أنكم تقومون معنا، وتقعدون بالأقلام والأقدام، وما في النوازل والأحكام، وما قاله الأئمة والأعلام، فلم تفعلوا... وما ذلك إلا من قلة اعتنائكم، وضعف هممكم واهتمامكم، وعدم غيرتكم"[33].

وإذا كان سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي غامضا في موقفه، متحفظا في جوابه عن النازلة، فإن هناك من فضل الإنزواء والعزلة كشكل من أشكال التعبير، وذلك بالهجرة خارج مدينة فاس، والتزم الصمت كأسلوب للمعارضة؛ ومن أبرزأعلام هذا الاتجاه نذكرالعالم محمد المشاط[34]. ومنهم من ادعى المرض، في حين ذهب بعض آخر إلى التظاهر بفقدان العقل، تفاديا لشغل بعض المناصب السلطانية، كوظيفة القضاء، حتى لا يوافق على المشاريع المخزنية، من قبيل تمليك الحراطين. وفي هذا الصدد يذكر القادري أن أحمد بن علي الجرندي[35] كان قد عين بعد عزل "القاضي محمد العربي بردلة على قضاء مدينة فاس فلم يقبل، فاستعفى-المولى إسماعيل- فأعفاه"[36]؛ "واحتال لنفسه بأن تحامق وصار يظهر من نفسه البله والأفعال الخسيسة "[37]،" وجعل يفعل بنفسه فعل من لا يعقل، ويرتكب المحظورات من الأعمال، حتى تركوه، وذلك منه فرارا من تقلد حقوق المسلمين، واختار السلامة لنفسه"[38]، فتركه السلطان[39]. أما العالم الحسن اليوسي، فإنه لم يعارض فكرة تجنيد الأحراء فحسب، بل جاهر بانتقاداته للسياسة الإسماعيلية[40]، كجملة لا تنفصم حلقاتها، مركزا على ثلاثة محاور، شكلت مآخذه، فاعتبر تجريد القبائل من السلاح والخيل، إضعافا للأمة، ومحطة لأطماع العدو المتربص بها. ثم فرض الضرائب والمغارم إثقالا لكاهل السكان، فضلا عن الدعوة لنبذ الجور والتزم العدل والمساواة، كاساس لاستقام أحوال الملك.

ويتضح من خلال هذه النصوص التي لا تحتاج إلى تأويل، أن مسألة تمليك الحراطين كانت تبذل لأجلها كل الحلول الممكنة، سواء كانت شرعية أو غير ذلك، وبهذا يكون الجرندي قد اختار لنفسه علة تسقط عنه بموجبها كل التكاليف الدينية، فبالأحرى الدنيوية، لأن مناط التكليف يستدعي أن يكون الإنسان عاقلا.

وعلى كل،وأمام عدم استجابة العلماء للطلب السلطاني، أمر المولى إسماعيل باستدعائهم إلى عاصمته مكناس"فحضرمن الفقهاء الشيخ أبوعلي اليوسي، والشيخ أبو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس، والشيخ أبوعبد الله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي،والشيخ أبو عبد الله محمد الشاذلي الدلائي[41]، والعلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري[42]،وأبو عبد الله محمد بن المشاط، وأبو عبد الله محمد بن العافية، وغيرهم. وحضركبراء فاس،فكانت بينهم وبين السلطان محاضرة أغضبته، وقام من بينهم، فأخذ الشيخ جسوس بطرف برنوسه، وقال له :اجلس تسمع ما قال جدك رسول الله ﷺ، فاستشاط غضبا وخرج "[43].

ومن خلال أجوبة سيدي العربي بردلة،وعبد السلام جسوس كنموذج للعلماء المعارضين، نتمكن من التعرف على رأي العلماء في الموضوع، فقد أكدوا على أن عملية جمع الحراطين، ما هي إلا استرقاق للمسلمين الأحرار، كما ألحواعلى شفافية وصراحة النصوص الشرعية التي لا تحتاج إلى تأويل في هذا الباب. يقول بردلة في رده على إحدى رسائل المولى إسماعيل "...وأما أمر الملك، فالبيع للمشتري ولا إشكال في ذلك،...وذلك مجمع عليه... وأما المبيع فهو المملوك، فمن اشتراه من مالكه صح بيعه بشروطه ولزم، ومن اشتراه من غير مالكه فسخ بيعه، ورد لمن تملكه، ثم الأصل في الناس الحرية، وهو مما لا خلاف فيه، بل حكى بعضهم الإجماع عليه"[44]، وبهذا يكون بردلة قد عارض عملية التمليك وفق أسلوب مختلف عما عهده باقي العلماء. حيث كان سبيله في ذلك القلم والرسائل، فيما يمكن أن يؤطربلغة العصرب "المواجهة الإعلامية"؛ دليلنا على ذلك ما أورده القادري قائلا: "...أكثرمن مخاطبة السلطان بالكتابة، وكان إذا شافهه لا يتكلم، بل يقتصر على ما يكتب له بالقلم، في الأجوبة والرسائل وغيرها"[45]، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فقد شاطر جسوس رأي المولى إسماعيل في تكوين جيش نظامي، يستجيب لتطورات العصر والمرحلة؛ ولكنه عارض تلك الطريقة التي تظل، حسب رأيه، منافية للشرع. وإن كان المولى إسماعيل قد حاول إقناعه بأن عملية التجنيد لا تعني استرقاق الناس الأحرار، لأن الالتحاق بالجندية أمر تطوعي[46].

وهذا ما أدى بأحد الدارسين إلى اعتبار القضية المختلف حولها قد ينفسح فيها الباب للإجتهاد وللأخذ والرد. ولعل المولى إسماعيل بعد أن تم له الإقتناع بصواب مسلكه في ذلك، حمل موقف

العلماء الذين خالفوه فيه على أنه مجرد معارضة، لا تسند إلى أساس قوي غير قابل للمناقشة[47]؛ بينما اعتبر جسوس أن المسألة لا تحتاج إلى اجتهاد ما دام النص الشرعي حاضرا وواضحا، لذلك يقول ".... إلا لأني لم أجد له وجها ولا مسلكا، ولا رخصة في الشرع"[48]. ومن ثم كان إصراره على أن الحراطين أحرار كباقي المسلمين، وحريتهم شيء معروف، ولا جدال فيه، وأي اعتراف من قبلهم برقيتهم، وأي شهادة من الغير تتهمهم بالرقية، هي من قبيل الضغط والإكراه، مما لايتوفر له إثبات، يقول جسوس[49]؛ إذ الوارد في فتاوى العلماء أن "من لم تثبت رقيته لأحد فلا كلام لنا فيه... ولا تسلط لأحد عليه ببيع ولا بغيره"[50]. ويوضح جسوس في موقع آخر، أن الشخص الذي كلف بجمع العبيد، صرح أمام الملأ بما فيه من عالم وجاهل، بأنه سيعطي المثال بهم، إذا لم يقبلوا بعملية الاسترقاق هاته، وحذرهم باتخاذه عقوبات زجرية كالقتل، وهتك أعراض عائلاتهم، وفرض الغرامات المالية القاسية. وعليه يرى هذا الفقيه العالم، أن الاعترافات التي تمت تحت القهر لا أساس لها من الصحة. ثم يضيف متسائلا، كيف يمكن للمرء الاعتماد على هذه الاعترافات والقبول بها؟ وكيف يمكن استرقاق شخص أو تخليصه من الرقية بالاعتماد على مثل هذه الاعترافات والشهادات؟. إن السنة وفتاوى الأئمة زاخرة بالنصوص التي تحرم الاعتماد على الاعترافات المتنزعة بالضغط والإكراه[51]. وهذا ما جعل المشرفي يصف أعمال الجمع القهرية، التي قام بها عليليش بالطابع الشيطاني"... وسبب ذلك كله ما فعله عليليش في جمع الحراطين، مما لا يفعله إلا الشيطان، فإنه تسلط على كثير من الأحرار ظلما وأدخلهم في [ربقة] الرق رغما، وأخذ الأموال ووقعت بسببه أهوال، والأمر لله الكبير المتعال"[52].

وعلى هذا الأساس، اعتبر جسوس اعتراف الحراطين بأصلهم الرقي غير جائز شرعا، ولو صدر منهم عن طواعية ودون إكراه، ولهذا لا يمكن استرقاقهم... فالحرية حق أنعمه الله عليهم، وليس لهم الحق في اختيار الرقية[53]. وبهذا يكون هذا العالم مقتنعا بحرية هؤلاء، إذ يقول: "نعرفهم حق المعرفة، نعرفهم كأحرار ولا تغيب عنا أحوالهم الخاصة"[54]. ونظرا لهذه المواقف المبدئية للشيخ المذكور، كان لابد أن يتحمل تبعات ذلك، إذ تم سجنه ثلاثة أشهر بمكناس، من 4 يوليو إلى 8 شتنبر 1708م، على إثر انفضاض الاجتماع الذي كان يعقد بحضرة السلطان،. واشترطت السلطة المخزنية على الفقيه المسجون مقابل

إطلاق سراحه، دفع غرامة مالية، والالتزام بعدم التدخل في مسألة التمليك، حيث يذكر صاحب "الاستقصا" أنه تم القبض على "أولاد جسوس واستلب أموالهم، وأجلس –أبو محمد عبد الله الروسي- فقيههم الشيخ محمد بن عبد السلام بالسوق مقيدا، يتطلب الفداء، ثم حمل مسجونا إلى مكناس"[55]. ونظرا لموقعه الاجتماعي تسارع الناس إلى إفدائه، وخاصة بنو جلدته من البلديين[56]، أقدموا على جمع المال بهدف تحريره، وإطلاق سراحه، خاصة بعدما "حقد عليه السلطان، فاستصفى عامة أمواله، وأجرى عليه أنواع العذاب، وبيعت دوره، وأصوله، وكتبه، وجميع ما يملك هو وأولاده، ونساؤه؛ ثم صار يطاف به في الأسواق وينادى عليه: من يفدي هذا الأسير؟ والناس ترمي عليه بالدرهم والحلي، وغير ذلك من النفائس، إياما كثيرا... وبقي على ذلك قريبا من سنة"[57].

ويعد هذا الابتلاء الذي تعرض له جسوس، الثاني من نوعه، إذ تم إطلاق سراحه كما هو معلوم سنة 1121هـ/8 شتنبر 1708م، "فعفا عنه السلطان... وسرحه وبعث به إلى فاس، ليزعج الحراطين الذين بها إلى مكناسة، فقدم وأزعجهم في ربيع الأول من السنة المذكورة 1121هـ"[58].

وعلى أي حال، فقد قتل العالم أبو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس مخنوقا" من ليلة الخميس لخمس ليال بقيت من ربيع الثاني – سنة 1121هـ/4 يوليوز 1709م"[59]؛ "... فكان في ذلك محنة عظيمة له ولعامة المسلمين وخاصتهم" على حد تعبير الناصري[60].

وقبيل اغتياله ترك بخط يده شهادة أذاعها في الناس، هذا نصها:

"الحمد لله، يشهد الواضع اسمه، عقبه على نفسه، ويشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه، أني ما امتنعت من الموافقة على تمليك من ملك العبيد، إلا لأني لم أجد له وجها ولا مسلكا، ولا رخصة في الشرع، وأني إن وافقت عليه طوعا أو كرها، فقد خنت الله ورسوله والشرع، وخفت من الخلود في النار بسببه، وأيضا فإني نظرت في أخبار الأئمة المتقدمين حين أكرهوا على ما لم يظهر لهم وجهه في الشرع، فرأيتهم ما آثروا أموالهم ولا أبدانهم على دينهم خوفا منهم على تغيير الشرع، واغترار الخلق بهم، ومن ظن بي غير ذلك، وافترى علي ما لم أقله، وما لم أفعله، فالله الموعد بيني وبينه، وحسبنا الله ونعم الوكيل؛ والسلام". وكتب عبد السلام بن حمدون جسوس غفر الله ذنبه، وستر في الدارين عيبه، صبيحة يوم الثلاثاء الثالث والعشرون من ربيع الثاني سنة

1121هـ. ثم بعد ذلك بيومين أمر أبو علي الروسي بقتله، فقتل رحمه الله خنقا بعد أن توضأ وصلى ما شاء الله، ودعا قرب السحر من ليلة الخميس، خمس وعشرين ربيع الثاني 1121هـ، ودفن ليلا على يد القائد أبي على الروسي"[61]، في روضتهم قرب سيدي علي بن أبي غالب، داخل باب الفتوح من فاس الأندلس.[62]

3-علماء مصر والمولى إسماعيل:

إن فتاوى العلماء كانت تشكل "سلطة" في تهدئة الرأي العام من جهة، وتستقر بها دعائم الفئة التي تمتلك زمام الحكم من جهة ثانية، وهذا ما يبين حرص السلطان للحصول على فتوى خطية من العلماء تبيح له تأسيس جيش نظامي، لذلك راسل علماء مصر، يستفتيهم في مسألة التمليك قائلا: "... وقد أردنا وفقكم الله استفتاءكم... في مسألة مهمة في الدين،ابتغينا فيها سلوك سنن المهتدين... وهي أن هذه الأقطار المغربية... كلها ثغور ورباط، لقربها من مجاورة العدو الكافر، واحتياجها إلى... جند كثيف... يتأتى به الدفاع عن البيضة الإسلامية... وحين جاء الله بنا لهذا المغرب... وجدناه فارغا من الجيش والعيش، وخفيف العمارة، بعيد العهد بالخلافة والإمارة"[63].

وقد ساق مجموعة من التبريرات، من قبيل أن "الأحرار" لا يصلحون للإنخراط في الجيش النظامي باعتبار طابعهم المتحضر، الذي كان من نتائجه التكاسل والتخاذل، وغلبة الشهوة، وكثرة الأطماع المركوزة منهم في الطباع"[64]؛ كما أنهم (الأحرار) يحتاجون إلى نفقات باهضة، لسد حاجياتهم بحيث لا يكفي الواحد منهم القليل[65]. وبالتالي أعفاهم من الخدمة نظير إلزامهم بتوظيف مالي يحمل لبيت مال المسلمين[66].

وفي مقابل ذلك، واعتقادا من السلطان بأن العبيد يملكون من "النجدة والحزم، والقابلية والصبر، ما ليس في غيرهم من الأحرار"[67]، كما أنهم بمجرد شرائهم وتسجيلهم في الديوان، يهبون أرواحهم في خدمة الجندية[68]؛ فإنه –السلطان- بسط لعلماء مصر مميزاتهم، ذلك أنهم " ألفوا هذا الرق، وعرفوه وأدركوه... فيخرج الواحد منهم عن سيده ويتولى غيره، ويتجاوز إلى قبيلة أو يستند إلى شيخ أو كبير ذي عصبية، فيتعصب به... وتشتتوا هكذا في البلدان... هذا مع أن أصلهم من كفرة السودان المجاليب، من هناك عن طريق الشراء"[69]. إضافة إلى أن "هذا

الجنس قليل المؤونة، راض بما تيسر من المعيشة، قنوع بما يجده دون كلفة"[70].

وبالجملة، فإن السلطان ورغبة منه في الحصول على سند شرعي يعضد مشروعه، فإنه دعم رسالته للعلماء المصريين بمعطيات غير مقطوع بصحتها، بل إنها تصل إلى درجة الإفتراء في غالبيتها، إذ يقول: "... وشاورنا وتفاوضنا مع العلماء والفقهاء والقضاة وأهل الفتوى... وخاصة أهل هذا المغرب أمنه الله... في مسألة هؤلاء المماليك... وبينا ذلك حتى فهموه... فعند ذلك أجابوا كلهم بالفور من غير توقف ولا تلعثم بهذه الأجوبة المحررة، الجارية على مذهب المالكية، الواصلة إليكم إن شاء الله"[71].

وهكذا يكون المولى إسماعيل قد نهج أسلوبا يتسم بالمراوغة والدهاء، إذ يوهم علماء مصر أن فتواهم لن تكون هي الأصل، ما دام علماء المغرب –حسب السلطان- "في غنى عنكم... ولا نحتاجكم لأجلها"[72]، وذلك حتى لا يعطي أهمية بالغة لفتواهم، لكي لا يستعظموها، ويدققوا في فقراتها، وإنما أطرها في باب الاستئناس، قائلا: "ولكن أردنا مشاركتكم في أخبارها، والاستظهار بما عندكم من العلم في أمرها، فإن الحق لا يخفى على اثنين، ولا على من أمعن النظر فيه بعينين"[73].

وللإشارة، فإننا لم نعثر على جواب علماء مصر بخصوص هذه النازلة بشكل صريح، سواء إيجابا أوسلبا؛وإن كان القارئ لرسائل السلطان يكاد يلمس بأنه حصل على الفتوى التي استعصت عليه داخليا؛ويبقى الحسم في المسألة لما قد تجود به الوثائق التاريخية استقبالا.

خاتمة:

على الرغم من الأدوار الإيجابية التي قد يكون "جيش عبيد البخاري" لعبها، فإننا نسجل الملاحظات التالية:

- إن عناصر "جيش عبيد البخاري" تسلقوا السلم المخزني، وأصبحوا من أقرب المقربين للسلطان، وشغلوا الوظائف الإدارية والعسكرية والسياسية[74]، مما جعلهم محط حقد من قبل إخوانهم في العقيدة (البيض)، إذ حمل هؤلاء السلطان مسؤولية تسويد المخزن"[75].

ونشب صراع خفي بين الطرفين، إلا أنه سيتطور بعد وفاة المولى إسماعيل بشكل مكشوف، كان من إفرازاته دخول المغرب في "فترة الأزمة" ،أزمة الثلاثين سنة، كما يحلو للمؤرخين تسميتها، والتي اعتبرت فترة مفصلية كادت أن تعصف بمقومات الدولة العلوية الفتية.

- إن اتخاذ قرار تأسيس هذا الجيش اتسم بالغلو من قبل الحاكم/السلطان؛ وعدم التوافق بين هذا الأخير والمكونات الرئيسية للمجتمع، وبالأخص فئة العلماء؛ مما خلق جوا مشحونا بالتوتر والصراع، وصل إلى درجة التصفية الجسدية بين مؤسستي: العلماء والمخزن /السلطة.

.

الهوامش:

1. سلطان علوي، حكم المغرب من سنة 1672 إلى 1727م، للإطلاع على تفاصيل حياته، أنظر على سبيل المثال:
الإفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، طبعة 1988م، ص 504. الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف (ذ جعفر وذ.محمد)، دار الكتاب،الدار البيضاء، سنة 1955م، ج7، ص45 وما بعدما. المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، تحقيق إدريس بوهليلية، طبعة 1992/1993م،ج2، صـ418-419 وما بعدها. الزياني، الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، تحقيق وتقديم محمد غسان عبيد، الرباط،1994م، ج3، ص720.أحمد بن الحاج السلمي، الدر المنتخب المستحسن، في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن، مخطوط الخزانة الملكية، الرباط، رقم : 1920ز.
2. المؤسس الحقيقي للدولة العلوية المغربية (ت1672م)، للمزيد عن سيرته أنظر نفس المصادر التي ترجمت لأخيه المولى إسماعيل في الإحالة السالفة.
3. هو أبو علي الحسن اليوسي، ينسب إلى قبيلة آيت يوسى، من قبائل البربر، ولد سنة 1040هـ، اتصل بالزاوية الدلائية وهو ابن العشرين من عمره سنة 1060 هـ، ولم يغادرها إلا بعد أن قضى عليها المولى الرشيد، يقول عنه الناصري: "كان رضي الله عنه غزالي وقته، علما وتحقيقا وزهداوورعا".وفي سنة 1101هـ زار مصر، وأدى فريضة الحج، ثم رجع إلى قبيلته حيث وافته المنية سنة 1102 هـ بتامزيزت ناحية صفرو،وهناك دفن. وذكر "جاك بيرك "في كتابه عن اليوسي ثلاثة وثلاثين كتابا، منها شعر في رثاء عبد القادر الفاسي،ثم "زهر الأكم في الأمثال والحكم".

وللمزيد من التفصيل، راجع مقال عباس الجراري، "بيبليو غرافيا اليوسي أو سيرته البيبليوغرافية،" مجلة المناهل، الرباط، 1979م،العدد 15، صـ54-113.

وانظر كذلك:الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا،الرباط،طبعة 1967م ،ص 55-61-100. الناصري، المصدر السابق، ص18- 109. ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ص 269. عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، 1998م، ج1ص 68.الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ج2،ص297.

4. كان إماما بالمسجد الأعلى، من العقبة الزرقاء من فاس القرويين، درس على يد عبد القادر الفاسي، وأبى علي اليوسى، وأبي عبد الله بردلة، وأبي سالم العياشي ،توفي قتيلا في سجن فاس يوم 15 ربيع النبوي،1121هـ، ودفن في روضتهم قرب سيدي علي بن أبي غالب، داخل باب الفتوح من فاس الأندلس.القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،1977/1986 م، ج3، ص207-208.
5. يشير الضعيف بأن عليليش هو محمد بن قاسم، في حين تتفق باقي المصادر في كونه عمر بن قاسم وليس محمد بن قاسم، كان والده كاتبا عند المنصور السعدي، ومع أولاده من بعده، وتعلق عمر بخدمة السلطان المولى إسماعيل، وهو الذي أطلعه على دفتر أسماء العبيد، توفي سنة 1123هـ. تاريخ الدولة السعيدة،تحقيق أحمد العماري، الرباط 1986م، ص 86. الناصري، المصدر السابق،ص70. القادري، نشر المثاني، ج3،ص204 . المشرفي، المصدر السابق، ج2،ص200.
6. يقول الناصري في تعريفه للحرطاني :" ...معناه في عرف أهل المغرب: العتيق، وأصله الحر الثاني، كأن الحر الأصلي حر أول، وهذا العتيق حر ثان، ثم كثر استعماله على الألسنة، فقيل : الحرطاني على ضرب من التخفيف". المصدر السابق ، ص58.
7. أكنسوس، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا على السجلماسي، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقمه :26، ص69.
8. القادري، التقاط الدرر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 335.
9. رسالة المولى إسماعيل إلى محمد بن عبد القادر الفاسي بتاريخ 25ذي الحجة 1108هـ.

هسبريس تامودا،طبعة 1962،ص 48-49.

10. ابن الشريف إسماعيل، إلى ولدي المأمون، المطبعة الملكية، 1967م، ص12.
11. . Les débuts des troupes noires du MAROC, in - hespéris, Revue de l'institut des hautes études marocaines, Tome 3,1924.p10.
12. المصدر السابق، ص 58.

13. هذا النموذج شبيه إلى حد ما بالشكل الذي كان السلاطين العثمانيون يربون عليه عناصر جيش الإنكشارية، إذ كان هؤلاء يؤخذون من المسيحيين كضريبة الدم، ثم يتلقون تربية إسلامية ن ويختار النجباء والأذكياء منهم لتسلم أمور القيادة، والباقي يوظفون في صفوف المشاة من الانكشارية.
14. الجيش العرمرم ، ص69. الناصري،المصدر السابق، ص57.
15. الزياني، الروضة السليمانية، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم : د1275، ص59.
16. أكنسوس ، المصدر السابق، ص69.
17. الزياني، الروضة، ص 60.
18. الناصري، المصدر السابق، ص 56.
19. مجلة تطوان،عدد خاص، 1962، ص14.
20. محمد المهناوي، الشورى في دولة الإسلام، العلم الثقافي، السبت 17 مارس، 1990، عدد 965،ص2-7.
21. وإن كان الأستاذ المهناوي يذكر أن الأصل والقاعدة هي التوافق والتكامل بين السلطان والعلماء، وتبادل الاحترام والتبجيل، وهو الأساس نظريا وواقعيا. نفس المصدر ،ص7.
22. هو أبوعبد الله العربي بردل، الأندلسي الأصل ،ثم الفاسي مولدا ووفاة،كان أكبر علماء عصره، شغل منصب القضاء في فاس، وعزل منه عدة مرات بسبب معارضته للتجنيد الإجباري للحراطين؛ توفي سنة 1133هـ/1721م.عنه أنظر : محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، ممن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، طبعة فاس (د.ت)، ج3، ص158. القادري، نشر المثاني،ج2، ص200. الحجوي،الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة إدارة المعارف، الرباط، 1340-1345هـ،ج4، ص 118. وترجم له كذلك عزيز عبد الله بطران، علماء فاس والمولى إسماعيل ومشكلة حراطين فاس، ترجمة عبد الله بن الأمين ومحمد المهناوي، مجلة أبحاث، ع26،ص79.
23. عبد الله بطران، المرجع السابق ،ص75.
24. ولد سنة 1632/1042من وتوفي سنة 1116هـ/1704م، وهو فقيه مالكي من أهل فاس، كان ممن يرجع إليه في الحوادث الوطنية الوقتية والدينيةوالدنيوية،وهو ابن العالم عبد القادر الفاسي، المتوفى سنة 1091هـ/1980م. الناصري، المصدر السابق،ص18.
25. رسالة من المولى إسماعيل إلى الشيخ محمد بن عبد القادر، تحمل تاريخ 1109هـ/1698م. هسبريس تامودا، ص 53.
26. نفس المرجع، ص 48. وانظر كذلك: مجلة تطوان ، ص15.
27. رسالة إلى المولى إسماعيل من محمد بن عبد القادر الفاسي، المرجع السابق ، ص 28-29.
28. نفس المرجع، ص61. عبد الله بطران، المرجع السابق،ص15.
29. محمد الفاسي، مجلة تطوان،ص41.
30. الفاسي، هسبريس تامودا، ص71-72.

31. مجموع مخطوط بالخزانة الوطنية، الرباط، رقم : ج419، ص77.
32. الفاسي، المرجع السابق ، ص71-72.
33. رسالة من محمد بن عبد القادر الفاسي إلى السلطان المولى إسماعيل، هسبريس تامودا.
34. الضعيف، المصدر السابق،ص35.
35. هو أبو العباس، أحمد بن علي بن عبد الرحمان الجرندي، الأندلسي، الفاسي دارا ومنشئا ووفاة،كان إماما بمسجد الشرفاء، ودرس فيه علوما، وصحب في الطريق أحمد بن عبد الله معن (شيخ الزاويةالمخيفة)، وتوفي في عاشر محرم 1125هـ، ودفن بفاس.للمزيدعن حياته، أنظرنشر المثاني، ج3، ص150-215. تاريخ الدولة السعيدة، ص80.
36. نشر المثاني ، ج3 ص150.الاستقصا، ج7،ص95.
37. نشر المثاني، ص250.
38. تاريخ الدولة السعيدة، ص 80.
39. نشر المثاني، ج3، ص 150.
40. نشر المثاني، ج 3،ص 31-35. رسالة من اليوسي إلى المولى إسماعيل.
41. هو الفاسي، المتوفى سنة 1137هـ/1725م، اديب، وله اهتمام بفنون اخرى نشر المثاني ج3، ص281. محمد حجي وأحمد التوفيق، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الأولى، 1996/1417م، ج2، ص18.
42. توفي سنة 1144هـ/1731م، فقيه محدث، وصوفي من أهل فاس. نشر المثاني، ج 3، ص339،338. سلوة الأنفاس، ج1،ص158-161.الأعلام، ج6، ص197.
43. الحلل البهية، ج2،ص448-449 .تاريخ الدولة السعيدة، ص 86.
44. هسبريس تامودا،نفس الرسالة,
45. نشر المثاني، ج3، ص 247.
46. عبد الله بطران، مجلة أبحاث، المرجع السابق.
47. عبد القادر الصحراوي، على هامش رسائل الحسن اليوسي للمولى إسماعيل، دعوة الحق، السنة 1969، العدد 4، ص67.
48. الاستقصا، ج7، ص95.
49. عبد الله بطران، المرجع السابق.
50. محمد الفاسي، هسبريس تامودا، ص 19-20.
51. عبد الله بطران، المرجع السابق.
52. الحلل البهية،ج2، ص 450.
53. عبد الله بطران، المرجع السابق.
54. نفسه.
55. الضعيف، المصدر السابق،ص 86. الاستقصا، ج7، ص94
56. هم فئة متميزة داخل المجتمع الفاسي التقليدي؛ وتطلق هذه التسمية على ذوي الأصل اليهودي الذين اعتنقوا الإسلام خلال حقب مختلفة، وقبل أن يسموا بالبلديين كانوا ينعتون بـ "المهاجرون"، أو

ب"الإسلاميين" أو "العوام"؛ ومن البيانات التي تقدم لتفسير مصطلح المهاجرين أن اليهود الذين رفضوا تبديل دينهم خلال عهد المرينيين، أصبحوا ينعتون إخوانهم الذين اعتنقوا الإسلام بالمهاجرين أي الذين هاجروا اليهودية إلى الإسلام، إلا أن هذه التسمية اختفت بعد ق 11م، لتحل محلها تسمية البلديين. ولم يكن المولى اسماعيل ينظر إليهم بعين الرضى، وكان يرى فيهم قوة تعارض سياسته، لهذا نجده يتخذ موقفا جد قاس في حق العالم عبد السلام جسوس.

معلمة المغرب، ج4؛ محمد المنصور، البلديون، ص 1334.

57. نشر المثاني، ج3، ص 205.
58. الاستقصا، ج 7، ص 94. الترجمان المعرب، ج3، ص 741—742.
59. الضعيف، المصدر السابق، ص 83.
60. الاستقصا، ج 7، ص 94.
61. الاستقصا، ج7، ص 95. نشر المثاني، ج 3، ص 208. تاريخ الدولة السعيدة، ص 86.
62. نشر المثاني، ج3، 207-208.
63. رسالة من المولى إسماعيل إلى علماء مصر، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: ج 419، ص 77-78.
64. نفسه.
65. نفسه.
66. نفسه.
67. الفاسي، هسبريس تامودا، ص 43.
68. أكنسوس، المصدر السابق،ص74.
69. رسالة من المولى إسماعيل إلى علماء مصر، ص77-78.
70. نفس المصدر، ص 78-79. والنص مقتطف من فتوى للطرطوشي حسب المولى إسماعيل.
71. نفسه.
72. نفسه.
73. نفسه.
74. المختار السوسي، المعسول، البيضاء، 1961م، ص 286-328.
75. المهناوي، التنظيم العسكري وعلاقته بالمجتمع في العصر الاسماعيلي، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الثانية، مركز البحوث والدراسات العلوية، الريصاني، دورة دجنبر 1990.

المصادر والمراجع:

I-المخطوطات:

1- **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**: لمحمد أكنسوس، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقمه: 26.

2- **الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن:** لأحمد بن الحاج السلمي، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط، رقمه: 1920ز.
3- **الروضة السليمانية**: لأبي القاسم الزياني، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقمه: د 1275.
4- **مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط**، رقمه: ج419.

II-المنشورات:

1-**الاستقصا لإخبار دول المغرب الاقصى**: لأحمد بن خالد الناصري، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف (ذ.جعفر وذ.محمد)، دار الكتاب، الدار البيضاء، طبعة 1955م.
2- **الأعلام**: للزركلي خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة 1986م.
3- **التقاط الدرر**: لمحمد بن الطيب الفاسي القادري، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
4- **إلى ولدي المأمون**: لإسماعيل بن الشريف، المطبعة الملكية، الرباط، طبعة 1967م.
5- **تاريخ الدولة السعيدة**: للضعيف محمد بن عبد السلام الرباطي، الرباط، طبعة 1986م.
6- **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**: لأبي القاسم الزياني، تحقيق وتقديم محمد غسان عبيد، الرباط طبعة 1994م.
7-**الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**:لأبي القاسم الزياني،الرباط،طبعة .1967
8- **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**: لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، تحقيق ادريس بوهليلة، طبعة 1993/1992م.
9- **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس ممن أقبر من العلماء الصلحاء بفاس**: لمحمد بن جعفر الكتاني، طبعة فاس، (د.ت).
10- **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**: لعبد الرحمن الجبرتي، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، 1998م.
11- **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**: لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي المغربي، مطبعة إدارة المعارف، الرباط، 1340-1345هـ.
12- **المعسول**: للمختار السوسي، البيضاء، طبعة 1961م.
13- **موسوعة أعلام المغرب**: تنسيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م.
14- **مؤرخو الشرفاء**: لليفي بروفنسال، تعريب عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط.
15- **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الإفراني الملقب بالصغير، طبعة 1988م.

15- **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**: لمحمد بن الطيب الفاسي القادري، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، طبعة 1986/1977م.

III-الدوريات والمجلات والجرائد:

- باللغة العربية:

1- **بيبليوغرافيا اليوسي أو سيرته البيبليوغرافية**: مقال لعباس الجراري، مجلة المناهل، الرباط، 1979م، العدد .15

2- **التنظيم العسكري وعلاقته بالمجتمع في العصر الإسماعيلي**:مقال لمحمد المهناوي،جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،أعمال الدورة الثانية،مركز البحوث والدراسات العلوية،الريصاني،دورة دجنبر .1990

3- **الشورى في دولة الإسلام**: مقال لمحمد المهناوي، جريدة العلم، السبت 17 مارس، 1990م، عدد .965

4- **على هامش رسائل الحسن اليوسي للمولى إسماعيل**: مقال لعبد القادر الصحراوي، مجلة دعوة الحق، السنة 1969، العدد .4

5- **علماء فاس والمولى إسماعيل ومشكلة حراطين فاس**: مقال لعزيز عبد الله بطران، ترجمة عبد الله بن الأمين، مجلة أبحاث، العدد .26

6- **مجلة تطوان**، عدد خاص، 1962م.

7- **مجلة هسبريس تاموذا**، المجلد 3، 1962م.

8- **معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، مطابع سلا، 1992م.

- باللغة الفرنسية:

1- **Les débuts des troupes noires du MAROC**: Delafosse, Maurice, in hespéris, Revue de l'institut des hautes études marocaines, Tome 3,1924

الاقتصاد و إدارة الأعمال

الآثار المحتملة لانضمام فلسطين إلى منظمة التجارة العالمية على قطاع التجارة الخارجية

"الآثار المحتملة لانضمام فلسطين إلى منظمة التجارة العالمية على قطاع التجارة الخارجية"

د. عمر محمود أبو عيدة أستاذ الاقتصاد المساعد
قسم الاقتصاد كلية العلوم الإدارية والاقتصادية
جامعة القدس المفتوحة / فرع طولكرم
فلسطين

ملخص البحث

هدف هذا البحث إلى التعرف إلى الآثار المحتملة على قطاع التجارية الخارجية الفلسطينية التي يمكن أن تنتج عن انضمام فلسطين إلى منظمة التجارة العالمية ولتحقيق هذا الهدف اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لأهم ما ورد في الأدبيات والمراجع العربية والأجنبية والدوريات والإحصائيات والتقارير الرسمية المتعلقة بكافة أدبيات البحث. كما قام الباحث بالاعتماد على بيانات جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني فيما يخص قطاع التجارة الخارجية الفلسطينية حيث تم استخدمها للحصول على النسب والمؤشرات اللازمة لتحقيق أهداف البحث. ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن الاقتصاد الفلسطيني يعاني من درجة عالية من الانكشاف الاقتصادي للخارج، كما أن الصادرات الفلسطينية تتميز بالمحدودية والتركيز الجغرافي الشديد مع إسرائيل . ومن خلال عضوية منظمة التجارة العالمية يمكن للاقتصاد الفلسطيني أن يمارس سلسلة من الإجراءات الحمائية كحماية الصناعات الوطنية الناشئة من خلال الاحتفاظ بحاجز جمركي لذلك، وحماية الاقتصاد من المنافسة غير العادلة والإغراق السلعي. أما على الجانب السلبي فهناك إمكانية لزيادة الانفتاح التجاري نتيجة عضوية منظمة التجارة العالمية الأمر الذي سوف يؤدي إلى قيام منافسة شديدة وربما غير عادلة وهذا سوف يؤثر سلبا على مسيرة بناء اقتصاد إنتاجي قادر على الاندماج مع الخارج. ولتعظيم المكاسب وتقليل المخاطر يقترح الباحث ضرورة بناء إستراتيجية اقتصادية شاملة داعمة للاقتصاد الفلسطيني بشكل عام ولقطاع التجارة الخارجية بشكل خاص في ظل اتفاقيات منظمة التجارة العالمية،وإجراء الإصلاحات القانونية اللازمة لتوفير قانون تجاري قادر على دمج الاقتصاد الفلسطيني مع الخارج في ظل أنظمة واتفاقيات منظمة التجارة العالمية.

“The Potential Effects of The Accession of Palestine to The World Trade Organization on The Foreign Trade Sector”

Abstract

This research aimed to identify the potential effects of the accession of Palestine to the World Trade Organization on the foreign trade sector, to achieve this goal, the researcher adopted the descriptive analytical approach to the available data and literature. The researcher also depends on the official foreign trade statistics of the Palestinian economy. Among the most important findings of the research is that the Palestinian economy suffers from a high degree of economic foreign exposure, and that Palestinian exports are characterized by commodity limitations and strong geographic focus with Israel. Through WTO membership the Palestinian economy can exercise a series of protective measures such as the protection of emerging national industries and protect the economy against unfair competition and dumping practices. On the negative side there is a possibility of increasing trade openness as a result of WTO membership, which will lead to more and unfair competition and this will negatively affect the process of building a capable and productive economy. In order to maximize the benefits and reduce the risks from the accession of Palestine to the World Trade Organization, the researcher suggests that the Palestinian authority needs to build a comprehensive economic strategy which can provide sufficient support to the Palestinian economy in general and to the foreign trade sector in particular under the WTO agreements .Such strategy must also seek legal reforms

to provide the necessary commercial Law which will help the Palestinian economy to integrate with that of the world according to the WTO agreements and Regulations.

المقدمة

لقد اكتسبت منظمة التجارة العالمية (WTO) اهتماما عالميا كبيرا خاصة بعد نهاية جولة الأورغوي للمحادثات التجارية المتعددة الأطراف عام 1986 وذلك بسبب اتفاق الدول الأعضاء على إنشاء منظمة التجارة العالمية (WTO) ونقل جميع اتفاقيات الجات (GATT) لتشكل جزءا من الاتفاقيات والمعاهدات الخاصة بتدفق السلع والخدمات بين دول العالم وتحرير القيود التجارية المختلفة. ومع ميلاد هذه المنظمة الدولية منذ مطلع عام 1995 شهد العالم تطورات سريعة ومتلاحقة نحو العولمة والاندماج وزيادة الترابط بين اقتصاديات الدول ، حيث سارعت العديد من الدول وخاصة النامية إلى الالتحاق بركب العولمة وإجراء العديد من الإصلاحات الهيكلية كمتطلب للانفتاح الاقتصادي والحصول على عضوية منظمة التجارة العالمية (WTO)، ويشير التقرير السنوي الأخير (2012) للمنظمة العالمية بأن عدد الدول الأعضاء قد فاق 155 عضو.

وفيما يتعلق بالحالة الفلسطينية والظروف التي تحيط بفلسطين والاقتصاد الفلسطيني فإن السلطة الوطنية الفلسطينية تسعى جاهدة للانضمام إلى هذه المنظمة العالمية كخطوة على طريق تحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي والتخلص من التبعية الاقتصادية وغير الاقتصادية لإسرائيل، ويكمن جوهر هذا البحث في تقصي الآثار الاقتصادية المحتملة لمنظمة التجارة العالمية على قطاع التجارة الخارجية (السلعية) الفلسطينية، ولتحقيق ذلك تم تقسيم البحث إلى الأقسام الرئيسية الآتية:

أولا: خطة البحث

ثانيا:تطور التجارة الخارجية الفلسطينية

ثالثا:التركيب السلعي للتجارة الخارجية الفلسطينية

رابعا:التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية الفلسطينية

خامسا:الهيكل التنظيمي لمنظمة التجارة العالمية والمهام والمبادئ

سادسا:الدراسات السابقة

سابعا:موقف فلسطين من الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية

ثامنا:تحليل الآثار الاقتصادية المحتملة على قطاع التجارة الخارجية الفلسطيني

تاسعا:مناقشة النتائج والتوصيات

أولا: خطة البحث

1- مشكلة البحث

سعت السلطة الوطنية الفلسطينية منذ قيامها إلى الحصول على الاعتراف الدولي بفلسطين على جميع الأصعدة وخاصة السياسية والاقتصادية منها، حيث نجحت مؤخرا بالحصول على صفة دولة عضو مراقب في الأمم المتحدة، وعلى المجال الاقتصادي قامت بتوقيع العديد من الاتفاقيات التجارية مع دول العالم بهدف تنمية وتطوير قطاع التجارة الخارجية. وفيما يخص منظمة التجارة العالمية(WTO) تسعى السلطة الوطنية الفلسطينية جاهدة إلى الانضمام إلى هذه المنظمة العالمية سعيا منها إلى إعطاء الاقتصاد الفلسطيني نوع من الاستقلالية والتخفيف من حدة التبعية الاقتصادية الفلسطينية إلى إسرائيل خاصة فيما يتعلق بالصادرات والواردات السلعية، وعليه فإن مشكلة هذا البحث تكمن في تعقب الآثار المحتملة على قطاع التجارة الخارجية الفلسطينية من جراء الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية (WTO)، وتفصيل الآثار المحتملة في ظل مبادئ وقواعد منظمة التجارة العالمية، وعليه فإن التساؤل الرئيس لهذا البحث يمكن وضعه على الشكل الآتي: ما هي الآثار المحتملة لانضمام فلسطين إلى منظمة التجارة العالمية على قطاع التجارة الخارجية الفلسطينية؟

2- أهمية البحث وأهدافه

يعيش الفلسطينيين والاقتصاد الفلسطيني حالة خاصة تختلف في ظروفها عن دول العالم حيث لا يكاد بنج جانب من الاقتصاد الفلسطيني من التبعية للاقتصاد الإسرائيلي، وفي ظل الجهود الرامية إلى تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي فإن السلطة الوطنية الفلسطينية تسعى للحصول على عضوية منظمة التجارة العالمية(WTO) كأحد الأساليب التي يمكن من خلالها تحقيق بعض المكاسب السياسية والاقتصادية والتي من شأنها أن تخفف من حدة تبعية الاقتصاد الفلسطينية إلى الاقتصاد الإسرائيلي. كما أن أهمية هذا البحث تكمن في إلقاء الضوء على احد القطاعات الاقتصادية الهامة والتي يعتبر غاية في الأهمية من وجهة نظر الاقتصاد الفلسطيني بسبب حاجة الاقتصاد الفلسطيني للموارد من جهة وصغر حجم السوق المحلي من جهة أخرى.وبالنظر إلى هذه الأهمية فإن هذا البحث يسعى إلى إلقاء الضوء على الآثار التي يمكن أن تنتج عن انضمام فلسطين إلى هذه المنظمة الدولية على قطاع التجارة الخارجية الفلسطينية، ويمكن إجمال أهداف البحث كما يأتي:

1- التعرف إلى واقع قطاع التجارة الخارجية السلعية الفلسطينية من خلال تحليل مؤشراته الرئيسية.
2- التعرف إلى مبادئ وقواعد وهيكل منظمة التجارة العالمية.
3- التعرف إلى الآثار الايجابية والسلبية المحتملة على قطاع التجارة الفلسطينية.
4- استخلاص النتائج واقتراح التوصيات التي من شأنها أن تساهم في تعظيم المنافع وتقليل الآثار السلبية من جراء الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية.

3- فرضية البحث

يقوم هذا البحث على الافتراض القائل بان هناك آثارا ايجابية وأخرى سلبية قد يتعرض لها قطاع التجارة الخارجية الفلسطيني من جراء انضمام فلسطين إلى منظمة التجارة العالمية.

4- منهجية البحث

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لأهم ما ورد في الأدبيات والمراجع العربية والأجنبية والدوريات والإحصائيات والتقارير الرسمية المتعلقة بكافة أدبيات البحث. كما قام الباحث بالاعتماد على بيانات جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني فيما يخص قطاع التجارة الخارجية الفلسطينية حيث تم استخدمها للحصول على النسب والمؤشرات اللازمة لتحقيق أهداف البحث ، وتعتبر هذه المنهجية ملائمة لأغراض البحث خاصة وأنها استخدمت من قبل العديد من الدراسات العربية التي حاولت دراسة منظمة التجارة العالمية وآثارها الاقتصادية المحتملة.

5- محددات البحث

يتحدد هذا البحث في تقصي وتحليل الآثار المحتملة على جانبي الصادرات والواردات السلعية الفلسطينية في حالة نجاح السلطة الوطنية الفلسطينية بالحصول على عضوية منظمة التجارة العالمية.

ثانيا:تطور التجارة الخارجية الفلسطينية

دائما ما يلعب قطاع التجارة الخارجية دورا هاما في العديد من الاقتصاديات المتقدمة والنامية على حد سواء،حيث يعتبر من أهم وسائل استغلال الموارد الاقتصادية المتاحة وتوفير مستلزمات الإنتاج اللازمة لإنتاج السلع وتسويقها في السوق المحلي أو في الأسواق الخارجية.ولكن الواقع الفلسطيني يقول بان السلطة الوطنية الفلسطينية لا تمتلك سياسة تجارية مستقلة وذلك لعدد من الأسباب الجوهرية وفي مقدمتها عدم الاستقلال السياسي، وعدم السيطرة على المعابر والحدود وكذلك بسبب القيود والترتيبات التي نصت عليها اتفاقية باريس الاقتصادية بين الجانب

الفلسطيني والجانب الإسرائيلي(*جامعة القدس المفتوحة،2008،ص 378*).وعليه فإن الجانب الفلسطيني يتبع إلى السياسة الخارجية الإسرائيلية من حيث فرض الرسوم الجمركية، وكذلك فالاقتصاد يتعين عليه تحمل أعباء تحرير التجارة الخارجية الإسرائيلية، وفي هذا الجزء من البحث ومع الأخذ بعين الاعتبار عدم وجود سياسة تجارية فلسطينية مستقلة، فإنه سوف يتم تتبع تطور التجارة الخارجية الفلسطينية للفترة (1995 – 2011).

1- حجم التجارة الخارجية:

تشير بيانات التجارة الخارجية المدرجة في الجدول رقم(1) والجدول رقم (2) أن حجم التجارة الخارجية بين فلسطين والعالم الخارجي قد نمت وتسارعت خلال الفترة المبحوثة لتصل إلى أكثر من (5) مليار دولار عام 2011 بمعدل نمو يبلغ أكثر من (12%). كما أن البيانات تشير إلى تسارع هذا الحجم منذ عام 2005 حيث كان مجموع التجارة الخارجية الفلسطينية (الصادرات + الواردات) أكثر بقليل من (2.1) مليار دولار وتعدت (3) مليارات دولار في الأعوام 2006 و 2007 ولتصل إلى أكثر من (4) مليار دولار في الأعوام 2009 و 2010.كما أن هذا التسارع واضح من خلال معدلات النمو التي حصلت في حجم التجارة الخارجية الفلسطينية حيث يبين الجدول رقم (2) أن نسبة النمو في عام 2005 كانت (28%) بينما تراجعت في عام 2006 إلى (12%) وعاودت للتزايد في عام 2007 لتصل إلى (25%) ثم تراجعت وتزايدت حيث كانت في السنوات الثلاث الأخيرة(8.48%،10.07%،12.07%) على التوالي.

يعود هذا النمو في حجم التجارة الخارجية الفلسطينية أساسا إلى نمو الواردات بشكل ملحوظ يفوق تلك الخاص بالصادرات، كما تشير البيانات إلى تقلب واضح في أداء التجارة الخارجية الفلسطينية من عام إلى أخر وذلك يعود إلى عدم وجود سياسة تجارية واضحة للأسباب التي تم ذكرها سابقا، حيث يبدو آثار السياسة التجارية الإسرائيلية واضحا على أداء التجارة الخارجية الفلسطينية من حيث التقلب وعدم الاستقرار.

أ- تطور الصادرات السلعية

يعتمد الاقتصاد الفلسطيني في صادراته على السلع التي تفيض عن حاجة السوق المحلي، وتتركز الصادرات الفلسطينية في عدد قليل من السلع كأحجار البناء وبعض السلع الوسيطة والمواد الزراعية وغيرها، كما أن حجم الصادرات لا يتميز بالاستقرار وذلك بسبب السياسات التجارية الإسرائيلية والإجراءات المتبعة على المعابر والية التصدير وما إلى ذلك، وعليه فإن حجم الصادرات الفلسطينية يتقلب من فترة إلى أخرى تبعا

للظروف السياسية والاقتصادية السائدة بين الجانب الإسرائيلي والفلسطيني. وفي هذا المجال تشير البيانات الخاصة بالصادرات والمدرجة في الجدول رقم (1) ورقم (2) إلى أن الصادرات الفلسطينية قد تطورت منذ العام 1996 من (339.5) مليون دولار بالأسعار الجارية لتصل إلى (400) مليون دولار عام 2001، ثم تراجعت ثم تزايدت لتسجل حجم اقل من ذلك في الأعوام التي تلت. وفي عام 2008 بلغت أكثر من (512) مليون دولار وتطورت بعد هذه الفترة لتصل إلى (727) مليون دولار عام 2011 كما هو مبين في الجدول رقم(1). أما على صعيد النمو النسبي للصادرات السلعية الفلسطينية فان معدلات النمو الخاصة بالصادرات تم تقديرها كما هي مبينة في الجدول رقم (2)، حيث تظهر هذه المعدلات حالات من النمو السالب وأخرى من النمو الموجب من جهة وكذلك حالات من التزايد والتراجع من جهة أخرى، وقد سجلت الصادرات الفلسطينية السلعية نمو بلغ في أقصاه قرابة (40%) عام 2008 وتراجع في العام الذي تلاه إلى (1%) فقط ثم شهدت العامين الأخيرين نموا وصل إلى (11%) و (26.3%) على التوالي. هذا التطور والذي حتما لا يتميز بالاستقرار يعتبر من المؤشرات القوية إلى أن السلطة الوطنية الفلسطينية لا تمتلك سياسة اقتصادية واضحة تجاه الصادرات الفلسطينية وأن الصادرات الفلسطينية هي رهينة للسياسة الإسرائيلية .

ب- تطور الواردات السلعية

من المفترض اقتصاديا أن ترتبط الواردات ارتباطا طرديا بالصادرات ولكن إذا ما تفحصنا البيانات الخاصة بالتجارة الخارجية الفلسطينية فإنه يصعب تعريف العلاقة بين الواردات والصادرات، حيث يلاحظ من الجدول رقم (1) تزايد الواردات خلال معظم فترة الدراسة ولكن لا يلاحظ بالمقابل زيادة الصادرات خلال جميع سنوات الفترة.تشير البيانات الواردة في الجدول رقم (1) أن الواردات السلعية الفلسطينية قد تطورت منذ العام 1995 حيث بلغت (1.93)مليار دولار بالأسعار الجارية ووصلت إلى ما يزيد عن (4.3) مليار دولار عام 2011. ولكن من الواضح أن حجم الواردات السلعية الفلسطينية قد شهد تراجعا خلال العام 2004 ليصل إلى (1.5) مليار دولار، هذا التطور في حجم الواردات السلعية الفلسطينية يؤكد مجموعة من المظاهر الاقتصادية الفلسطينية وفي مقدمتها ضعف القاعدة الإنتاجية المحلية والاعتماد على الأسواق الخارجية في تلبية الطلب المحلي المتزايد على السلع بجميع أنواعها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الواردات تستخدم من قبل السياسة المالية الفلسطينية للحصول على الإيرادات الجمركية لدعم

الموازنة العامة الفلسطينية، ولذلك فإن تزايدها بهذا الشكل المتسارع يعمل على رفد خزينة الدولة بالإيرادات الجمركية والتي تستخدمها الحكومة في تغذية مناحي الإنفاق العام وخاصة الجاري منه.هذه التطورات تؤكدها البيانات الخاصة بمعدل نمو الواردات والمدرجة في الجدول رقم (2)، حيث تشير البيانات إلى نمو الواردات خلال فترة الدراسة بنسب مختلفة تصل في أقصاها إلى أكثر من (31%) عام 2006 والى (10%) عام 2011، كذلك تشير البيانات إلى النمو السالب في الواردات في الأعوام 2004،2003،2002 وذلك يعود إلى سنوات انتفاضة الأقصى والإجراءات التي كانت تتبعها إسرائيل والتي أدت إلى تعطل العديد من النشاطات الاقتصادية لا سيما الواردات منها.

2- الميزان التجاري

يعتبر الميزان التجاري من احد مكونات ميزان العمليات الجارية والذي يصور ويوضح مركز البلد الاقتصادي في معاملاته الاقتصادية مع العالم الخارجي.يوضح الجدول رقم (1) تطور الميزان التجاري السلعي الفلسطيني خلال الفترة (1995 – 2001) وتبين البيانات العجز المزمن والمتباين للميزان التجاري السلعي الفلسطيني، أي أن حجم الواردات دائما اكبر من قيمة إجمالي الصادرات السلعية وهذا يدل على عجز الاقتصاد عن تلبية احتياجات السوق المحلي.فقد تشير البيانات في الجدول رقم (1) إلى تزايد العجز في الميزان التجاري السلعي من عام 1995 حتى عام 2000 حيث تطور هذا العجز من (1.5) مليار دولار تقريبا ليصل إلى قرابة (3) مليارات دولار عام 2000، بينما شهدت الأعوام 2001، 2002، و 2003 تراجعا في العجز في الميزان التجاري السلعي ليصل إلى (1.2) مليار عام 2003،واستمر التزايد في العجز كسمة أساسية للميزان التجاري السلعي الفلسطيني طوال الفترة (2005- 2011) ليصل في أقصاه إلى أكثر من (3.6) مليار دولار عام 2011.هذه التطورات أيضا يوضحها الجدول رقم (2) حيث تطور العجز في الميزان التجاري السلعي الفلسطيني عام بعد عام باستثناء الأعوام (2002- 2004) بسبب التراجع في حجم الواردات والتي تم الإشارة إليه سابقا.وتشير معدلات النمو إلى استمرار العجز التجاري الفلسطيني خلال الفترة تحت الدراسة ولكن بنسب متفاوتة بين التزايد تارة والتراجع تارة أخرى ليسجل معدل نموا سنويا يزيد عن (7%) في عام 2011.وهذا يؤكد أن الاقتصاد الفلسطيني يعاني من عجز مزمن في الميزان التجاري السلعي وأن المجتمع الفلسطيني يستورد أكثر بكثير مما يصدر وكل ذلك يعود إلى ضعف القاعدة الإنتاجية المحلية والتي تعجز من جهة

عن تلبية احتياجات السوق المحلي وكذلك تعجز عن توفير السلع اللازمة للتصدير من اجل تغطية الواردات من جهة أخرى.

3- درجة الانكشاف الاقتصادي

للوقوف على معرفة أهمية قطاع التجارة الخارجية في الاقتصاد الفلسطيني يمكن استخدام مؤشر نسبة التجارة الخارجية إلى الناتج المحلي الإجمالي(GDP) وهو ما يعرف بدرجة الانكشاف الاقتصادي فأي ارتفاع في هذه النسبة يؤدي إلى زيادة درجة ارتباط معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي بالتغيرات التي تطرأ على حركة التجارة الخارجية وزيادة حساسية الاقتصاد للتغيرات التي تحدث في الأسواق الخارجية.تشير الإحصاءات الرسمية المتاحة عن حجم التجارة الخارجية الفلسطينية والناتج المحلي الإجمالي الفلسطيني بالأسعار الجارية والواردة في الجدول رقم (1) من أن الاقتصاد الفلسطيني ينكشف على العالم الخارجي من خلال ارتفاع وتباين درجة الانكشاف الاقتصادي في جميع سنوات الدراسة حيث تراوحت درجة الانكشاف الاقتصادي ما بين (38.87% إلى 97.09). وإذا ما استبعدنا سنوات انتفاضة الأقصى شديدة الحساسية للسياسات والإجراءات الإسرائيلية وذات الأثر البارز على أداء الاقتصاد الفلسطيني بشكل عام وقطاع التجارة الخارجية بشكل خاص، فإن درجة الانكشاف الاقتصادي سجلت ما نسبته (40.77%) عام 2005 وبلغت أقصاها عام 2011 لتبلغ (80.85%)، في حين أن الدراسات في هذا المجال تشير إلى عدم زيادة هذه النسبة عن (40%) في الدول العربية والنامية بشكل عام. الأمر الذي يعكس مدى درجة الاعتماد على العالم الخارجي، ومحدودية الطاقات الإنتاجية المحلية في تلبية احتياجات السوق المحلية من السلع سواء الاستهلاكية أو الوسيطة أو حتى الرأسمالية، هذا على الرغم من أن هذا المؤشر قد يعبر عن زيادة مستوى المعيشة.(*صندوق النقد العربي،2004،ص48*) إذ تجدر الإشارة هنا إلى أن زيادة درجة الانكشاف الاقتصاد الفلسطيني تعود بالأساس إلى محدودية القدرة الإنتاجية للاقتصاد الفلسطيني بحيث انعكس ذلك في زيادة قيمة الواردات لسد العجز في الإنتاج المحلي من السلع، واستحوذت الصادرات على نسبة قليلة من إجمالي التجارة الخارجية وذلك لتركيزها على عدد محدود من السلع.

الجدول رقم (1)

التجارة السلعية الخارجية الفلسطينية ودرجة الانكشاف في الاقتصاد الفلسطيني (1995 - 2011)

السنة	الصادرات السلعية/ مليون دولار	الواردات السلعية/ مليون دولار	التجارة الخارجية الفلسطينية*	الناتج المحلي GDP)الإجمالي(	الميزان التجاري السلعي*	درجة الانكشاف الاقتصادي*
1995	457,000	1,931,200	2,388,200	003,220,2	)1,474,200(	74.16
1996	339,467	2,016,056	3,365.50	2,355,523	(1,676,589)	69.99
1997	339,467	2,016,279	2,355,746	003,701,6	)1,676,812(	63.64
1998	380,423	2,238,560	2,618,983	003,944,3	)1,858,137(	66.40
1999	394,846	2,375,102	2,769,948	004,178,5	)1,980,256(	66.30
2000	372,148	3,007,227	3,379,375	004,194,7	)2,635,079(	80.56
2001	400,857	3,382,807	3,783,664	003,897,2	)2,981,950(	97.09
2002	290,349	2,382,807	2,673,156	003,840,9	)2,092,458(	69.60
2003	240,867	2,033,547	2,274,414	004,198,4	)1,792,680(	54.17
2004	279,680	1,515,608	1,795,288	004,619,1	)1,235,928(	38.87
2005	312,688	1,800,268	2,112,956	005,182,4	)1,487,580(	40.77
2006	335,443	2,373,248	2,708,691	004,619,1	(2,037,805)	58.64
2007	366,709	2,667,592	3,034,301	005,182,4	)2,300,883(	58.55
2008	512,979	3,284,035	3,797,014	006,247,3	)2,771,056(	60.78
2009	518,355	3,600,785	4,119,140	006,763,6	)3,082,430(	60.90
2010	575,513	3,958,512	4,534,025	005,727,9	)3,382,999(	79.16
2011	727,015	4,354,632	5,081,647	006,285,2	)3,627,617(	80.85

المصدر: جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني ، نشرات مختلفة
*** قيم تم احتسابها من قبل الباحث ( ) القيم بين قوسين سالبة**

الجدول رقم(2) النمو النسبي للتجارة الخارجية الفلسطينية

السنة	الصادرات*	الواردات*	التجارة الخارجية*	الناتج القومي الإجمالي*	الميزان التجاري*
1995	18.76	579.6	2081.	23.85	977.1
1996	(25.72)	5-71.08	7-1.3	-26.85	313.7
1997	-	5261.05	0.009	557.1	0.013
1998	12.06	11.02	11.17	66.5	10.81
1999	3.79	6.10	5.76	45.9	6.57
2000	(5.75)	26.61	22.00	90.3	733.0
2001	7.71	912.4	11.96	-7.09	13.16
2002	(27.57)	-29.56	-29.35	5-1.4	3-29.8
2003	(17.04)	6-14.6	2-14.9	19.3	-14.327
2004	16.11	-25.47	7-21.0	10.02	-31.05
2005	11.80	18.78	7017.	2012.	20.36
2006	7.28	331.8	28.19	7-10.8	936.9
2007	9.32	12.40	12.02	2012.	12.91
2008	39.89	23.10	425.1	520.5	20.43
2009	1.05	59.6	8.48	8.26	411.2
2010	11.03	49.9	10.07	-15.31	9.75
2011	26.32	10.00	12.07	9.73	7.231

المصدر: * قيم تم احتسابها من قبل الباحث بناءً على قيم الجدول رقم (1)

ثالثا:التركيب السلعي للتجارة الخارجية الفلسطينية

يتناول هذا القسم من البحث مكونات التجارة الخارجية السلعية الفلسطينية مع العالم الخارجي من حيث التنويع السلعي حسب أقسام السلع الموحد للفترة (1996- 2010).

1- المساهمة النسبية للصادرات الفلسطينية حسب أقسام السلع

تتميز الصادرات الفلسطينية السلعية بتركيزها على أربع مجموعات سلعية رئيسية تشكل في مجموعها ما يتراوح نسبته بين (77% و 85%) من مجموع الصادرات السلعية الكلية، حيث تشير البيانات الإحصائية الواردة في الجدول رقم (3-أ) و (3- ب) انه في عام 1996 شكلت السلع المصنعة

والمصنفة حسب المادة ما نسبته (40.66%) يليها المصنوعات المتنوعة بنسبة (15.32%) ومن ثم الأغذية والحيوانات الحية (14.32%) متبوعة بالمواد الكيماوية والأدوية بنسبة (6.98%)، أي ما مجموعه قرابة (77%) من حجم الصادرات السلعية الفلسطينية. بينما تقاسمت الأصناف الباقية من السلع ما نسبته (23%) حيث تراوحت مساهمتها من (0.26%) إلى (6.87%). وفي عام 2000 توضح البيانات أن هذه النسب للمجموعات الأربع من السلع قد ارتفعت مساهمتها لتصل إلى (84.43%) حيث كانت نسب مساهمتها(38.32%) للسلع المصنفة حسب المادة ،(21.09%) للأغذية والحيوانات الحية،(17.61%) للمصنوعات المتنوعة ،و(7.4%) للمواد الكيماوية والأدوية.أما في عام 2005 فقد تراجعت نسبة التركيز السلعي في هذه المجموعات الأربع الرئيسية إلى (77.36%) بسبب التراجع الذي حدث على نصيب الأغذية والحيوانات الحية لتسجل ما نسبته (10.79%) وأما بقية المجموعات الرئيسية فقد حافظت على مراتبها بتسجيلها نسب مساهمة مقاربة للأعوام السابقة. وفي عام 2010 نلاحظ من الجدول رقم (3-ب)أن السلع المصنعة والمصنفة حسب المادة كانت نسبتها (42.57%) يليها المصنوعات المتنوعة (15.85%) ومن ثم الأغذية والحيوانات الحية (13.80%) وجاءت المواد الكيماوية والأدوية بالمرتبة الرابعة بنسبة(12.86%)، أما بقية المجموعات السلعية فتشير البيانات الإحصائية أن مساهمتها كانت محدودة وهذه المجموعات تشمل المشروبات، والتبغ، والمواد الخام غير الصالحة للأكل، والوقود المعدني، والزيوت، والمكائن، ومعدات النقل، حيث كانت مساهمتها في عام 2010 مجتمعة(15%) تقريبا.

يلاحظ من هذا التتبع للمساهمة النسبة للمجموعات السلعية بأن التركيب السلعي للصادرات الفلسطينية يتميز بالاستقرار النسبي حيث لم تظهر البيانات أي تغيرات أو تطورات جوهرية على التركيب السلعي للصادرات الفلسطينية خلال الفترة المبحوثة بل حافظت المجموعات السلعية المختلفة على أهميتها النسبية في الصادرات الكلية.

جدول رقم (3- أ)

التوزيع النسبي للصادرات الفلسطينية حسب أقسام السلع (1996- 2003)

الأبواب	1996	1997	1998	1999	2000	2001	2002	2003
الأغذية والحيوانات الحية	14.32	14.97	15.73	16.36	21.09	11.74	11.22	12.24
المشروبات والتبغ	4.54	5.14	6.47	3.91	3.39	4.64	5.67	4.64
المواد الخام غير الصالحة للأكل	6.87	4.51	4.47	3.60	3.91	4.44	5.97	4.78
وقود معدني ومزلقات معدنية	2.44	1.61	1.78	1.33	0.92	0.74	1.03	1.38
زيوت ودهون حيوانية ونباتية	2.63	2.07	1.36	1.11	1.43	1.98	2.37	2.58
مواد كيماوية وأدوية	6.98	5.94	6.27	8.13	7.41	9.50	8.41	9.31
سلع مصنوعة ومصنفة حسب المادة	40.66	43.35	41.97	40.64	38.23	41.49	39.43	39.52
المكائن ومعدات النقل	5.98	5.68	5.28	5.58	5.98	5.83	5.00	5.28
مصنوعات متنوعة	15.32	14.87	16.39	19.22	17.61	19.46	20.69	18.24
معاملات غير مصنفة حسب النوع في التصنيف الدولي	0.26	1.40	0.27	0.11	0.05	0.18	0.21	2.03
المجموع	100%	100%	100%	100%	100%	100%	100%	100%

المصدر: تم احتساب القيم بالاعتماد على بيانات جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني الخاص بالصادرات السلعية من قبل الباحث

جدول رقم (3- ب)
التوزيع النسبي للصادرات الفلسطينية حسب أقسام السلع (2004- 2010)

الأبواب	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010
الأغذية والحيوانات الحية	11.47	10.79	10.59	13.36	11.30	11.83	13.80
المشروبات والتبغ	5.51	4.27	2.72	3.05	3.48	4.24	4.17
المواد الخام غير الصالحة للأكل	3.55	3.92	5.04	2.58	1.69	1.39	2.02
وقود معدني ومزلقات معدنية	3.36	3.64	0.91	1.59	0.57	0.52	0.27
زيوت ودهون حيوانية ونباتية	3.18	3.66	3.74	3.47	3.77	2.82	2.74
مواد كيماوية وأدوية	9.41	8.61	9.60	12.99	13.02	13.07	12.86
سلع مصنوعة ومصنفة حسب المادة	39.24	38.69	42.38	43.28	43.02	40.62	42.57
المكائن ومعدات النقل	4.72	5.52	6.03	5.52	5.78	5.79	5.73
مصنوعات متنوعة	19.55	19.27	18.99	13.98	17.36	19.72	15.85
معاملات غير مصنفة حسب النوع في التصنيف الدولي	0.01	1.63	0.002	0.18	0.00	0.00	0.00
المجموع	100%	100%	100%	100%	100%	100%	100%

المصدر: تم احتساب القيم بالاعتماد على بيانات جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني الخاص بالصادرات السلعية من قبل الباحث

2- المساهمة النسبية للواردات الفلسطينية حسب أقسام السلع

تشير البيانات الواردة في الجدول رقم(4-أ) و (4-ب) أن التوزيع النسبي للواردات الفلسطينية السلعية متركز في أربع مجموعات سلعية رئيسية هي الأغذية والحيوانات الحية، الوقود المعدني،السلع المصنعة والمصنفة حسب المادة،والمكائن ومعدات النقل، حيث شكلت هذه المجموعات السلعية في الأعوام (2010,2005,2000,1996) ما نسبته (75.46% ، 73.95%، 78.54%، 79.31%) على التوالي.هذا مع الأخذ بعين الاعتبار التطورات البسيطة غير الجوهرية التي تطرأ على هذه النسب من سنة إلى أخرى تبعا للظروف الاقتصادية والسياسية الخاصة بأداء الواردات بشكل خاص وأداء الاقتصاد الفلسطيني بشكل عام. كما تشير البيانات إلى أن الواردات الفلسطينية السلعية تتركز في السلع الاستهلاكية مقابل ضعف الأهمية النسبية للسلع الوسيطة والسلع الرأسمالية اللازمة للتنمية الاقتصادية، وهو ما يعكس الطابع الاستهلاكي للاقتصاد الفلسطيني واعتماده على الخارج في تلبية الطلب المحلي. وإذا ما تصورنا الترتيب النسبي للمجموعات السلعية الأربع الخاصة بالواردات السلعية الفلسطينية فإن المراتب تتبدل فيما بينها من فترة إلى أخرى بنسب قليلة دون وجود أي تطور جوهري على التركيب السلعي للواردات الفلسطيني.

جدول رقم (4-أ)

التوزيع النسبي للواردات الفلسطينية حسب التصنيف العالمي الموحد (2003-1996)

الأبواب	1996	1997	1998	1999	2000	2001	2002	2003
الأغذية والحيوانات الحية	20.97	21.81	18.84	17.44	18.12	20.09	16.95	19.81
المشروبات والتبغ	5.34	3.19	4.11	3.49	4.27	4.78	5.03	4.58
المواد الخام غير الصالحة للأكل	3.38	3.40	2.83	2.44	2.61	2.07	3.48	2.02
وقود معدني ومزلقات معدنية	19.08	16.90	17.27	13.02	19.12	18.56	23.65	27.81

زيوت ودهون حيوانية ونباتية	1.13	1.07	0.82	0.78	0.75	0.78	2.10	0.88
مواد كيماوية وأدوية	7.84	7.60	8.00	7.50	9.68	8.04	10.13	8.50
سلع مصنوعة ومصنفة حسب المادة	22.95	26.25	23.83	23.80	21.92	24.51	19.61	18.95
المكائن ومعدات النقل	12.46	12.39	16.29	20.51	14.79	12.21	11.77	11.86
مصنوعات متنوعة	6.60	6.77	7.40	10.68	8.36	8.90	6.91	5.58
معاملات غير مصنفة حسب النوع في التصنيف الدولي	0.25	0.63	0.61	0.34	0.38	0.06	0.36	0.00
المجموع	100%	100%	100%	100%	100%	100%	100%	100%

المصدر: تم احتساب القيم بالاعتماد على بيانات جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني الخاص بالواردات السلعية من قبل الباحث

جدول رقم (4-ب)
التوزيع النسبي للواردات الفلسطينية حسب التصنيف العالمي الموحد(2004-2010)

الأبواب	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010
الأغذية والحيوانات الحية	19.81	16.95	16.84	15.02	14.81	17.45	17.78
المشروبات والتبغ	4.58	3.84	4.53	4.10	3.60	3.81	4.20
المواد الخام غير الصالحة للأكل	2.02	2.33	1.88	0.83	0.86	1.02	0.99
وقود معدني ومزلقات معدنية	27.81	26.93	34.16	39.33	42.13	31.70	31.52
زيوت ودهون حيوانية ونباتية	0.88	0.76	0.75	0.48	0.56	0.49	0.53
مواد كيماوية وأدوية	8.50	8.36	7.21	6.79	7.05	8.17	8.92
سلع مصنوعة ومصنفة حسب المادة	18.95	18.39	14.99	13.65	14.22	15.37	16.45
المكائن ومعدات النقل	11.86	16.27	11.94	14.20	11.77	15.86	13.56
مصنوعات متنوعة	5.58	5.53	5.55	5.60	4.97	6.12	6.06

معاملات غير مصنفة حسب النوع في التصنيف الدولي	0.001	0.65	2.15	0.00	0.01	0.00	0.00
المجموع	100%	100%	100%	100%	100%	100%	100%

المصدر: تم احتساب القيم بالاعتماد على بيانات جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني الخاص بالواردات السلعية من قبل الباحث

رابعا:التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية الفلسطينية

يوضح التوزيع الجغرافي للصادرات والواردات السلعية الفلسطينية حسب مناطق التعامل التجاري الدولي اتجاهات التجارة والشركاء الدوليين ،وتبين الإحصاءات الخاصة بالتجارة الخارجية الفلسطينية أن فلسطين تتعامل تجاريا مع أكثر من (10) مجموعات دولية ولكن بنسب تركيز مختلفة إلى حد كبير خاصة فيما يتعلق بالصادرات. وتتباين الأهمية النسبية لهذه المجموعات الدولية من فترة إلى أخرى ومن مجموعة إلى أخرى وذلك وفقا للتوجهات السياسية والاقتصادية التي تحيط بالاقتصاد الفلسطيني وحسب الظروف التي تمر بها المنطقة، وتتمثل هذه المجموعات الدولية في المجموعات الآتية:

- **الدول العربية الأسيوية**
- **الدول الأسيوية (إسرائيل)**
- **الدول العربية في أفريقيا**
- **الدول الإفريقية ألأخرى**
- **دول أمريكا الشمالية**
- **دول أمريكا الوسطى**
- **دول البحر الكاريبي**
- **دول أمريكا الجنوبية**
- **دول الاتحاد الأوروبي**
- **مجموع باقي الدول الأوروبية**
- **الدول الاقيانوسية**
- **متفرقات**

1- التوزيع الجغرافي للصادرات الفلسطينية

يشير التوزيع الجغرافي النسبي للصادرات الفلسطينية السلعية على المجموعات الدولية المبينة في الجدول رقم (5-أ) و (5-ب) أن هناك تركيز جغرافي شديد وشبه كامل تقريبا للصادرات الفلسطينية مع الدول الأسيوية غير العربية والتي تمثل الجانب الإسرائيلي بحسب التصنيف الموحد للمجموعات الدولية.فخلال الفترة المبحوثة تراوحت نسبة التركيز للصادرات الفلسطينية مع إسرائيل بين (85% و 96%) ويدل ذلك على مدى سيطرة إسرائيل شبه المطلق على الصادرات الفلسطينية السلعية وذلك بسبب سيطرة إسرائيل على المعابر والحدود الخارجية مع العالم الخارجي. كما تشير البيانات إلى أن الدول العربية الأسيوية تشكل نسبة تتراوح بين

(2.5% و 9.5%) من حجم الصادرات السلعية الفلسطينية، هذا يدل على أن بقية دول العالم تشترك مع فلسطين تجاريا في جانب الصادرات السلعية بنسب تكاد لا تذكر.وفي الفترة ما بعد عام 2000 يلاحظ أن هناك بعض الانفراج في التركيز الشديد مع إسرائيل لصالح المجموعات الدولية الأخرى كما تشير البيانات في الجدول رقم (5-ب) خاصة بين الأعوام (2004 – 2010) حيث بدأت الصادرات الفلسطينية تتجه إلى بعض المجموعات الدولية الأخرى كالدول الإفريقية والاتحاد الأوروبي، كما توضح البيانات.

جدول رقم (5-أ)

التوزيع النسبي للصادرات السلعية الفلسطينية حسب المجموعات الدولية خلال الفترة(1996- 2003)

المجموعات الدولية	1996	1997	1998	1999	2000	2001	2002	2003
الدول العربية الأسيوية	6	5.1	2.92	2.49	7.22	4.99	6.22	5.29
الدول الأسيوية	94	94.2	96.60	96.86	92.30	94.08	89.85	91.66
الدول العربية في أفريقيا	-	-	0.01	0.65	0.06		-	0.06
الدول الإفريقية ألأخرى	-	-	0.02		-	0.03	-	-
دول أمريكا الشمالية	-	-	0.03		-	0.04	0.15	0.28
دول أمريكا الوسطى	-	-	-		-	-	-	-
دول البحر الكاريبي	-	-	-	-	-	-	-	-
دول أمريكا الجنوبية	-	-	-	-	-	-	0.18	0.06
دول الاتحاد الأوروبي	-	0.1	0.42	-	0.42	0.845	-	2.52
مجموع باقي الدول الأوروبية	-	0.6	-	-	-	-	3.70	0.12
الدول	-	-	-	-	-	-	-	0.01

الاقيانوسية								
متفرقات	-	-	-	-	-	-	-	-
المجموع	%100	%100	%100	%100	%100	%100	%100	%100

المصدر: تم احتساب القيم بالاعتماد على بيانات جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني الخاص بالواردات السلعية من قبل الباحث

جدول رقم (5-ب)
التوزيع النسبي للصادرات السلعية الفلسطينية حسب المجموعات الدولية

المجموعات الدولية	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010
الدول العربية الأسيوية	5.86	6.90	8.145	6.44	7.89	7.43	9.44
الدول الأسيوية	90.50	87.19	89.213	88.89	89.58	87.60	85.08
الدول العربية في أفريقيا	0.36	0.80	1.136	0.34	0.32	2.28	2.01
الدول الإفريقية ألأخرى	0.02	0.02	0.007	0.046	0.007	0.008	0.003
دول أمريكا الشمالية	0.55	1.26	0.696	0.70	0.68	1.69	1.62
دول أمريكا الوسطى	-		-	0.003	0.002	-	0.0002
دول البحر الكاريبي	-		-	-	-	-	-
دول أمريكا الجنوبية	-	0.03	-	0.0004	-	0.005	0.04
دول الاتحاد الأوروبي	2.23	3.46	0.719	3.53	1.46	0.91	1.71
مجموع باقي الدول الأوروبية	0.03	0.05	0.082	0.025	0.05	0.04	0.09
الدول الاقيانوسية	-		0.002	0.03	0.02	0.02	0.01
متفرقات	0.45	0.29	-	-	-		-
المجموع	%100	%100	%100	%100	%100	%100	%100

خلال الفترة (2004- 2010)

المصدر: تم احتساب القيم بالاعتماد على بيانات جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني الخاص بالواردات السلعية من قبل الباحث

2- التوزيع الجغرافي للواردات الفلسطينية

تؤكد الإحصاءات الخاصة بالتوزيع النسبي للواردات السلعية الفلسطينية على المجموعات الدولية أن الواردات الفلسطينية شأنها شأن الصادرات حيث تتميز بالتركيز الجغرافي الشديد مع إسرائيل (الدول الأسيوية)، حيث تبين البيانات في الجدول رقم (6-أ) و (6-ب) أن الواردات من إسرائيل تمثل ما نسبته(89%) عام 1996 واستمرت هذه النسبة بالتأرجح بين التزايد والتراجع ولكن بنسب ضئيلة جدا، حيث وصلت على سبيل المثال إلى أكثر من (85%) عام 2006 والى (84%) عام 2010. أما الشريك الثاني بعد إسرائيل ،فيعد الاتحاد الأوروبي، حيث شكلت الواردات القادمة من الاتحاد الأوروبي عام 2001 (17.64%) وتراجعت بعد ذلك عام بعد عام لتسجل ما نسبته (9.82%) عام 2011 من مجموع الواردات الفلسطينية السلعية.إذا يتضح من هذا التتبع للتوزيع الجغرافي للواردات الفلسطينية أن هناك هامشية نسبية للعديد من المجموعات الدولية والتي تكاد لا تشكل أكثر من (3% إلى 4%) من إجمالي الواردات السلعية الفلسطينية، هذا إن يدل على شيء فإنما يدل على التركيز المطلق للواردات في جهات جغرافية محددة.

رقم (6-أ)

التطور النسبي للواردات السلعية الفلسطينية حسب المجموعات الدولية خلال الفترة 1996- 2003

المجموعات الدولية	1996	1997	1998	1999	2000	2001	2002	2003
الدول العربية الأسيوية	0.37	1.14	2.43	2.02	1.08	1.17	1.43	1.48
الدول الأسيوية	89.08	87.02	83.53	76.00	82.19	75.47	84.07	84.15
الدول العربية في أفريقيا	0.95	1.37	1.17	0.67	0.58	0.64	0.62	1.06
الدول الإفريقية ألأخرى	0.09	0.17	0.19	0.18	0.09	0.24	0.15	0.25

دول أمريكا الشمالية	1.26	1.10	1.43	3.01	2.44	2.02	0.04	1.75
دول أمريكا الوسطى	0.04	0.04	0.04	0.09	0.10	0.09	0.08	0.12
دول البحر الكاريبي	0.00	0.00	0.00	0.035	0.002	0.011	0.005	0.001
دول أمريكا الجنوبية	0.13	0.17	0.19	0.19	0.27	0.45	0.41	0.51
دول الاتحاد الأوروبي	7.37	7.99	9.52	16.12	11.06	17.64	10.63	8.59
مجموع باقي الدول الأوروبية	0.60	0.79	1.11	1.37	1.47	1.61	1.87	1.51
الدول الاقيانوسية	0.11	0.22	0.38	0.25	0.67	0.65	0.64	0.56
متفرقات	0	0.0007	0.013	0.06	70.03	0.006	0.041	0.017
المجموع	%100	%100	%100	%100	%100	%100	%100	%100

المصدر: تم احتساب القيم بالاعتماد على بيانات جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني الخاص بالواردات السلعية من قبل الباحث

جدول رقم (6- ب)
التطور النسبي للواردات السلعية الفلسطينية حسب المجموعات الدولية خلال الفترة 2004- 2010

المجموعات الدولية	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010
الدول العربية الأسيوية	1.47	1.36	1.27	1.53	1.51	1.57	2.29
الدول الأسيوية	84.52	84.35	85.35	86.64	88.24	84.54	84.17
الدول العربية في أفريقيا	1.28	1.22	1.16	1.10	0.66	0.99	0.98
الدول الإفريقية ألأخرى	0.17	0.18	0.16	0.06	0.11	0.17	0.15
دول أمريكا الشمالية	1.72	1.25	0.88	0.90	1.00	1.19	1.26
دول أمريكا الوسطى	0.06	0.09	0.11	0.11	0.09	0.12	0.09

دول البحر الكاريبي	0.00	0.00	0.00	0.00	0.00	0.01	0.01
دول أمريكا الجنوبية	0.58	0.58	0.75	0.47	0.65	0.63	0.33
دول الاتحاد الأوروبي	8.64	9.39	8.18	7.50	6.42	9.68	9.82
مجموع باقي الدول الأوروبية	1.13	1.24	1.57	1.61	1.11	1.03	0.77
الدول الاقيانوسية	0.41	0.30	0.54	0.07	0.13	0.08	0.11
متفرقات	0.02	0.04	0.04	0.02	0.09	0.00	0.00
المجموع	%100	%100	%100	%100	%100	%100	%100

المصدر: تم احتساب القيم بالاعتماد على بيانات جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني الخاص بالواردات السلعية من قبل الباحث

خامسا:الهيكل التنظيمي لمنظمة التجارة العالمية والمهام والمبادئ

أ- الهيكل التنظيمي لمنظمة التجارة العالمية :

أوضحت المادة الرابعة من اتفاقية إنشاء منظمة التجارة العالمية أن الهيكل التنظيمي للمنظمة ينطوي على مجموعة من الأجهزة والآليات التي تمكن ا لمنظمة من إدارة أعمالها

على نحو يضمن تسيير النظام التجاري العالمي بصورة تحقق الأهداف التي أنشئت المنظمة من أجلها . ويوضح الشكل رقم)

(1الهيكل التنظيمي للمنظمة ومنه نلاحظ ما يلي:

الشكل رقم (1) الهيكل التنظيمي لمنظمة التجارة العالمية

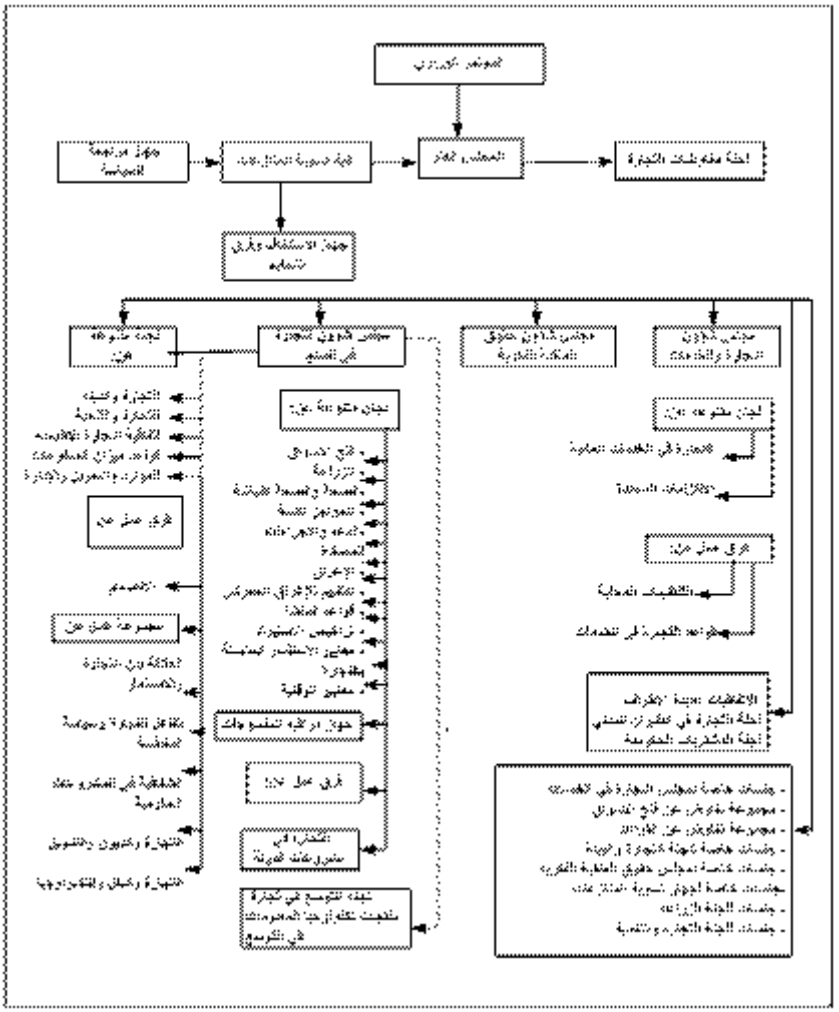

المصدر: (المهدي، 2003، ص 195)

1- يعتبر المؤتمر الوزاري (Ministerial Conference) أعلى سلطة في المنظمة ، حيث يتولى سلطة اتخاذ القرارات المتعلقة بجميع الموضوعات ، والقضايا المنصوص عليها في الاتفاقيات متعددة الأطراف ، ويتألف هذا المؤتمر من ممثلي جميع الدول الأعضاء في المنظمة ، ويجتمع مرة واحدة على الأقل كل سنتين.

2- يتبع المؤتمر الوزاري في الهيكل التنظيمي مجلس عام (General Council) يتولى
متابعة مهام المؤتمر الوزاري في الفترات التي تفصل بين اجتماعاته ، فضلا عن
قيامه بتنفيذ كافة المهام الموكلة إليه بموجب اتفاقيات المنظمة . ويتكون هذا المجلس
من ممثلي جميع الدول الأعضاء ويجتمع كلما دعت الضرورة لذلك . كما يتعقد للقيام
بمسؤوليات ومهام جهاز تسوية المنازعات ، وجهاز مراجعة السياسة التجارية ، يتبع
هذين الجهازين المجلس الوزاري حسب ما يشير بذلك الهيكل التنظيمي ، باعتبار أن
هذين الجهازين من أهم الأجهزة المعاونة في إدارة أعمال ومهام المنظمة.

3-
يتبع المجلس العام في الهيكل التنظيمي ثلاثة مجالس فرعية الأول مجلس شؤون
التجارة في السلع ، ويختص بالإشراف على تسيير الأمور المتعلقة بالتجارة في السلع
وفقا للاتفاقيات التجارية متعددة الأطراف . أما الثاني فهو مجلس شؤون التجارة في
الخدمات ، ويختص بالإشراف على تسيير الأمور المرتبطة بالتجارة في الخدمات ،
وبصفة خاصة تطبيق الاتفاق العام للتجارة في الخدمات . أما المجلس الثالث فهو
مجلس شؤون الجوانب المتصلة بالتجارة في حقوق الملكية الفكرية ، ويختص
بالإشراف على كافة الأمور ذات الصلة باتفاق حقوق الملكية الفكرية ، ويلاحظ بأن عضوية هذه المجالس مفتوحة لجميع الدول الأعضاء في المنظمة.

4-
يتبع كل مجلس من المجالس الثلاثة السابقة أجهزة ولجان فرعية للقيام بالمهام التي يوكلها إليها المجلس كل في مجال اختصاصه وذلك حسب الحاجة.

5-
يتبع المجلس العام كذلك لجان للتجارة والتنمية ، والتجارة والبيئة ، واتفاقيات التجارة

الإقليمية ، وقيود ميزان المدفوعات ، ولجنة الموازنة ، والمالية والإدارة ، إضافة إلى
لجان فرعية أخرى للقيام ببعض المهام ذات الصلة بالدول الأقل نمواً ، وعلا قة
التجارة بالاستثمارات، والمنافسة ، وقواعد الشفافية في المشتريات الحكوم ية.. الخ ،إضافة إلى فرق ومجموعات عمل عن مسائل الانضمام ، والديون ونقل التكنولوجيا.

6-أنشأ
المجلس العام أيضا لجنة لمفاوضات التجارة للقيام بعقد جلسات خاصة لكل من
مجلس التجارة في الخدمات ، ومجلس حقوق الملكية الفكرية ، ولجنة التجا رة والبيئة ،ولجنة الزراعة ، ولجنة التجارة والتنمية ، وجهاز تسوية المناز عات ، إضافة إلى
تكوين مجموعات تفاوضية ذات صلة بقضايا فتح الأسواق وإتباع القواعد ال عامة للنظام التجاري.

7- أنشأ المجلس العام لجنتين للإدارة والتفاوض في القضايا ذات الصلة بالاتفاقيات عديدة
الأطراف ، وهي لجنة التجارة في الطائرات المدنية ، ولجنة المشتريات الحك ومية.

ب- مهام منظمة التجارة العالمية

تعتبر منظمة التجارة العالمية (W T O تتويجا للنتائج التي تم التوصل إليها في جولة
الأورغوي للمفاوضات التجارية متعددة الأطراف ، ولقد بدأت المنظمة نشاط ها منذ بداية
عام 1995 للإشراف على تطبيق الاتفاقيات التي تم التوصل إليها في هذه ال جولة من
المفاوضات . ووفقا لما جاء باتفاقية إنشاء المنظمة ، فإنه يمكن إيجاز أغرا ض ومهام المنظمة في الآتي:(الطائي ومنصور،2004،ص64)

1-
تسهيل وتنفيذ إدارة الاتفاقيات الجديدة التي تم التوصل إليها في جولة مفا وضات
الأورغوي متعددة الأطراف ، بالإضافة إلى الاتفاقيات الجديدة في مجال التج ارة الدولية
في السلع الزراعية ، والمنسوجات والملابس ، والخدمات ، والملكية الفكر

ية وغيرها
من الاتفاقيات التي تم التوصل إليها في جولة مفوضات الأورغوي.
-2
إن المنظمة ستكون مكلفة بتسهيل تنفيذ وإدارة الاتفاقيات التجارية متعددة ا
لأطراف وهي تلك الاتفاقيات واللوائح القانونية الملزمة (Multateral Trade
Agreement) لجميع أعضاء المنظمة ومنها الاتفاقية العامة لتجارة السل
ع ، والاتفاقية العامة لتجارة
الخدمات ، والاتفاقية المتعلقة بكل من الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفك
رية ،
والتدابير التجارية المرتبطة بالاستثمار ، وكذلك الاتفاقية التجارية الجماعية
وهي الاتفاقيات الملزمة للدول الموقعة عليها (Plurilateral Trade
Agreement) ، ومنها الاتفاقيات المتعلقة بالطيران المدني ، والمشتريات
الحكومية ، والاتفاقية
الدولية لمشتقات الألبان ، والاتفاقية الدولية حول لحوم الابقار.
-3
الإشراف على تنفيذ وتفعيل وثيقة التفاهم الخاصة بإجراءات وقواعد تسوية
النزاعات (Dispute Settlement Understanding
(بين الدول الأعضاء في المنظمة .
4- الإشراف على تنفيذ وتفعيل آلية مراجعة السياسات التجارية (Trade) .
Policy Review Mechanism (TRRM))
-5
لتعاون كلما كان ذلك مناسبا مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء
والتعمير
والوكالات التابعة لهما بهدف تحقيق نوع من الانسجام والتناسق في صنع ا
لسياسات
الاقتصادية العالمية. إن قيام منظمة التجارة العالمية بهذه الوظائف والصلا
حيات والمجالات الجديدة لإقامة
نظام اقتصادي عالمي يقوم على العضوية والتزام الدول بمبادئ منظمة التج
ارة العالمية.
ج- مبادئ منظمة التجارة العالمية
1. مبدأ الدولة الأولى بالرعاية أو التجارة بدون تمييز (Most Favored
Nation MFN)(المهدي، 2003،ص 186) :
يعد هذا المبدأ الركيزة الأساسية التي تقوم عليها تحرير التجارة الدولية ، و

يعني هذا
المبدأ أن أية تنازلات سواء في صورة تخفيضات جمركية أو غيرها قدمت لأ
حد الأطراف ،
يلزم تعميمها على بقية الأطراف . ويعرف هذا المبدأ بمبدأ التجارة بدون تمي
ز بين الأطراف،ويؤدي تطبيق هذا المبدأ إلى إنسياب التجارة بطريقة أسهل
وأقل تكلفة ، حيث لا يتطلب ذلك
التفاوض وإعادة التفاوض ، من أجل الحصول على تنازلات من الأطراف الـ
متعاقدة.
ويمتد تطبيق هذا المبدأ في التعامل ليشمل النظم والتعليمات والإجراءات التـ
ي تحكم
التبادل التجاري بين الدول ، والضرائب والرسوم الداخلية التي تفرض على
السلع المصدرة أو
المستوردة ، حيث لا يجوز للدولة التمييز بين الدول عند منحها امتيازا يتعل
ق بأي من هذه
الجوانب ، وتستثنى التنظيمات الإقليمية الاقتصادية من تطبيق مبدأ الدولة ا
لأولى بالرعاية إذ
يحق للدول الأعضاء في هذه التنظيمات أن تنسق فيما بينها لتبادل امتيازات
تفضيلية سواء
كانت تلك الامتيازات جمركية أو إدارية وذلك دون أن يحق للدول الأخرى الـ
حصول على هذه
الامتيازات التفضيلية *(مركز البحوث والدراسات،الرياض ،2005)*. كذلك يـ
ستثنى من تطبيق هذا المبدأ حالة الدول التي يسرى عليها نظام الأفضليات
المعمم (The Generalized Preference System (TGPS)
(والذي تقوم بموجبه الدول
المتقدمة الصناعية بمنح مزايا وتفضيلات جمركية لوارداتها من السلع المـ
صنعة ونصف
المصنعة أو المنتجات الزراعية من الدول النامية دون أن يترتب على ذلك مـ
عاملة المثل من
جانب الدول النامية تجاه وارداتها من الدول المتقدمة ، وتتمثل تلك المزايا
والتفضيلات في
تخفيضات الرسوم الجمركية أو الإعفاء الكامل من تلك الرسوم.
2. مبدأ المعاملة الوطنية (National Treatment)
تلتزم الأطراف المتعاقدة وفقا لنص المادة الثالثة من اتفاقية الجات(
GATT) بعدم التمييز بين

**المنتجات المستوردة والمنتجات المحلية ، بمعنى عدم إعطاء المنتجات المحـ
ليـة أي ميزة
تفضيلية على المنتجات المستوردة ، ويكمل هذا المبدأ المهم مبدأ الدولـة الأ
ولى بالرعاية ،
حيث يضع هذا المبدأ منتجات كل الشركاء التجاريين على قدم المساواة في ا
لمعاملة الضريبية
والجمركية . وهذا يعني أن الواردات من سلعة معينة تعامل بمجرد عبورها
حدود الدولة
المستوردة ، نفس المعاملة التي تعامل بها المنتجات المماثلة ذات المنشأ الـ
وطني.**

3. مبدأ الشفافية (Transparency)

**يقصد بالشفافية بأن تقتصر حماية الصناعات المحلية من المنافسة الأجنبية
على
استخدام الرسوم الجمركية فقط دون اللجوء إلى الإجراءات الأخرى غير الجـ
مركية كحظر
الاستيراد أو تقييد الواردات من خلال نظام الحصص ، ومغزى ذلك أن التعر
فة الجمركية
يمكن قياسها ومتابعة آثارها بطريقة أفضل من القيود الكمية . ويعرف هذا ا
لمبدأ بمبدأ حماية الصناعات الوطنية من خلال الرسوم الجمركية.
4. مبدأ تشجيع المنافسة العادلة (الفارسي،2007،ص 146)
تهدف العديد من مفاهيم اتفاقية منظمة التجارة العالمية إلى الإعانات المنافـ
سة العادلة
ومكافحة الممارسات غير العادلة مثل أساليب تقديم الإعانات وسياسات الإغـ
راق التي تتبعها
بعض الدول بتحديد مستوى الأسعار لمنتجاتها دون مستوى التكلفة بغرض
الاستيلاء على
الأسواق . ويجب الانتباه إلى أن منظمة التجارة العالمية ليست مؤسسة تجا
رة حرة ، بل يسمح
نظامها بفرض التعرفة الجمركية ، كما يسمح في ظروف محدودة بإتباع وسـ
ائل الحماية
الأخرى .وتحاول أحكام المنظمة تحديد ماهية المنافسة العادلة وماهية المنا
فسة غير العادلة**

والطريقة التي يمكن بها للدول أن تفرض رسوما إضافية على مستورداتها للتعويض على الأضرار التي لحقت بها جراء التعامل التجاري غير العادل.
5. السماح باللجوء إلى الإجراءات الوقائية (Safeguard Measures)
يسمح هذا المبدأ باللجوء إلى إجراءات حماية إذا تعرضت الدولة لتدفق وار دات تؤدي إلى الإضرار ببضاعتها والإجراءات قد تشمل القيود الكمية (Quota System)،
التنازلات التي ألتزمت بها الدولة من تخفيضات جمركية . بعبارة أخرى يجو ز للدولة المنضمة
إلى الاتفاقية إذا واجهت تدفقا مفاجئا وضخما من الواردات من سلعة معينة على نحو يلحق
ضررا جسيماً بالمنتجين المحليين لهذه السلعة أو يهدد بوقوع الضرر أن تف رض قيودا تجارية
على السلع الموردة إليها عن طريق وفق ما سبق أن تعهدت به من التزاما ت وتخفيضات في
التعرفة الجمركية جزئيا أو كليا بشرط أن يطبق هذا الإجراء دون تمييز بين الدول المصدرة، مع الالتزام بإلغاء هذه الإجراءات خلال فترة زمنية معينة بـ اعتبارها إجراءات مؤقتة (المراكبي، 2005،ص 207)

سادسا:الدراسات السابقة

1- الدراسات الفلسطينية

أشار نقاش "الطاولة المستديرة" التي ينظمها معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني "ماس"، والتي تناولت جهود انضمام فلسطين لمنظمة التجارة العالمية، أن سياسة السلطة منذ قيامها كانت واضحة بالسعي للحصول على عضوية المنظمة العالمية، وأن ما يمنع التقدم بهذا الطلب والموافقة الدولية عليه هو سبب سياسي، وأن إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية تعارضانه حتى قبل العام 2000. ورأى عدد من المشاركين في النقاش أنه لا مشكلة في السعي للحصول على عضوية مراقب، لأن هذه العضوية لا تفرض على فلسطين أي التزامات، إضافة إلى الاستفادة مما توفره خبرة المعرفة بسياسات منظمة التجارة من فوائد يمكن الاستفادة منها لاحقاً، في حين دعا البعض الآخر للتروي. وأشار المصري، رئيس مجلس إدارة هيئة سوق المال، إلى موافقة الجانب الإسرائيلي في المفاوضات حول هذا الموضوع على الانضمام بعد التوصل لإطار اتفاق سياسي ينهي الصراع، مضيفاً أن علينا العمل على تنمية قدراتنا وتطوير مؤسساتنا وقوانيننا لتقديم طلبنا مستقبلاً ودون ذلك يظل الموضوع نظرياً

ونحن لسنا بعيدين كل البعد عن نطاق عمل منظمة التجارة العالمية بحكم هيمنة الاقتصاد الإسرائيلي على اقتصادنا.

وعرض مدير عام 'ماس' وجهات نظر المؤيدين للجهود الفلسطينية بالذهاب لطلب العضوية، والذين يرون أن المشاركة ستعزز الحضور الفلسطيني على المسرح الدولي، وأن مفاوضات الانضمام بصفة مراقب توضح للمجتمع الدولي الأعباء الاقتصادية التي يفرضها الاحتلال الإسرائيلي على الاقتصاد الفلسطيني، وأن حصول فلسطين على عضوية مراقب يتيح لها الاستفادة من المساعدة الفنية التي تقدمها المنظمة. كما أن الحصول على عضوية المراقب من وجهة نظر المؤيدين سيسمح لها بالحصول على الامتيازات التفضيلية التي تحصل عليها البلدان النامية في منظمة التجارة العالمية، كما سيساعد الفلسطينيين على الاستفادة من آليات منظمة التجارة العالمية لتسوية المنازعات ويمكن استخدامها لرفع دعاوى ضد إسرائيل، وضد القيود التي تفرضها على الصادرات. بينما ينطلق المعارضون لطلب عضوية المراقب من الأضرار التي ستطال المزارعين، والمستفيدين حالياً من الرسوم الجمركية التي تفرضها إسرائيل على المنتجات الزراعية بنسبة 33%، وعلى منتجات الألبان بنسبة 112%، مما يشكل لهم حماية من المنافسة العالمية.

ويستند الرافضون إلى أن السعي للحصول على صفة عضو مراقب أو عضوية كاملة في منظمة التجارة العالمية للمطلب الفلسطيني بإقامة الدولة، وذلك لأن بعض أعضاء منظمة التجارة العالمية ليسوا دولاً أصلاً، وأن التبادل التجاري بين إسرائيل والأرضي الفلسطينية لا ينظر إليه كتجارة دولية- بموجب اتفاق باريس الاقتصادي-، ففلسطين لن يكون باستطاعتها استخدام آليات منظمة التجارة العالمية لتسوية النزاعات والشكاوي ضد القيود التي تفرضها على التجارة.

وبين أبو غوش مستشار وزير الاقتصاد الوطني أن عملية الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية منذ قيام السلطة الوطنية، تهدف إلى الاندماج في النظام التجاري متعدد الأطراف والتعرف إلى قواعده وأنظمته، والوصول إلى مزيد من الأسواق العالمية، والمساهمة في تحسين البيئة الاستثمارية والاستفادة من جهاز فض النزاعات[T.A.1] والحصول على المساعدات الفنية بهدف بناء قدرة المؤسسات لتطبيق اتفاقيات منظمة التجارة العالمية.

وقالت مديرة مركز التجارة الفلسطيني حنان طه: "نحن لا نقلل من حجم وأهمية منظمة التجارة العالمية، وإنه طريق صعب تتضارب فيه المصالح وتختلف فيه الأجندات، والتوافق لا يأتي إلا بعد مفاوضات شاقة قد تطول عشرين عاماً، وإن المرجعية في المصالح والمفاوضات هي المصالح

الوطنية، ونحن نتفق مع البعض على بعض الفوائد وعلى بعض المخاطر والأضرار المترتبة، والسؤال: هل تم تحديد أهدافنا الوطنية؟ وهل تم تحديد سياسات واضحة ننطلق منها؟.

وقال الجعفري علينا التفكير بطريقة مختلفة من نوع الذهاب بصفة مراقب ومن ثم طلب العضوية، لأن طلب المراقب لا يرتب علينا العديد من المهام، والعضوية الكاملة تتطلب منا تحديد السياسات التجارية، ونحن في ظل الاحتلال واتفاق باريس الاقتصادي لا يمكن لنا صياغة سياسة تجارية خارجية.

وفي ندوة نظمتها وزارة الاقتصاد الوطني بالتعاون مع برنامج المساعدات التقنية الأوروبية حول اتفاقيات منظمة التجارة العالمية تركز الموقف الرسمي الفلسطيني على أن وزارة الاقتصاد تؤكد على أهمية الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية بهدف الاندماج في النظام التجاري المتعدد الأطراف واخذ مكانة فلسطين على الخارطة التجارية العالمية، وكذلك في فتح مزيد من الأسواق أمام المنتجات الفلسطينية، بالإضافة إلى جذب المستثمرين للمساعدة في تطوير الاقتصاد الفلسطيني. وفي عملية التحضير للانضمام لمنظمة التجارة ألعالمية تم اتخاذ مجموعة من الإجراءات من أبرزها تشكيل الفريق الوطني والفريق الفني ألاستشاري وتطوير خطة الطريق لانضمام فلسطين للمنظمة وتأسيس وحدة منظمة التجارة العالمية في الوزارة بهدف تنسيق وتوحيد الجهود التي تبذل ولإدارة ملف المفاوضات المستقبلية، كما تم تشكيل لجنة خاصة بالشفافية لفحص مدى تطبيق متطلب الشفافية في المؤسسات الفلسطينية. و تقول الوزارة بأن فلسطين تعمل على مواءمة القوانين والأنظمة مع الإطار الناظم في منظمة التجارة العالمية وقد اتخذت فلسطين قراراً بان تتماشى الإجراءات والقوانين مع المعايير الدولية لافتاً بان وزارتي الاقتصاد الوطني والخارجية تقومان بعملية مستمرة من المشاورات مع أعضاء منظمة التجارة العالمية للحصول على الإجماع المطلوب للانضمام. وبين مدير وحدة منظمة التجارة العالمية في وزارة الاقتصاد الفلسطيني أن عدد من الخبراء الدوليين قدموا من فرنسا، وسلوفاكيا، وليتوانيا، إلى فلسطين من اجل زيادة المعرفة وخلق الوعي بأنظمة وقواعد المنظمة، وكيفية الاستفادة من ذلك في التحضير للانضمام خصوصاً ان الوزارة والجهات ذات العلاقة قطعت شوطاً كبيرا في ألانضمام لافتاً إلى انه تم دعوة فلسطين من قبل السيد باسكال لامي مدير عام منظمة التجارة العالمية للاستفادة من المساعدات التقنية الموجودة في المنظمة بهدف التحضير للانضمام .

وفي مقال نشر في جريدة القدس تساءل فيه "أبو خليل" عن إمكانية أن تصبح فلسطين عضوا في منظمة التجارة العالمية من المنظور القانوني، هل يمكن اعتبار فلسطين التي لا زالت رازحة تحت الاحتلال دولة وفقا لمعيار القانون الدولي أو وفقا للمنظور العالمي للسلطة الوطنية الفلسطينية كـأنها إدارة تدير دولة مستقلة، وإن لم تكن كذلك فهل تعتبر فلسطين ذات كيان جمركي مستقل؟.

لا يمكن اعتبار فلسطين دولة مستقلة وفقا لمعيار القانون الدولي لوجود الاحتلال ، إلا أنه من المنظور الدولي والواقعي فإن فلسطين ليست دولة مستقلة السيادة. أما البديل الأخر والمتمثل باعتبار فلسطين ذات كيان جمركي مستقل، ومن خلال الالتفات لإتفاقية باريس الإقتصادية الموقعة ما بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل والتي تنظم العلاقات الإقتصادية بين الجانبين، يظهر جلياً ارتباط السوق الفلسطيني بالنظام الجمركي الإسرائيلي وتحديدا فيما يتعلق بالسيطرة على الحدود حيث أن السلطة الوطنية لا تسيطر على أية حدود، وعليه يسقط مفهوم المنطقة ذات الكيان الجمركي المستقل وبالتالي لا يمكن اعتبار فلسطين أو المناطق التي تسيطر عليها السلطة الوطنية حاليا منطقة ذات استقلال جمركي مستقل، بل هي منطقة مرتبطة جمركيا واقتصاديا بالنظام الجمركي والاقتصادي الإسرائيلي . ولكن يبقى السؤال الأكثر واقعية وهو هل فقط تقتصر مشاركتنا وعضويتنا في هذه المنظمة على رمزية العضوية بأن فلسطين الرازحة تحت الاحتلال أصبحت عضوا في منظمة التجارة العالمية رغم وجود الاحتلال كانتصار سياسي فقط، أم أن هناك ضرورة اقتصادية حقيقية .فالواقع الاقتصادي الفلسطيني يشير إلى أن اتفاقية باريس الاقتصادية قيدت النظام الاقتصادي الفلسطيني وتحديدا فيما يتعلق بحرية التعامل مع العالم الخارجي إلا من خلال الإجراءات الجمركية الإسرائيلية . ولما كانت قواعد منظمة التجارة العالمية تقوم على مبدأ تحرير التجارة المتبادلة فيما بين الأطراف المتعاقدة من الدول من تجارة البضائع وسهولة انتقالها وسهولة انتقال الخدمات والتي تشمل سهولة انتقال الأشخاص الطبيعيين فيما يعرف باتفاقية الجاتس (GATS)، فإنه من البديهي أننا لا نملك الخيار بتطبيق مبدأ تحرير التجارة وتسهيل دخول البضائع وخدمات الدول الأعضاء من وإلى فلسطين لسبب بسيط يعود لعدم سيطرة السلطة الفلسطينية على الحدود الأمر الذي يحجم ويقلل من حاجتنا الحالية الماسة للعضوية في المنظمة على الأقل من الناحية الإقتصادية.

ووصف وزير الاقتصاد الوطني السابق أن الولايات المتحدة الأميركية تدعم طلب فلسطين للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية وإبداء

استعدادها لتقديم المساعدات الفنية اللازمة في مرحلة التحضيرات لتسهيل قبول فلسطين كعضو مراقب في المنظمة بالخطوة الهامة على طريق الانضمام لمنظمة التجارة العالمية والتعامل بالمثل ضمن المنظومة التجارية العالمية. وقال الوزير أن الهدف من تقديم طلب انضمام فلسطين للمنظمة هو هدف اقتصادي بحت، وأن فلسطين ستتمكن من الاستفادة من التسهيلات التجارية للدول الأعضاء، بما في ذلك تخفيض الجمارك على الصادرات الفلسطينية، وبالتالي تدفق الصادرات الفلسطينية إلى الخارج ووصول المنتج الوطني إلى أكبر عدد من أسواق الدول الأعضاء وفتح أسواق جديدة أمام المنتج الفلسطيني على مستوى عالمي.

وأعرب تقرير لوزارة الاقتصاد الوطني حول منظمة التجارة العالمية والواقع الفلسطيني انه بما أن فلسطين تعتبر من الدول النامية فإن قواعد وقوانين منظمة التجارة العالمية مطبقة فيها بحكم اتفاقية باريس الاقتصادية ما بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وبما أن إسرائيل عضواً في منظمة التجارة العالمية وبحكم هذه الاتفاقية فإن سياسات التجارة الخارجية لإسرائيل تسري على فلسطين، فالاقتصاد الفلسطيني يدفع ثمن العضوية ويلتزم بالالتزامات المفروضة على الأعضاء دون الانتفاع من مزايا العضوية، كما أن فلسطين لا تستطيع تقديم شكوى ضد الممارسات الإسرائيلية التجارية غير المنصفة لأن فلسطين ليست عضواً في المنظمة ولا يحق لها اللجوء لآليات حل النزعات التجارية التي تنص عليها الاتفاقيات، كما أن انضمام فلسطين لمنظمة التجارة العالمية سيكون لها انعكاسات إيجابية وسلبية عديدة على الاقتصاد الفلسطيني.

وفي نهاية هذا العرض للدراسات والآراء التي تناولت إمكانية انضمام فلسطين إلى منظمة التجارة العالمية فإن غالبية هذه الآراء تؤكد على الرغبة والاستعداد اللازم لوضع فلسطين على الخارطة الدولية، والعمل على خلق البيئة المناسبة، وبناء القدرات والتواصل مع الخارج والوصول إلى الأسواق العالمية، ورفع قدرة القطاع الخاص على التنافس وإعادة هيكلة بعض القطاعات بما يضمن تحقيق التنمية المستدامة وزيادة النمو الاقتصادي. كما أن المخاوف يمكن أن تكون محدودة نظرا لأن سوقنا مكشوفة أصلا بحكم الأمر الواقع والسياسات الإسرائيلية.

2- الدراسات والتجارب العربية

في الأردن أظهرت دراسة لوزارة الصناعة والتجارة الأردنية(2011) أن الأردن أدخل جملة من الإصلاحات على نظامه التجاري شملت تغييرات في

البيئة القانونية لنظامه التجاري بما ينسجم مع اتفاقيات المنظمة، حيث تم تعديل واستحداث عدد من القوانين خاصة في مجال الملكية الفكرية . كما تم تعديل القوانين المتعلقة بالمواصفات والمقاييس والزراعة وحماية الإنتاج المحلي والضريبة العامة على المبيعات والجمارك والاستيراد والتصدير، إلى جانب نظام استثمارات غير الأردنيين .وفي مجال التجارة في السلع، فقد تضمنت الالتزامات الأردنية تجاه المنظمة تخفيض نسب التعرفة الجمركية لتكون بحدها الأعلى (30%) في عام 2000 ومن ثم تخفض إلى (25%) في العام 2005 وأخيراً ليستقر سقف التعرفة الجمركية الأردنية عند مستوى (20%) في العام 2010 ، مع استثناء بعض السلع من هذا التخفيض حيث تم ربط سقف التعرفة الجمركية لها على (30%) ، ومن جانب آخر، التزم الأردن بموجب انضمامه إلى المنظمة بتحرير عدد من القطاعات الخدمية بما يوفر حرية نفاذ موردي الخدمات والمستثمرين الأجانب من الدول الأعضاء في المنظمة إلى السوق الأردني وبما ينسجم مع التشريعات الأردنية السارية.

وفي سلسلة من الدراسات التي تناولت القضايا والتحديات التي تواجه الدول العربية على طريق الانضمام لمنظمة التجارة العالمية والتي طرحت في المؤتمر السنوي الثامن" منظمة التجارة العالمية- تحديات واهتمامات وقضايا تهم الدول العربية" والذي عقدته المنظمة العربية للتنمية الإدارية بالتعاون مع وزارة الصناعة والتجارة الخارجية بجمهورية مصر العربية في الفترة من 24- 26/ 6/ 2012. فقد أكد المؤتمرون على أهمية تعزيز النظام التجاري متعدد الأطراف ليصبح أكثر فاعلية وقدرة على الاستجابة لاحتياجات واهتمامات جميع الدول الأعضاء لا سيما الدول النامية والدول الأقل نموا خاصة في ظل التحديات التي يواجهها الاقتصاد العالمي. وركز المؤتمر على أن الأزمات المالية والاقتصادية العالمية والمشكلات الجوهرية التي تعترض اقتصاديات الدول المتقدمة، قد خيمت بظلالها على النظام التجاري متعدد الأطراف حيث تصاعدت التوجهات الحمائية ولا سيما على مستوى بعض الدول الأعضاء بمجموعة العشرين وذلك وفقا لتقرير منظمة التجارة العالمية الصادر في 31 مايو 2012، حيث قامت بعض دول المجموعة بتطبيق 124 إجراء جديد مقيد للتجارة الأمر الذي كان له تأثير على حوالي 0,9 % من الواردات العالمية و1,1 % من واردات دول مجموعة العشرين.

وعلى صعيد الرأي الرسمي لمنظمة التجارة العالمية فلقد تطرق مدير إدارة التجارة في الخدمات بمنظمة التجارة العالمية بالمزايا العديدة التي يمكن أن تكسبها الدول العربية من انضمامها للمنظمة العالمية للتجارة بغض النظر

عن الهيكل التنظيمي لاقتصادياتها في الوصول إلى الأسواق الدولية. وأكد على أهمية تنسيق مواقف الدول العربية الأعضاء في المنظمة والتصرف كمجموعة متوافقة للتأثير على أهم القضايا المطروحة أما بالنسبة للبلدان التي لم تنضم بعد إلى منظمة التجارة العالمية، فلا بد لها من أن تحدد أولا أهدافها الاقتصادية لترى مدى انسجامها مع أهداف المنظمة وتستفيد من خبرات البلدان التي سبقتها مما يمكنها من الدخول في اتفاقيات جماعية خارج إطار المؤتمرات والاجتماعات الرسمية لتتفاوض مجتمعة فتحقق أكثر ما يمكن تحقيقه على المستوى الفردي .

وفي سوريا أظهرت دراسة (الرفاعي وآخرون ،2005) "الآثار المتوقعة لانضمام سوريا إلى منظمة التجارة العالمية على الاقتصاد السوري" أن انضمام سوريا إلى منظمة التجارة العالمية يثير مسألة الآثار الايجابية والسلبية والتي تستمد من إيجابيات وسلبيات التجارة الدولية ذاتها، ويتوقف حجم وطبيعة آثار الاتفاقات في إطار منظمة التجارة العالمية عن العضوية ذاتها، التي تفرض جملة من الالتزامات المحكومة بالاتفاقات، ولكنها تتيح العديد من الحقوق المتعلقة بإمكانية نفاذ السلع والخدمات إلى الأسواق العالمية، كما أن هذا الأمر يتعلق أيضاً بالتركيب البنيوي لاقتصاد الدولة طالبة العضوية، ومساهمة قطاعاتها الاقتصادية من بنية الصادرات والواردات. وينطبق على الاقتصاد السوري كل مواصفات الاقتصاد النامي: ضعف القطاع الصناعي، غلبة الصادرات من المواد الأولية وضعف إنتاجية العمل ،ولذلك فإن انضمام سورية المتوقع إلى عضوية منظمة التجارة العالمية يخضع لمعايير انفتاح الاقتصاديات النامية على الدول الأعضاء.

وفي ليبيا بينت دراسة (عبيدة وفياض،2006) بعض الآثار المتوقعة لانضمام ليبيا إلى منظمة التجارة العالمية على قطاع الخدمات المالية الليبية حيث أوضحت الدراسة انه من المتوقع أن يكون لإتفاقية الخدمات المالية آثارا متباينة على القطاع المالي في كافة الدول، إلا أن ذلك يتوقف على حجم ودرجة نمو وتطور القطاع المالي بها، وأيضا على مدى وكيفية الإستفادة من المعاملة الخاصة للدول النامية، والأقل نموا التي تتيحها بنود اتفاقية الخدمات المالية لهذه الدول إذا اختارت الإنضمام إلى منظمة التجارة العالمية، ويعتمد أيضا على مدى وكيفية تنفيذ الإلتزامات من قبل الدول المتقدمة، ونظرا لتخلف وصغر حجم القطاع المالي في ليبيا الأمر الذي يجعله شديد التأثر بالتغيرات الإقتصادية والمالية الخارجية، فقد تبين من هذه الدراسة أن هذا القطاع سوف يتأثر سلبا بالإنضمام أو عدم الإنضمام إلى منظمة التجارة العالمية، سواء في المدى المنظور أو في المدى الطويل، إلا أن عدم الإنضمام سيكون أكثر ضررا على القطاع المالي في

المدى الطويل منه في حالة الإنضمام، وهذا على إفتراض أن الإنضمام يترتب عليه البدء الفوري في تحرير القطاع المالي في ليبيا. وفي دراسة مماثلة (الفارسي ، 2007) أوصت بمجموعة من التوصيات خاصة بانضمام ليبيا إلى منظمة التجارة العالمية ومن أهم هذه التوصيات الاهتمام بتحرير التجارة الخارجية باعتبارها الوسيلة الرئيسة لـ لانضمام
إلى منظمة التجارة العالمية ،و إيجاد إنتاج مخصص للتصدير وفقا للمعايير والمواصفات الدولية ، وإعفاء الأنشطة التصديرية من كافة أنواع الضرائب والرسوم وإعفاء المصدرين من
تكاليف الحصول على القروض والتسهيلات وفوائد تمويل المشروعات التـ صديرية،
وإنشاء أجهزة متخصصة لمتابعة ومراقبة تطورات الأسواق العالمية ، ور سم السياسات
التجارية في ضوء عمليات المتابعة للإنتاج والأسعار والمخزون من السلع على المستوى المحلي والعالمي ،
وأهمية الاتجاه نحو التكامل الاقتصادي العربي مع دول الجوار الأفريقية ، و الانضمام
إلى تكتلات إقليمية ودولية ، وذلك لأن واقع التجارة العالمية يمنح كافة التكـ تلات
الاقتصادية والإقليمية والدولية مزايا لا تحظى بها الدول خارج هذه التكتلات .

كما تناولت دراسة (الجوارين، 2007) التطور التاريخي لنشوء منظمة التجارة العالمية وبيان وظيفتها وهيكلها التنظيمي والدور الذي تؤديه ، ثم عرض لأهم الآثار المتوقعة لانضمام الدول النامية لتلك المنظمة ، وتقوم فرضية الدراسة على انه " بسبب الضعف الهيكلي للبلدان النامية في معظم المجالات الاقتصادية فان قيام منظمة التجارة العالمية له فوائد كبيرة تصب في مصلحة الدول المتقدمة وليس النامية". وبسبب الضعف الهيكلي للبلاد النامية في مجال الثروة و القوة إذ لا يزيد حجم تجارتها عن 27% من التجارة العالمية، فهي دائما الخاسر الأكبر، ففي مجال السلع الزراعية و المنسوجات سوف تواجه هذه البلاد حجما أقل من الوسائل الجمركية على صادراتها المتواضعة، و مقابل ذلك سوف يطلب منها فتح المزيد من أسواقها في مجال الإستثمار و التسويق و الخدمات و السلع الزراعية الأوروبية و الأمريكية، الأمر الذي يقلل من مقدرتها على التنافس مقابل هذا السيل من التدخل الاقتصادي الخارجي.(حمدي،1996،ص 39)

إن قيام منظمة التجارة العالمية قد حقق مكاسب كبيرة جدا للدول المتقدمة ، حيث تسيطر هذه الدول على ما نسبته (75%) من التجارة العالمية، بينما تزداد واردات المواد الاستهلاكية والعادية بالنسبة للدول النامية ، وحتى الآن فان الآثار السلبية لتحرير التجارة بالنسبة للدول النامية هي أكثر من الآثار الايجابية ، وعلى الدول النامية كي تستفيد من انضمامها للمنظمة أن تقوم بالاستمرار في تعزيز قدراتها ورفع كفاءتها من خلال استخدام التكنولوجيا الحديثة،والمطالبة بضرورة توفير المزيد من الدعم في مجال النفاذ للأسواق وتخفيف القيود الخاصة بالمواصفات والمعايير ،و المطالبة في فتح أسواق الدول المتقدمة أمام الصادرات الخدمية فيما يخص انتقال العمالة كمطلب أساسي للدول النامية، وأهمية تعزيز القدرات في مجال السلع والخدمات والاستفادة من المساعدات وفترات السماح التي تمنحها منظمة التجارة العالمية للدول النامية.

وفي السعودية أظهرت دراسة (الحصيني، 2009) مجموعة من التحديات التي تواجه السعودية بخصوص الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية ومن أهم هذه التحديات الشفافية والوضوح في تنفيذ الأنظمة والإجراءات وزيادة المنافسة في السوق من السلع المستوردة . كما أن على السلطات تنفيذ الأنظمة واللوائح ذات العلاقة بالاتفاقيات التي تندرج ضمن المنظمة مثل براءة الاختراع والمنافسة وتراخيص الاستيراد والتصدير والتدابير الصحية والعوائق الفنية المختلفة ،هذا بالإضافة إلى التحديات التي تواجه القطاعات الاقتصادية المختلفة ومن أهمها زيادة النفاذ إلى الأسواق المحلية واشتداد المنافسة، وانخفاض الرسوم الجمركية على بعض السلع المستوردة وعدم إمكانية تقديم الدعم المباشر لقطاع الصادرات. كما اعتبرت الدراسة النجاح في هذه التحديات كفيل بان يحول هذه التحديات إلى ميزات من شانها أن تجعل البيئة الاستثمارية أكثر جذبا وتشجيعا للاستثمار. وأوصت الدراسة بأنه يجب على القطاع العام أن يقوم بالوفاء بمتطلبات الالتزامات الجديدة وبناء القدرات الحكومية القادرة على التعامل مع الوضع الجديد.

وفي الجزائر أظهرت دراسة (قويدر وعبدا لله،2005) آثار انضمام الجزائر إلى منظمة التجارة العالمية، حيث خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات كان من أهمها ضرورة رسم وتوضيح معالم إستراتيجية شاملة وقطاعية، وضرورة الحصول على المساعدات التقنية الكفيلة لتسريع الانضمام إلى المنظمة الدولية مع الأخذ بعين الاعتبار الحالة الخاصة للاقتصاد الجزائري والاستمرار في تعديل وتكييف المنظومة القانونية والتشريعية بما يتلاءم مع مقتضيات الانضمام ومواصلة الإصلاحات المصرفية والجمركية. بالإضافة إلى ذلك أوصت الدراسة بضرورة تطوير

أسواق المال وتشجيع الاستثمار الأجنبي وكذلك تشجيع المنتجات المحلية واستهلاكها.

سابعا: موقف فلسطين من الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية

تسعى الدول للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية ، إدراكا من الدور الهام الذي أصبحت تلعبه منظمة التجارة العالمية ، وانطلاقا من إدراكها أيضا لما نصت عليه اتفاقية الجات 1994 من فترات سماح مختلفة لتطبيق أحكامها بلغ في أقصاها 10 سنوات منذ تاريخ 1995/1/1 الذي تحقق فيه التحرير الكامل لتجارة السلع والخدمات ويسير النظام التجاري العالمي قدما نحو المزيد من تنظيم حركة التجارة الدولية والجوانب المتعلقة بحماية الملكية الفكرية والاستثمار والتنمية. وفي ضوء هذه التطورات فإن بقاء أية دولة خارج إطار منظمة التجارة العالمية من الأمور شبه المستحيلة ، لأنها ستجد نفسها غير قادرة على تأمين تبادلها التجاري والتعامل مع الدول الأخرى دون التعرض لصعوبات تتمثل في تطبيق الأطراف الأخرى قيودا لا تستطيع مجابهتها في مجال التعامل التجاري في السوق الدولية. فقد تقدمت السلطة الوطنية الفلسطينية في عام 2009 طلبا من اجل انضمام فلسطين إلى منظمة التجارة العالمية كعضو مراقب، كما قامت فلسطين بمراجعة طلبها وإعادة تقديمه في عام 2010 (وزارة الاقتصاد الوطني، 2012).

أما بالنسبة لشروط وإجراءات الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية (WTO) لم يعد سهلاً كما كان في الجات سابقا ، بل أصبح خاضعا لإجراءات ومفاوضات طويلة يجب على الدولة طالبة العضوية إتباعها ، وتشمل هذه الإجراءات ما يأتي: (فضل ، 2000 ، ص 193)

- دراسة أوضاع البلد الاقتصادية وسياساتها في مجال التجارة الخارجية و سياسات الدعم الممنوحة للمنتجين والمصدرين.
- الأنظمة الجمركية للاستيراد والتصدير المعمول بها بتاريخ تقديم الطلب.
- جدول بالتعرفة الجمركية المتبعة والتي تشمل كافة السلع والخدمات.
- تقوم السكرتارية العامة بالمنظمة بإخطار الأعضاء الذين لهم علاقات تجارية مع الدولة طالبة العضوية وتدعوها إلى عقد مشاورات بشكل ثنائي أو متعدد الأطراف تحت إشراف السكرتارية العامة ، والمجالس ، واللجان المتخصصة.

● يشكل مجلس المنظمة فور استلامه طلب العضوية فريق عمل من ممثلين عن الدول
التي لها علاقات تجارية مع الدولة الراغبة في العضوية ، مهمته دراسة الـ سياسات
التجارية والعلاقات التجارية لهذه الدولة ، وتحليل هذه السياسات لمعرفة مد ى تطورها في المستقبل.
●تجري مفاوضات الانضمام على مسارين متوازيين:
المسار الأول : يعمل فيه فريق العمل على رسم المعالم الأساسية لبروتوكول الانضمام
الذي يضم أحيانا السياسة العامة لالتزامات تحرير التجارة وفق خطة زمنية محددة.
المسار الثاني : تعمل فيه لجان المفاوضات بين الدولة طالبة الانضمام وبين ممثلين
عن الدول الأعضاء ذوي العلاقات حول جداول التعرفة للسلع والخدمات وغ يرها من
الالتزامات . وتنظيم لوائح بالتعريفات الجمركية مع بروتوكول الانضمام.
●يجمع فريق العمل نتائج المفاوضات على المسارين في تقرير واحد يقدم إ لى مجلس
منظمة التجارة العالمية ، فإذا قبله المجلس يصبح طلب العضوية مرشحا لي عرض على
المجلس الوزاري لاتخاذ القرار بشأنه ، ويحتاج قرار قبول العضوية إلى ثل ثي أصوات جميع الأعضاء الذين يعتبرون أطرافا متعاقدة.
●يصبح الانضمام نافذا بعد ثلاثون يوما من تاريخ التوقيع إلا إذا كان من الـ ضروري أن
يصدق الانضمام من قبل السلطات الدستورية في بلد الدولة طالبة الانضمام عندها تصبح العضوية نافذة بتاريخ التصديق.
ويطلب من الدولة طالبة العضوية تحقيق عددا من الأمور ينص عليها في و ثيقة بروتوكول الانضمام ومن هذه الأمور ما يأتي: (المرجع السابق، ص 195)
●إعادة النظر في السياسات الاقتصادية والإنمائية المطبقة بصورة تنسجم مـ ع أحكام اتفاقية المنظمة.
●إعادة النظر في هيكلية المؤسسات المصرفية والنقدية.
●اعتماد نظام الجودة والمواصفات العالمية والرقابة على الإنتاج.

●تحسين المناخ الاستثماري في الدولة مع توفير الحماية اللازمة للملكية الـ فكرية.
●إعادة النظر في الحذر المفروض على الاستيراد والتصدير وجميع الأنظمة التي تشكل
عائق أمام التبادل التجاري وتحويلها إلى تعرفة جمركية يتم الاتفاق عليها مـ ن خلال المفاوضات.
●دعم وتشجيع القطاع الخاص وتحديد دور الدولة المتمثل في الأمور الخدمـ ية العامة والبنية التحتية التي تسهل عملية الاستثمار.
●تقديم مذكرة توضيحية حول سياسة التجارة الخارجية.
●الالتزام بتحرير التجارة الخارجية من كافة القيود المختلفة.
●إعلان استعداد الدولة عن الالتزام بمبادئ المنظمة وسعيها لتطبيقها وفق الشروط التي سيتم التفاوض عليها.
●تسهيل دخول الاستثمارات الأجنبية والمحلية ومنها الامتيازات والإعفاءا ت اللازمة لمزاولة أعمالها.

ثامنا: تحليل الآثار الاقتصادية المحتملة على قطاع التجارة الخارجية الفلسطيني

1- الآثار السلبية المحتملة في مجال تجارة السلع

لقد تطورت العلاقات التجارية متعددة الإطراف في ظل منظمة التجارة العالمية(WTO) لتشمل مجالات عديدة من السلع في مجال الصناعة، والزراعة، والمنسوجات والملابس وغيرها. ومن اجل معرفة الآثار المحتملة بالنسبة لقطاع التجارة الخارجية الفلسطيني سوف يتم فحص كل من التنويع السلعي والتوزيع الجغرافي لكل من الصادرات والواردات الفلسطينية.

أ- الآثار المحتملة والمرتبطة بالصادرات الفلسطينية السلعية:

اتضح من التحليل السابق للبيانات الخاصة بالتنويع السلعي للصادرات الفلسطينية (جدول رقم 3 – أ و 3- ب) بأن أكثر من ثلاثة أرباع الصادرات الفلسطينية تتركز في المواد المصنعة والمصنفة بحسب المادة، والحيوانات الحية، والأغذية، والمواد الكيماوية والأدوية ولذلك فان من المنطقي القول بان الاقتصاد الفلسطيني في المدى القصير والمتوسط وفي ظل الوضع الاقتصادي القائم لا يستطيع أن يحدث تغيرات جوهرية في التنويع السلعي للصادرات الفلسطينية، وبالتالي فليس من الممكن توسيع القاعدة الإنتاجية وإنتاج سلع جديدة يكون قادر على اكتساب أسواق خارجية من خلالها، وعليه تبقى السلع ،التي تم الإشارة إليها، تشكل النسبة الكبرى من حصيلة الصادرات الفلسطينية. ومن جهة أخرى فقد اظهر تحليل التوزيع الجغرافي

للصادرات الفلسطينية السلعية المبين في الجدول رقم (5 – أ و 5 – ب) أن الصادرات الفلسطينية تتركز بشكل قوي وشديد مع الدول الأسيوية غير العربية (إسرائيل) بنسبة تتراوح بين (85% و96 %) والنسب الباقية على الأغلب مشتركة بين كل من الأردن ومصر والاتحاد الأوروبي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن سعي الدول للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية(WTO) يرتبط في كثير من الأحيان بالحوافز المتعلقة بحرية الدخول إلى الأسواق، وضمان منافذ تسويقية جديدة وخاصة في أسواق الدول المتقدمة وبالتالي يبدو أن هناك فرصة أمام الصادرات الفلسطينية لإيجاد منافذ تسويقية جديدة والتخفيف من التركيز الجغرافي مع إسرائيل والتي تتميز به الصادرات الفلسطينية. هذا التركيز يعني أن فلسطين لا تستطيع أن تستفيد من خلال انضمامها إلى منظمة التجارة العالمية من المزايا التي يتيحها الانفتاح التجاري أمام الأسواق الجديدة بحكم محدودية الصادرات الفلسطينية من جهة وتركيزها الجغرافي مع إسرائيل من جهة أخرى. لذلك يستدعي الأمر تبني إستراتيجية واضحة المعالم لتنمية الصادرات أولا من حيث البدائل السلعية وثانيا من حيث التنويع الجغرافي وذلك بهدف تعظيم مكاسب الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية(WTO)، هذه الإستراتيجية يجب أن تقوم على:

- وضع السياسات الرامية إلى تشجيع الصناعات التصديرية ذات الميزة النسبية ، والقادرة على الوصول إلى الأسواق الخارجية ، وتنسيق هذه السياسات مع الدول العربية والنامية.
- الاهتمام بقضايا البحث والتطوير بالنسبة لمختلف صناعات التصدير ، وبما يساعد على إزالة الحواجز التي توضع أمام هذه الصادرات بحجج المواصفات والمقاييس العالمية وقضايا التلوث.
- الاستفادة من اتفاقيات منظمة التجارة العالمية الرامية إلى عدم التمييز في المعاملة بين الدول .
- تفعيل دور القطاع المصرفي لتقديم المزيد من التمويل للصادرات الفلسطينية ، وبما يساعد على قيام مصرف متخصص في مجال تنمية وتمويل الصادرات الفلسطينية.

ب- الآثار المحتملة والمرتبطة بالواردات السلعية الفلسطينية :

هناك اثرين محتملين لاتفاقية التجارة في السلع على الاقتصاد الفلسطيني، ومن الأرجح أن تكون سلبية في المدى القصير في ظل استمرار الوضع الاقتصادي والسياسات الاقتصادية الفلسطينية على ما هي عليه، وهما:

1- الآثار الناجمة عن ارتفاع أسعار الواردات: اظهر التحليل النسبي للواردات الفلسطينية بحسب أقسام السلع (الجدول رقم 4- أ و 4 – ب) أن

الواردات الفلسطينية تتركز في أربع مجموعات سلعية هي الأغذية والحيوانات الحية، والوقود المعدني، السلع المصنعة والمصنفة حسب المادة والمكائن ومعدات النقل والتي تشكل في مجموعها ما يزيد عن 75 % من حجم الواردات الفلسطينية السلعية. وبما أن تحرير التجارة بموجب اتفاقيات منظمة التجارة العالمية(WTO) يتطلب رفع الدعم عن المنتجات الزراعية من قبل الدول الأعضاء وخاصة المتقدمة، الأمر الذي سيؤدي إلى ارتفاع أسعار تلك السلع وستتحمل معظم الدول المستوردة للسلع الغذائية خسائر سنوية قدرت بالنسبة للدول العربية بـ 5 مليار دولار (الصالحي، 2002، ص 46). هذا يعني بأن فاتورة الواردات الفلسطينية الغذائية سترتفع بشكل واضح خاصة إذا ما أيقنا بأن الاقتصاد الفلسطيني يعتمد بشكل أساسي على الخارج في تلبية احتياجات السوق المحلية من السلع الأساسية كالقمح والسكر والزيوت واللحوم وغيرها من السلع الزراعية.
ومن جهة أخرى فإن من الآثار الإيجابية لهذا التحرير للسلع الغذائية من شأ نه أن يدفع
إلى إعادة الاعتبار للقطاع الزراعي وتنمية الميزة التنافسية لبعض السلع الـ زراعية للاقتصاد
الفلسطيني نتيجة زيادة الحافز للاستثمار الزراعي ، الأمر الذي سيساعد عل ى تحقيق التنمية الزراعية إذا ترافق هذا الوضع الجديد المتوقع مع سياسة اقتصادية تهدف إلى تأهيل القطاع
الزراعي ورفع مستوى الكفاءة الإنتاجية في هذا القطاع من خلال تطوير المنتجات ، وتخفيض تكاليف الإنتاج والتسويق لمواجهة المنافسة المحتملة في الداخل ،وللتمكن من اغتنام فرص فتح الأسواق في الخارج.
أما بالنسبة للواردات من السلع الصناعية ، فإنها ستشهد نموا تدريجيا في ا لأسعار، وخاصة في الفروع
والأنشطة الصناعية الأساسية على الرغم من الإجراءات المتعلقة بتخفيض الدعم والرسوم والقيود الأخرى ، وذلك لعدة أسباب لعل أهمها تزايد التركيز والاندماج بين
الشركات الكبرى ، والهيمنة الاحتكارية للشركات متعددة الجنسيات على الـ صناعات الهامة ،الأمر الذي سيجعل تحكمها في الأسعار تحكما احتكاريا ، و هذا سينعكس بشكل سلبي على
معظم الاقتصاديات النامية ومنها الاقتصاد الفلسطيني . هذا مع العلم بأن منـ ظمة التجارة العالمية لم
تعالج بشكل دقيق الدور المتعاظم للشركات المتعددة الجنسيات وتأثيرها الاحـ تكاري على كفاءة الأسواق وحرية المنافسة. وبذلك هناك احتمال

لارتفاع فاتورة السلع الصناعية والنصف مصنعة في ظل ضعف الاقتصاد الفلسطيني وعدم قدرته على تطوير بدائل الواردات ، وضعف المؤسسات الصناعية الإنتاجية في ظل السياسات الاقتصادية المطبقة.

إذ تعتبر ظاهرة انخفاض مستويات الكفاءة الإنتاجية بالإضافة إلى ارتفاع تكاليف الإنتاج ، وانخفاض جودة المنتجات في الاقتصاد الفلسطيني نتائج لسوء استخدام الموارد الاقتصادية من جهة والسياسات والإجراءات الإسرائيلية ذات العلاقة من جهة أخرى.

2- آثار تدفق الواردات على الاقتصاد الفلسطيني:

ازدادت وتيرة الانفتاح التجاري المرتبط بالواردات السلعية،سواء تلك المرتبطة بالسلع الصناعية أو الزراعية

وهذا يعني تزايد تدفق الواردات السلعية المتنوعة في ظل أوضاع اقتصادية داخلية لا تساعد على تطور الإنتاجية ، الأمر الذي سيؤدي إلى قيام منافسة غير عادلة ينتج عنها آثار سلبية على مختلف الأنشطة الإنتاجية بوضعيتها الحالية غير التنافسية . وهذا لا يساعد على بناء اقتصاد إنتاجي يقوم على قطاعات إنتاجية تزداد اندمجا وتكاملا وترابطا في ظل غياب إستراتيجية شاملة للنهوض بالاقتصاد الوطني.

3- الآثار الناجمة عن انخفاض الإيرادات:

إن الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية ، وما يترتب عليه من التزامات سيؤدي إلى انخفاض الإيرادات العامة للدولة دون أن يكتسب الاقتصاد الفلسطيني فرصا بديلة لتعويضه عن الخسائر المتوقعة التي قد تنتج عن:

- الخسائر المتوقعة الناتجة عن إلغاء القيود الكمية على الواردات وانعكاساتها المرتبطة بزيادة تدفق الواردات بصورة قد تتجاوز الطاقة الاستيعابية الاستهلاكية للاقتصاد الفلسطيني من جهة ، وعدم كفاية حصيلة الصادرات الفلسطينية لتغطية الواردات ، إذا كان الأمر يتعلق بالواردات من السلع الاستهلاكية الترفيهية.
- الخسائر المتوقعة الناتجة عن ارتفاع أسعار السلع الغذائية باعتبار أن الاقتصاد الفلسطيني يعتمد في تلبية احتياجاته من الغذاء على المصادر الخارجية.

2-الآثار الايجابية المحتملة في مجال تجارة السلع

مما لاشك فيه بأن تطبيق إستراتيجية هيكلة الاقتصاد الفلسطيني وما تضمنه من برامج و خطوات ستكون عامل مساعد لتهيئة الظروف لجني المكاسب من الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية ، ولكنه في المقابل ينبغي أن نعمل على استقراء الآثار المتوقعة من الانضمام على قطاع التجارة الخارجية ، نظراً لما يشكله قيام منظمة التجارة العالمية واتفاقياتها من تحديات أمام الاقتصاد والتجارة الخارجية في الدول النامية وفي فلسطين ، وفيما يلي تحليلاً لبعض الجوانب الإيجابية للانضمام ، ولعل أهمها ما يأتي :

- يحق للدول الأعضاء في المنظمة الاحتفاظ بحاجز جمركي وفقا لما تراه محققا لمصالحها في حماية الصناعة الناشئة ، ويشترط لذلك الالتزام بجداول التخصصات التي يقدمها العضو، وهو ما يعني أن الدولة تفقد حقها في زيادة الرسوم الجمركية عن ذلك المستوى الذي ألزمت نفسها به في إطار التفاوض مع الدول الأخرى لفتح الأسواق ، أي أن الدولة هي التي تحدد الربط الضريبي وفق مصالحها في الحصول على تخفيضات جمركية متبادلة من الدول الأخرى. و لا يمكن للاقتصاد الفلسطيني في هذه الحالة أن يجني الفوائد إلا إذا كانت فلسطين تملك سياسة جمركية مستقلة عن إسرائيل الأمر الذي يعني بأن هذه الفائدة مرتبطة بحصول فلسطين على استقلالها السياسي.
- يحق للدولة العضو أن تلجأ إلى تقييد وارداتها باستخدام تدابير غير جمركية ، سواء كانت تدابير كمية أو حتى اختراق الحواجز الجمركية السابق الالتزام بها . و قد ورد هذا الحق في المادة الثامنة عشر من اتفاقية الجات 1994 ، والتي تشير إلى الاستثناء من قاعدة عدم فرض قيود كمية ، وذلك في حالة تعرض ميزان المدفوعات إلى خلل خطير ، أو في حالة تعرض إحدى الصناعات لأضرار جسيمة نتيجة لزيادة الواردات ، وهذا يعني أن الدولة النامية تتمتع بحق الحماية من المنافسة الأجنبية وفقا للقواعد المنصوص عليها في اتفاقيات منظمة التجارة العالمية. (النجار، 1995 ص، 182)

3-
يحق للدولة العضو بموجب الاتفاقيات استخدام الوسائل المناسبة لحماية اقتصادها من
المنافسة غير العادلة ، سواء تعلق الأمر بحدوث حالات إغراق من جانب بعض
الدول، أو تقديم هذه الدول دعما لمنتجاتها المصدرة بصورة تؤثر على عدالة المنافسة. وقد حدد الاتفاق الخاص بمكافحة الإغراق قواعد وشروط حدوث الإغراق وإجراءات المواجهة اللازمة له(عبد العزيز،1997،ص 217)،وهذه النقطة تعتبر جوهرية بالنسبة للاقتصاد الفلسطيني في ظروفه الحالية لما تعانيه الأسواق المحلية من عملية إغراق متعمدة من قبل إسرائيل.
4-
الدول الأعضاء في المنظمة يحق لها وفقا لأحكام الوقاية أن تتخذ ما تشاء من
التدابير لحماية اقتصادها من الواردات التي تأتي بكميات كبيرة ومتزايدة ، وبصورة
تلحق ضرراً أو تهدد بوقوع هذا الضرر للصناعة المحلية التي تنتج منتجات مشابهة أو منافسة للمنتجات المستوردة ، .وهذا يتيح الفرصة أمام الاقتصاد الفلسطيني لممارسة الحماية لمؤسساته وصناعته وخاصة الناشئة منها.
5- يحق
للدولة النامية الاستثناء من مبدأ الدولة الأولى بالرعاية أن تحصل على تفضيلات
جمركية لصادراتها المصنعة وشبه المصنعة إلى أسواق الدول المتقدمة ، و ذلك وفقا
لنظام التفضيلات بضرورة عدم المساواة في المعاملة بين الدول النامية والدول المتقدمة ، وإعفاء هذه
الدول من هذا المبدأ لتمكينها من الاستفادة من نظام التفضيلات الجمركية ، وقد عرف ذلك بشرط التمكين (Enabling Clause) (عبد العزيز،1997،ص 232).وبما أن الاقتصاد الفلسطيني يعتبر اقتصاد نامي فيمكن له الاستفادة من هذا الاستثناء الذي يراعي خصوصية الدول النامية.
6-
إن القواعد المؤدية إلى التحرير التجاري الدولي ستؤدي في المدى الطويل إلى رفع

كفاءة الصناعات وتحقيق أفضل استخدام وتخصيص ممكن للموارد المتاحة في
ضوء مبدأ المزايا النسبية ، وهو ما يعني رفع قدرة هذه الصناعات على مو اجهة
المنافسة ،ومن ثم توفير موارد تم إهدارها نتيجة سوء الاستخدام والتخفيض.
7-
كذلك تراعي صادرات الدول النامية بموجب اتفاق القيود الفنية لضمان ألا تضع
القواعد الفنية والمقاييس وإجراءات المطابقة عقبات غير ضرورية أمام هذه الصادرات إلى أسواق الدول المتقدمة ، مع تقديم
المساعدات الفنية اللازمة إلى الدول
النامية لإنشاء وتطوير هيئات التوحيد والقياس الوطنية ، ويدخل ضمن هذه المراعاة
إمكانية منح الدول النامية استثناءات محددة بفترات زمنية مقبولة لعدم الالتزام بأحكام اتفاق القيود الفنية. (منظمة العمل العربية،1995،ص 37)

تاسعا:مناقشة النتائج والتوصيات

1- مناقشة النتائج

يمكن إجمال نتائج البحث على النحو الآتية:

- يعاني الاقتصاد الفلسطيني من درجة عالية من الانكشاف الاقتصادي للخارج مما يجعله عرضة للتقلبات الاقتصادية التي تحدث في الأسواق الخارجية ومواجهة آثارها السلبية كالإغراق السلعي وارتفاع الأسعار والتضخم والمنافسة غير العادلة.
- تتميز الصادرات الفلسطينية بالمحدودية من جهة وبالتركيز الجغرافي الشديد مع إسرائيل من جهة أخرى،وهذا يستدعي تبني إستراتيجية وطنية واضحة لتنمية وتطوير البدائل السلعية من جهة ولزيادة التنويع الجغرافي للصادرات الفلسطينية من جهة أخرى ولذلك فعضوية منظمة التجارة العالمية تشكل فرصة أمام الصادرات الفلسطينية لإيجاد منافذ تسويقية جديدة.
- تتركز الواردات الفلسطينية في أربع مجموعات سلعية أساسية هي الأغذية والحيوانات الحية، والوقود المعدني، السلع المصنعة والمصنفة حسب المادة والمكائن ومعدات النقل والتي تشكل في مجموعها ما يزيد عن 75 % من حجم الواردات الفلسطينية السلعية، وبما أن منظمة التجارة العالمية تسعى إلى رفع القيود والحماية الحكومية عن هذه السلع خاصة من

قبل اقتصاديات الدول المتقدمة فان ذلك سوف يؤدي حتما إلى ارتفاع أسعار تلك السلع عالميا وسيتحمل الاقتصاد الفلسطيني أعباء هذا الارتفاع نظرا لان الاقتصاد الفلسطيني يعتمد على الخارج بشكل أساسي في تلبية احتياجات السوق المحلية من هذه السلع الأساسية.

- ارتفاع أسعار السلع وخاصة الزراعية عالميا قد يشكل حافز للاستثمار في القطاع الزراعي الأمر الذي سوف يعيد الاعتبار لهذا القطاع الاقتصادي الهام ويضعه على طريق التنمية الصحيحة خاصة إذا ترافق ذلك مع سياسة اقتصادية تهدف إلى تأهيل القطاع الزراعي وإتباع سبل تحسين الكفاءة والتطوير.
- زيادة الانفتاح التجاري نتيجة عضوية منظمة التجارة العالمية يعني زيادة تدفق الواردات السلعية المتنوعة الأمر الذي سوف يؤدي إلى قيام منافسة شديدة وربما غير عادلة وهذا سوف يؤثر سلبا على مسيرة بناء اقتصاد إنتاجي قادر على الاندماج مع الخارج.
- هناك إمكانية إلى انخفاض الإيرادات العامة للسلطة الوطنية الفلسطينية نظرا للوفاء بمتطلبات تحرير التجارة والتخفيضات الجمركية التي تفرضها اتفاقيات منظمة التجارة العالمية، ولكن الواقع يشير إلى إمكانية استبعاد هذا الأثر على الأقل في المدى القصير نظرا لان السياسة الجمركية المتبعة هي بيد إسرائيل وليس بيد السلطة الوطنية الفلسطينية.
- هناك إمكانية لحماية الصناعات الوطنية الوليدة والناشئة من خلال الاحتفاظ بحاجز جمركي وفقا لما تقتضيه مصلحة هذه الصناعات الوطنية، كما يحق للاقتصاد الفلسطيني إتباع سياسة اقتصادية حمائية بموجب اتفاقيات الدولة العضو في منظمة التجارة العالمية الهدف منها حماية الاقتصاد من المنافسة غير العادلة والإغراق السلعي أو حتى تقديم الدعم لمنتجات التصدير بصورة لا تؤثر على عدالة المنافسة. إذا الدول العضو في المنظمة يحق لها وفقا لأحكام الوقاية أن تتخذ ما تشاء من
التدابير لحماية اقتصادها من الواردات التي تأتي بكميات كبيرة ومتزايدة ، وبصورة
تلحق ضرراً أو تهدد بوقوع هذا الضرر للصناعة المحلية التي تنتج منتجات مشابهة أو منافسة للمنتجات المستوردة ، وهذا يتيح الفرصة أمام الاقتصاد الفلسطيني لممارسة الحماية لمؤسساته وصناعته وخاصة الناشئة منها. وهنا لا يمكن الاستفادة من كل هذه المزايا التي تقدمها منظمة التجارة العالمية إلا إذا امتلكت السلطة الوطنية الفلسطينية سياسة جمركية مستقلة.

● يحق للاقتصاد الفلسطيني الحصول على بعض الاستثناءات من مبدأ الدولة الأولى بالرعاية وبالتالي الحصول على تفضيلات جمركية للصادرات المصنعة وشبه المصنعة المتجهة إلى أسواق الدول المتقدمة.

● حصول فلسطين على عضوية منظمة التجارة العالمية قد يتيح الفرصة لمقاضاة إسرائيل على العديد من الإجراءات التجارية التي تمارسها ضد قطاع التجارة الفلسطيني الخارجي، الأمر الذي يمكن له إكساب الاقتصاد الفلسطيني بعض الاستقلال الاقتصادي والتخفيف من التبعية الاقتصادية إلى إسرائيل والتي يعاني منها.

2- التوصيات

في ضوء ما تقدم من نتائج محتملة على قطاع التجارة الخارجية الفلسطيني فإن الباحث يقترح التوصيات الآتية:

■ يجب على السلطة الوطنية الفلسطينية القيام ببناء إستراتيجية اقتصادية شاملة داعمة للاقتصاد الفلسطيني بشكل عام ولقطاع التجارة الخارجية بشكل خاص في ظل اتفاقيات منظمة التجارة العالمية.

■ ضرورة وضع برتوكول باريس الاقتصادي على سلم أوليات السياسة الاقتصادية ومراجعته مراجعة جذرية والعمل على إلغاءه أو تعديله من اجل التخلص من البنود المجحفة وغير العادلة فيه.

■ تطوير المؤسسات العامة الفلسطينية لتكون قادرة مهنيا على تقديم الخدمات التشجيعية اللازمة لجلب الاستثمار وحمايته وخلق الفرص والبيئة الملائمة له.

■ ضرورة إجراء الإصلاحات القانونية اللازمة لتوفير قانون تجاري قادر على دمج الاقتصاد الفلسطيني حسب واقع التجارة العالمية المتطور وقادر على التعامل مع القوانين العالمية وخاصة تلك التابعة لمنظمة التجارة العالمية.

المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية

1- أبو خديجة، أمال،(2011)" تقرير حول فلسطين ومنظمة التجارة العالمية"وكالة المعلومات والأخبار الفلسطينية، وفا. فلسطين.

2- أبو خليل، فادي حاتم عباس،(2010)،" عضوية فلسطين في منظمة التجارة العالمية.. رمزية سياسية أم ضرورة اقتصادية!!" جريدة الأيام، 2010/2/25، فلسطين.

3- أبو لبدة، حسن"(2011)،"أميركا تدعم طلب فلسطين الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية كعضو مراقب" جريدة الأيام، فلسطين

4- جامعة القدس المفتوحة،2008، " الاقتصاد الفلسطيني" منشورات جامعة القدس المفتوحة ، فلسطين .ص 378

5- الحصيني، علي بن عيد،(2009)" منظمة التجارة العالمية ومزايا وتبعيات انضمام المملكة العربية السعودية إليها" ، كلية التدريب، الحلقة العلمية الخاصة، نماذج من نظم العدالة العربية والدولية ،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية الرياض ، السعودية.

6- حمدي ، عبد العظيم،(1996)، "الجات و التحديات" ، أكاديمية السادات للعلوم الإدارية،القاهرة ، مصر .

7- الجوارين،عدنان فرحان،(2007) " منظمة التجارة العالمية والآثار المتوقعة لانضمام الدول النامية" كلية الإدارة والاقتصاد ، جامعة البصرة، العراق.

8- الرفاعي، عبد الهادي و عركوش، محمد وأحمد،هناء يحي،(2005)،" الآثار المتوقعة لانضمام سورية إلى منظمة التجارة العالمية على الاقتصاد السوري" مجلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 27 العدد 1.

9- الصالحي، صالح(2002)، " الآثار المتوقعة لانضمام الجزائر إلى منظمة التجارة العالمية" ، .مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، العدد الأول ، ص 32- 60

10- صندوق النقد العربي ،(2004)/" التقرير الاقتصادي العربي الموحد" ، سبتمبر

11- الطائي ، غازي صالح و منصور ، أحمد إبراهيم،(2004)" منظمة التجارة العالمية وآثارها الاقتصادية على الدول النامية" ، آفاق اقتصادية ، العدد 97 ، 2004 ، ص64

12- عبد العزيز، سمير (1997) "التجارة الدولية، وجات1994" ، مطبعة الكويت القاهرة.

13- عبيدة، صالح رجب وفياض، محمد خليل،(2006)" الآثار الإقتصادية المحتملة للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية على القطاع المالي في ليبيا" الدليل الالكتروني للقانون العربي، ليبيا.

14- الفارسي ، عيسى حمد ،(2007) " الآثار الاقتصادية المتوقعة لانضمام ليبيا إلى منظمة التجارة العالمية ، المؤتمر العربي الثاني ، التوجهات المستقبلية لمنظمة التجارة العالمية ،، 7 مارس - 2007 المنظمة العربية للتنمية الإدارية وغرفة تجارة وصناعة مسقط . مسقط– سلطنة عمان ، ص6

15- الفارسي ، عيسى حمد ،(2007)" أثر منظمة التجارة العالمية على بعض الدول العربية ، .مجلة التخطيط والتنمية ، المجلد الأول ، العدد الأول ، نوفمبر 2007 ، ص 146

16- فضل، على مثنى ،(2000)،" الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية على الدول النامية" ، مكتبة مدبولي، القاهرة.

17- قويدر، عياش وعبدا لله، إبراهيمي،(2005)،" آثار انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة بين التفاؤل والتشاؤم" مجلة اقتصاديات شمال أفريقيا، العدد 2 ص 49 – 84 .
18- جريدة الأيام، (2012)" أسباب سياسية وراء تأخير قبول فلسطين عضوا في منظمة التجارة العالمية: مختصون التجارة"، 19 ايلول2012 ، رام الله.
19 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ،(2012) "إحصاءات التجارة الخارجية 1994-2011"، رام الله، فلسطين.
20- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ،(2012),"متغيرات الحسابات القومية الرئيسية للأعوام 1994-2011 "، رام الله، فلسطين.
21- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني،(2012)،"نسبة مساهمة الأنشطة الاقتصادية في الناتج المحلي الإجمالي للأعوام 1994-2011 "، رام الله، فلسطين.
22- المراكبي ، السيد عبد المنعم،(2005)," التجارة الدولية وسيادة الدولة "، دار النهضة العربية ، .القاهرة ، 2005 ، ص207
23-
مركز البحوث والدراسات بالرياض ،(2005)" فرص التطور الاقتصادي بدول مجلس التعا ون الخليجي في ظل العولمة واتفاقيات التجارة الدولية" ، مؤتمر اقتصاديات دول مجلس التعاون،13 -15فبراير 2005 ، جامعة :- الإحساء ، المملكة العربية السعودية.
24-المنظمة العربية للتنمية الإدارية ووزارة الصناعة والتجارة الخارجية بجمهورية مصر,(2012), المؤتمر السنوي الثامن" منظمة التجارة العالمية- تحديات واهتمامات وقضايا تهم الدول العربية" 24- 26/ 6/ 2012, القاهرة. مصر.
25- منظمة العمل العربية (1995) "انعكاسات اتفاقية الجات على القطاعات الإقتصادية في الدول العربية، القاهرة.
26- المهدي ، عادل،(2003)" عولمة النظام الاقتصادي العالمي ومنظمة التجارة العالمية" ،الدار المصرية اللبنانية ، ص186
27- وزارة الاقتصاد الوطني، وحدة منظمة التجارة العالمية، (2012)،" اتفاقيات منظمة التجارة العالمية" ورشة عمل،2012/3/26، رام الله، فلسطين .
28- النجار، سعيد (1995) الجات والبلدان النامية"، مطبوعات التضامن، القاهرة.
29- وزارة الاقتصاد الوطني،(2003)"تقرير حول منظمة التجارة العالمية والواقع الفلسطيني" إعداد: عبد الرحمن، عزمي و دراغمة، عبد الله، إدارة الدراسات والتخطيط دائرة الدراسات والسياسات الاقتصادية، كانون أول 2003، رام الله.
30- وزارة الصناعة والتجارة الأردنية(2011) " انضمام الأردن إلى منظمة التجارة العالمية " عمان. الأردن

ثانيا: المراجع الأجنبية

1- GATT Agreements, (1994),” Final Text of Uruguay Round”,2nd ed, World Trade Centre, Bombay.
2-World Trade Organization,(2009), World Trade Report,www.wto.org
3-World Trade Organization,(2010), World Trade Report ,www.wto.org
4-World Trade Organization,(2011), World Trade Report,www.wto.org

الفنون

الحلزون الذهبي في الزخرفة العربية الاسلاميه

(الحلزون الذهبي في الزخرفة العربية الاسلاميه)

الأستاذ المساعد الدكتورة : صفا لطفي / جامعة بابل / كلية الفنون الجميلة

الخلاصة

يعنى هذا البحث بدراسة الحلزون الذهبي (القطاع الذهبي) في الزخرفة العربية الإسلامية , كون الزخرفة العربية الإسلامية بنيت على قواعد رياضية مما اكسبها سمة التفرد لذا فهي تمتلك مدلولات رياضية إضافة إلى مدلولاتها الجمالية .

يتضمن البحث الحالي ثلاث فصول يعرض في أولها , مشكلة البحث والتي تتضمن دراسة المتغير المتمثل بـ (حلزون القطاع الذهبي) وكيف اشتغل كبنية خفاء في زخارف المسجد الأقصى . وأهمية البحث وكذلك هدف البحث وهو كشف حلزون القطاع الذهبي في التصميم الزخرفي الإسلامي في المسجد الأقصى وذلك من خلال :

1. تحليل زخارف المسجد الأقصى .
2. دراسة النسب الرياضية المتمثلة بحلزون القطاع الذهبي في تلك الزخارف .

أما حدود البحث فقد اقتصرت على دراسة الحلزون الذهبي في التصميم الزخرفي العربي الإسلامي المنفذ بالفسيفساء في المسجد الأقصى بفلسطين في (72 للهجرة – 691للميلاد) وكذلك تضمن الفصل الأول تحديد المصطلحات .

أما الفصل الثاني فقد تضمن مبحثين : الأول : (الزخرفة العربية الإسلامية في المسجد الأقصى " نبذة تاريخية " والمبحث الثاني : وهو : مفهوم الحلزون الذهبي في الزخرفة العربية الإسلامية .

أما الفصل الثالث : فيتضمن إجراءات البحث وتحليل عينة البحث ثم الفصل الرابع الذي تضمن (النتائج والتوصيات والمقترحات) وقائمة بمصادر البحث .

((GOLDEN SPIRAL IN ISLAMIC ARABIAN ORNAMENT))

A RESEARCH SUBMITTED BY THE DOCTOR :
SAFA LUTFI / BABYLON UNIVERSITY / COLLEGE OF FINE ART

ABSTRACT :

This research tackled with studying the golden spiral or (Golden Sector) in the Islamic Arabian ornament that this ornament was built by a mathematic bases that gave this ornament the feature of being a unique , so it has mathematic indications in addition to its aesthetic indications.

*The current research consists of three chapters , **first one** shows the problem of research which is represented in the variable (**Spiral of the Golden Sector**) and how it functioned as a structure in the ornaments of Alaqsa Mosque. Also the importance of the research, the goal of the research which was about discovering the Spiral of the Golden Sector in the Islamic decorative design in Alaqsa Mosque, that is done by the following :*

1- *Analyzing the ornaments of Alaqsa Mosque.*
2- *Studying the mathematic ratios represented by the spiral of golden sector in these ornaments .*

***Limits of the research** were confined on studying the Spiral of the Golden Sector in the Islamic Arabian decorative design implemented by mosaic in Alaqsa Mosque in Palestine in the period (7 2 H- 691A.D).*

Also first chapter research included specifying the terms .

Second chapter *included two sections :* ***First one*** *(Arabian Islamic Ornament in Alaqsa Mosque, Historical brief).* ***Second section*** *was about (Concept of the Golden Spiral in Arabian Islamic Ornament)..while the* ***third chapter*** *was including the procedures of the research and analyzing the sample of the research , then the* ***fourth chapter*** *included the (results, recommendations and suggestions) and a list of the references of research*

الفصل الأول :

أولا : مشكلة البحث :

مشكلة البحث:

مما لا شك فيه أن التصاميم ألجداريه تعد من الشواهد الباقية التي تشهد على مدى التقدم الثقافي والفني للأمم والشعوب , وهي شاهد على أصالة المعرفة التشكيلية وتجذرها بما توحي به من معطيات وأفكار وليس بما تمتلكه من مهارات فحسب , والفنون ألجداريه تبقى تحمل مضامين ومرموزات مميزه كونها لصيقة بالمجتمع بمختلف مكوناته .

ومن بين تلك الفنون التي عاشت ولازالت مع المجتمع هو التصميم ألجداري الإسلامي لاسيما أذا ماعرفنا أن الفن الإسلامي هو فن حافل بالمهارة والفكر معاً ومن هنا يمكننا أن نتصور مدى عظمة هذا الفن ورقيه ومدى تأثيره على غيره من الفنون .

ومن تأملنا لتلك التصاميم ألجداريه نستطيع أن ندرك أن الفنان المسلم كان مستمر في استلهام الذهنية الاسلاميه بذهنيه شموليه من جميع النواحي التنظيرية والتقنية على نحو واحد .

ونكتشف من المعالم الشخصية لهذا الفن ومن المادة الجمالية والتكوينية ما يستطيع أن يحدد مدى تعبيره عن ملامح الفكر الإسلامي ثم ماوضع من قوانين رياضيه فلا بد من التمييز بين عاملين رئيسيين هما أولا : الحضور الفكري للإسلام في المنجز الفني وثانيا: البناء الرياضي الذي رافقه .

ومما يدعو الباحثة إلى البحث في هذه المشكلة هو لمحاولة اكتشاف ما بني عليه التصميم ألزخرفي الإسلامي من بناء هندسي و المعتمد على الحلزون الذهبي .

ومن العوامل التي ساعدت في أنجاز التراث ألزخرفي ميل الفنان المسلم إلى تزيين الجدران فقد ارتأى إضفاء قيمه فنيه وجماليه تحددها النسب الهندسية المتمثلة بحلزون القطاع الذهبي ويمكن أن ندرك أهمية دراسة الزخارف ألجداريه في المسجد الأقصى لمعرفة ما لهذا الموقع الأثري والديني من مكانه مثلت مرحلة مهمة من مراحل ألعماره العربية الاسلاميه وما يدل عليه من ذوق ودراية عاليين في مجال الزخرفة , فضلا عن كونه من الآثار التي ماتزال شاخصة إلى يومنا هذا ولا ننسى أهمية ذلك المكان من حيث بعده الإسلامي كونه أولى القبلتين وثالث الحرمين الشرفيين .

نحن ألان إزاء دراسة مدلول رياضي هو حلزون القطاع الذهبي وكيف أشتغل في زخارف المسجد الأقصى .

ثانياً : أهميه البحث

تتجلى أهمية البحث الحالي فيما يأتي :

1- يعد أساس نظري للمصمم العربي المسلم في مجال تطور الزخرفة وتنوعاتها
2- يعد أساس علمي حول تطبيق حلزون القطاع الذهبي وآلياته الهندسية في الزخرفة العربية الاسلاميه
3- لما للنسب الهندسية من أهميه تكوينيه يعد البحث الحالي من البحوث الرائدة في هذا المجال

ثالثاً: هدف البحث

يرمي البحث الحالي عن كشف حلزون القطاع الذهبي في التصميم الزخرفي الإسلامي في المسجد الأقصى وذلك من خلال :

1- تحليل زخارف المسجد الأقصى
2- دراسة النسب الهندسية المتمثلة بحلزون القطاع الذهبي في تلك الزخارف

رابعاً: حدود البحث :

يقتصر البحث الحالي على دراسة حلزون القطاع الذهبي في التصميم الزخرفي العربي الإسلامي المنفذ بالفسيفساء في المسجد الأقصى بفلسطين في القرن (72للهجرة - 691للميلاد) .

خامساً: تحديد المصطلحات :

حلزون القطاع الذهبي (proparitrmic spiral) يعرفه (سكوت : 8691) بأنه : (الحلزون الناتج من تطوير المستطيل ذو النسبة الذهبية وذلك برسم أقواس متلاحقة , باستخدام زاوية المربعات كنقطة ارتكاز وطول ضلع المربع المشترك مع المستطيل كنصف قطر لدائرة , تدور بواقع ربع دائرة في كل مربع , فسوف ترتبط ببعضها , وتشكل حلزون لوغارتمياً مضبوطاً) . (سكوت : 8691 , ص 71) وسوف تعتمد الباحثة التعريف أعلاه في مسيرة بحثها , كتعريف إجرائي .

الفصل الثاني :

المبحث الأول : الزخرفة العربية الإسلامية في المسجد الأقصى (نبذة تاريخية) :

كانت الفسيفساء مرغوبة جدا عند الأقدمين،لالتزيين دورهم فحسب بل ولمتانتها ولأنها لاتسرب الماء ،فأستعملوها في تبليط أرضيات دورهم وتزيين جدرانها .

استخدم القدماء في باديء الأمر حصى عاديه ذات ألوان فاتحه أو قاتمة رتبت بأشكال هندسيه كأن تكون مثلثات أو معينات ثم طرأت لهم فكره استخدام الطين المحروق ،بعد أن اهتدى إليها الإنسان القديم أو الحجارة أو عجينة الزجاج ،فقطعت بعناية على شكل مكعبات صغيره متناسقة تملئ بها الرسوم.

ثم ابتدعت طريقه في الفسيفساء تقوم على تلبيس المكعبات الزجاجية بورقه من الذهب ثم تطلى هذه الورقة بدورها بطبقه من الزجاج لحمايتها .بفضل هذه الطريقة .

ورثت العمارة الإسلامية هذا النوع من الفنون الزخرفية المعمارية منذ عصورها المبكرة , إذ زين المسلمون بها خلال العصر الأموي بعض آثارهم الأولى مثل قبة الصخرة في بيت المقدس (72هـ / 691م) وعملوا فسيفساءها من مكعبات صغيرة من الزجاج الملون وغير الملون والشفاف وغير الشفاف , ومن مكعبات صغيرة من الحجر الأبيض والوردي , ومن صفائح صغيرة من الصدف , وثبتوها في وضع أفقي كامل باستثناء

المكعبات المذهبة والمفضضة التي وضعوها بميل قليل لتعكس الضوء الواقع عليها فتزداد رونقا وجمالا , وقد انحصرت زخارف هذه الفسيفساء في موضوعات نباتية كثيرة ومتنوعة , كما زينوا بها الجامع الأموي في دمشق .

ومن روائع الفسيفساء في هذا الجامع جدارية (نهر بردى) وعلى شاطئه مناظر طبيعية ذات أشجار وغابات وقصور , وترجع بعض فسيفساء هذا الجامع إلى عهد الوليد بن عبد الملك (القرن الأول للهجرة / السابع الميلادي) (اتنغهاوزن , 1974,ص 13)

وعودة إلى فسيفساء المسجد الأقصى الذي يعد من أقدم نماذج الفسيفساء الإسلامية

فالمرء يستطيع أن يرى الفسيفساء في قبة المسجد وهي تغطي أجنحة وبواطن العقود ورقبة القبة

وتتألف هذه الفسيفساء من فصوص صغيرة ومكعبات مختلفة الحجم تمثل خليط من مواد مختلفة بعضها من الزجاج الملون وغير الملون والشفاف

وغير الشفاف ومن مكعبات من الحجر الوردي وهناك من الصدف وقد ألصقت هذه الفصوص والمكعبات على طبقة من الجص ويلاحظ من الألوان الغالبة على هذه الفسيفساء هي: الذهبي والفضي والأزرق والأخضر بدرجاته المختلفة وكذلك اللون الأحمر والبنفسجي والأبيض .

وقد أشار المقدسي إلى فسيفساء قبة الصخرة (وهو أقدم من ذكر هذا وجاء ذلك في القرن الرابع العاشر الميلادي) وقد ذكر أن الفسيفساء كانت تكسو مبنى قبة الصخرة وجدرانه بما في ذلك منطقة القبة ورقبتها من الداخل والخارج إلا انه لم يبقى شي منها في الخارج والموضوعات الزخرفية التي نراها في فسيفساء قبة الصخرة كثيرة ومن بينها فروع نباتية متصلة وحلزونية تخرج من آنية ويقع بين كل فرعين خارجيين من إناء موضوع زخرفي يشبه الشمعدان وفوقه زخرفة مجنحة كما نرى من بينها أشجار النخيل وأشجار أخرى ومن بينها أيضا الفاكهة ولا سيما العنب والرومان ثم أوراق الشجر المختلفة وأوراق الاكانتس وباقات الزهور وقرون الرخاء ورسوم الجواهر والحلي المختلفة للرسوم النباتية فضلا عن رسوم الأهلة والنجوم وفي قبة الصخرة لوحان من الرخام يزينان الوجهين الخارجيين في أحدى الدعامات أو الأركان الكائنة في المثمن الأوسط والمنسوبين إلى عصر تشييد القبة في سنة 72 هـ -691 م وقد تمثلت في هاتين اللوحتين زخارف نباتية في رسوم الشجر بعضها ذات مناطق بيضوية كونتها حركات الأغصان الحلزونية تحف بها مجموعة من الأوراق المفصصة واللونية وتوجد زخارف رخامية أخرى بقبة الصخرة موجودة في الوجه الداخلي للحائط الخارجي الكبير وتبدو بلون ذهبي على أرضية سوداء نتيجة اختلاف ألوان الزخارف وابرز عناصرها رسوم شجرة الحياة داخل مناطق هندسية بين أقواس تحملها أعمدة متصلة في الجزء السفلي من أسطوانة القبة إفريز قوامه فروع من نبات الاكانتاس ((اتنغهاوزن , 1974,ص 15)

المبحث الثاني :

مفهوم الحلزون الذهبي في الزخرفة العربية الإسلامية :

بزغت العبقرية العربية في الزخرفة العربية الاسلاميه مطلعها إبان مجيء الإسلام واتت ثمارها , في الفنون الإسلامية .

وإن لب الفن العربي الإسلامي يكمن في طيات الزخرفة ،التي جبل الإنسان المسلم على تذوقها

منذ ظهور الخيوط الأولى لفجر الإسلام.

فجاء الفن الزخرفي العربي الإسلامي ليؤرخ إبداعات الفنان العربي المسلم و ابتكاراته ذات الحس الجمالي والروحي المتشح بهندسة تشكيليه قل نظيرها بين الأمم ،ليبدع فنا هندسيا تشكيليا ،مبني على أسس هندسيه تعمل كبنيه خفاء في منظوماته الزخرفية ووحداتها وعناصرها .أو يظهر واضحا من التجريدات الزخرفية.

ومن مميزات هذا الفن هو اتشاحه بمبدأ الامتداد اللامتناهي ،وكان أن سلك الفنان العربي المسلم في سبيل تجسيد هذا المبدأ سبلا عديدة،كان من بينها استخدامه لشكل هندسي ناتج عن تحول الدائرة إلى حلقات جاذبه نابذه ،متناقصة أو متزايدة ،ذلك الشكل هو الحلزون الذي يعبر عن اللانهائية.

ومن المعروف أن هذا الشكل عرف قبل ألفي سنه من ميلاد السيد المسيح" عليه السلام " (في سومر وبابل)من خلال البناء المعماري المسمى (الزقورة)والتي تلتف حول المعبد لتحميه من الأرواح الشريرة , حسب المعتقدات القديمة للسومريين والبابليين .

وليس الرقش العربي أو العربسة (التي تعرف عند الغرب ب الارابسك(arabesqe)إلا حلزونين متناقضين كحرف الـ (s) النائمة.

و الحلزون بشكل عام يعبر عن نظام دوراني حركي مشتق من الدائرة ،إذ يتبع رسمه دوران تدريجي من خلال (تكبير وتصغير متتابع لأقطار

الدائرة)والتي تخضع لمبدأ قوى الجذب والنبذ،وهو هنا إنما يرمز لبعدين هما((التنزيل والتصعيد)).

بدأ الحلزون من الطبيعة من لفائف الكروم ،وتطور ليقترب شكله بالتدريج من النظام الهندسي،وتحرر من أي تشبيه نباتي(ماعدا ما ظهر من تجريدات زخرفيه في العصور الأولى للإسلام).

إذ اخذ الحلزون شخصيته الفنية المستقلة في الفن العربي الإسلامي في سامراء في العصر العباسي،لينتشر بعدها انتشار اللهيب.ومن المهم أن نذكر هنا أن الحلزون ثالث الأشكال الهندسية التي تعد بمثابة نماذج أساسية تشتق منها تجريدات الفن الزخرفي العربي الإسلامي (والاثنين الآخرين هما المربع والدائرة) و (عرابي،ب .ت،ص 136).

وعند تأمل التجريدات الزخرفيه العربية الاسلاميه تجد أن هناك بعض التجريدات الزخرفيه تخضع لنظام الحلزون ذو القطاع الذهبي أو(الحلزون الذهبي)،ومن تعددها فالأشكال الزخرفيه تخضع إلى الحلزون الذهبي كشكل بنائي يغمر تكوين المنظومة الزخرفية ،فهو يملك دورا يمثل النسيج الأساسي للحبكات الدقيقة الزخرفيه.

وفي الحقيقة أن المنظومة الزخرفيه تخضع في تكوينها البنائي إلى مجموعة مستطيلات مترابطة من مستطيلات القطاع الذهبي يتكون كل منها من مربع مثل(أ ب ج د)ومستطيل اصغر مثل (ا و ح د) داخل هذه المربعات يمكن رسم مجموعه من أرباع دوائر،سوف نجد من تجمعها معا منحنى حلزونيا يعرف باسم حلزون القطاع الذهبي أو الحلزون اللوغاريتمي (proparitrmic spiral) أو الحلزون الهندسي (geometric spiral).(رياض، 1973،ص 142) (سكوت، 1967،ص 71).

وإذا مارجعنا إلى النماذج الزخرفية التي أخضعناها للدراسة نجد أن تلك النماذج ظهرت في العصور الاسلاميه ،والتي سبق بها الفنان المسلم في استخدامه الحلزون الذهبي فناني عصر النهضة،بقرون عده.وهذا يكشف تفوق الفنان العربي المسلم ،ومقدراته الإبداعية المتميزة،وسعيه إلى إبداع فن يخضع للقوانين الهندسية ،متجاوزا المرحلة العفوية والمحاكاتية .

استخدم الفنان العربي المسلم الحلزون الذهبي كبنيه خفاء في التكوين الإنشائي لمنظوماته الزخرفية ،الذي لايثير لأول وهلة في عقل المتلقي أية علاقة بينه وبين الكون وقد يبدو لنا كأن لامعنى له،ولكنه في واقع الحال يمتلك حيويته الخاصة به،فكأنه أحجية قامت على قوانين مجهولة لنا فأي شيء ابعد من ذلك الشكل الهندسي الذي هو أساس من أسس الزخرفة العربية الإسلامية؟انه جزء من عالم اللانهائية، عالم المطلق , عالم التجريد شكلته عقول رياضية وانشيء على أساس حسابي (زالوثر, ب.ت, ص 89) وهذا مايؤكده بحث الفنان العربي المسلم عن إبداع ثنائيه غير منفصلة هي ماتسم الفن بالخلود وتمده بمقومات البقاء مهما تقادم الزمن تلك الثنائية هي (الفكر_الزمن).

وهذا مايميز فن الزخرفة العربية الإسلامية عن فنون الزخرفة لمختلف الحضارات الأخرى.

الفصل الثالث : إجراءات البحث

أولا :

أشتمل مجتمع البحث على الزخارف النباتية التي ظهرت في المسجد الأقصى بفلسطين

ثانياً : عينة البحث

حددت عينه قصديه (منتقاة) ممثله لأصناف العينة ضمن المجتمع والتي بلغت (4) نماذج ممثلة للمجتمع .

ثالثاً: مصادر جمع المعلومات

حصلت الباحثة على معلومات بحثها مماياتي

1- الاطلاع على المصادر التي تعنى بالزخرفة العربية الإسلامية إذ استنسخت الباحثة مايفيدها في تحقيق بحثها وتصويره.
2- من خلال شبكة الانترنيت واستنساخ ماتحتاجه من مصورات خاصة بالبحث.

رابعاً : تحليل عينة البحث

الأنموذج (1)

أسم الأنموذج	تجريد نباتي
خامة التمثيل	أحجار
التقنية	فسيفساء
القياس	/
تاريخ التنفيذ	72 هـ
مكان التنفيذ	المسجد الأقصى بفلسطين
نوع البناء التصميمي	عمودي

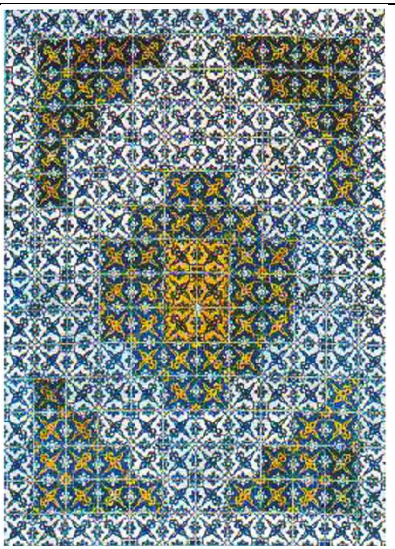

الوصف العام والتحليل :

النسق ألزخرفي بأبسط صوره يتكون من وريدات صغيره رباعية الفصوص تحشي تكوين معيني صغير في الداخل وباللون (الأصفر والأزرق) ليأتي بعد ذلك معين اكبر كأساس يحشيه نفس النوع من الوريدات ولكن بلون مغاير مما يحقق تباين ملحوظ في التكوين الزخرفي ككل وبزوايا المعين الاربعه ثم شكل مثلث تحشيه وريدات تحاكي لون وريدات المعين الصغيرة الذي يتوسط التكوين ألزخرفي

هناك علاقة تصميميه متحققة وهي الوحدة والتنوع فثم وحده تلف النسق ألزخرفي برمته ثم تتنوع أشكال الورود باللون تارة وبالأساس الذي تحشيه تارة أخرى أما مبدأ التكرار فهو عامل في التصميم ألزخرفي ككل مما يحقق إيقاع مركزي يبدأ من المركز ليتجه نحو أطراف النسق ألزخرفي , ومبدأ الامتلاء متحقق بشكل كامل في هذا النسق الزخرفي .

ومن المفيد أن تذكر الباحثة أن المصمم العربي المسلم حقق نوعاً من الرياضيات التشكيلية من خلال بناء التصميم ألزخرفي على أساس تحتاني يعتمد الحلزون ذو القطاع الذهبي وهو ما توضحه ألخطاطه الاتيه :

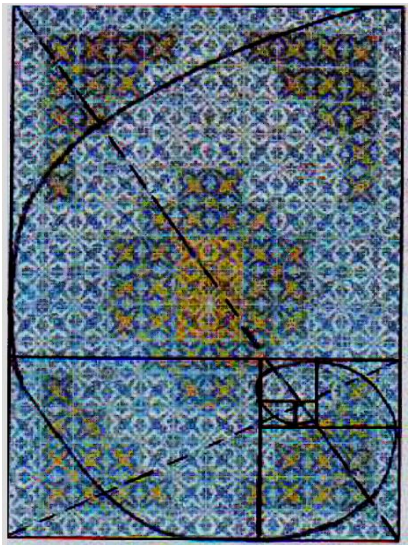

الأنموذج (2)

أسم الأنموذج	تجريد نباتي
خامة التنفيذ	أحجار
التقنية	فسيفساء
القياس	/
تاريخ التنفيذ	72 هـ
مكان التنفيذ	المسجد الأقصى بفلسطين
نوع البناء التصميمي	عمودي

المسح البصري والتحليل :

التصميم ألزخرفي يتكون من زهرية ينبع منها فرعان حلزونيان يتفرع منها فرعان يتجهان نحو الأسفل

ومن الأعلى ينبت فرعان حلزونيان يلتويان نحو الجانبين وفي الوسط ثم فرعين صغيرين يلتويان نحو الوسط

ومن الملفت للنظر أن الفروع بمجملها تتكون من زهور اللوتس , مما يضفي عليه قيم جماليه غاية في الروعة والإتقان .

ويتحقق مبدأ التكرار في التصميم كذلك هناك تناظر ملحوظ في التصميم أما الوحدة والتنوع فقد تحققت في التصميم من خلال اللون

ومن المهم أن نذكر أن المصمم سعى هنا إلى إخضاع التصميم إلى بناء هندسي تحتاني يعتمد الحلزون ذو القطاع الذهبي وهذا ما توضحه الخطاطة الآتية :

الأنموذج (3)

	اسم الأنموذج	تجريد نباتي
	خامة التنفيذ	أحجار
	التقنية	فسيفساء
	القياس	/
	تاريخ التنفيذ	72هـ
	مكان التنفيذ	المسجد الأقصى بفلسطين
	نوع البناء التصميمي	محوري

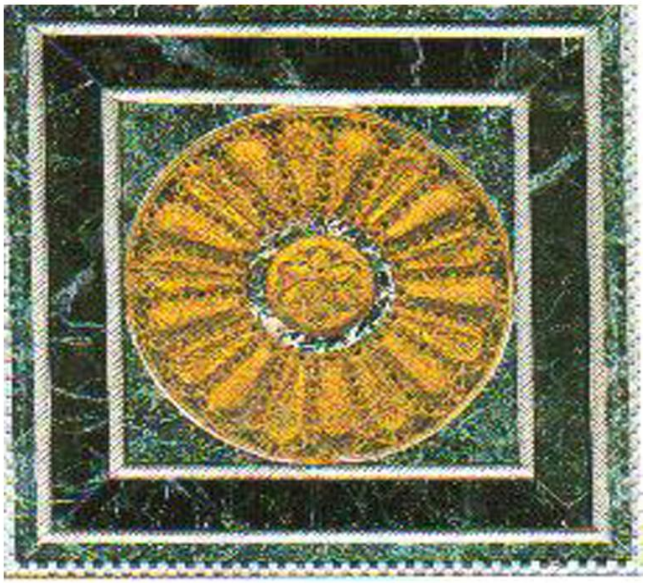

المسح البصري والتحليل :

التصميم الزخرفي يتكون في الوسط من زهرة البابونك المعروفة في فنون حضارة وادي الرافدين ولاسيما الحضارة البابلية , وهو ما يزين بوابتها الرئيسية (بوابة عشتار) .

حركة التصميم هي حركة محورية تتجه من المركز نحو المحيط لتدور دورة كاملة تؤكد مبدأ اللانهائية في التصميم الزخرفي الإسلامي .

أما الوحدة فتتحقق في التصميم من خلال توحيد الاتجاه باتجاه واحد . ومبدأ التناظر يتحقق في التصميم من خلال توزيع أوراق الزهرة بوضع متناظر وهو ما يحقق بتكرارها إيقاعا سيمتريا .
ومن المهم ذكره أن المصمم اخضع تصميمه هذا للنسبة الهندسية التي تعتمد الحلزون ذو القطاع الذهبي وكما مبين في الخطاطة الآتية:

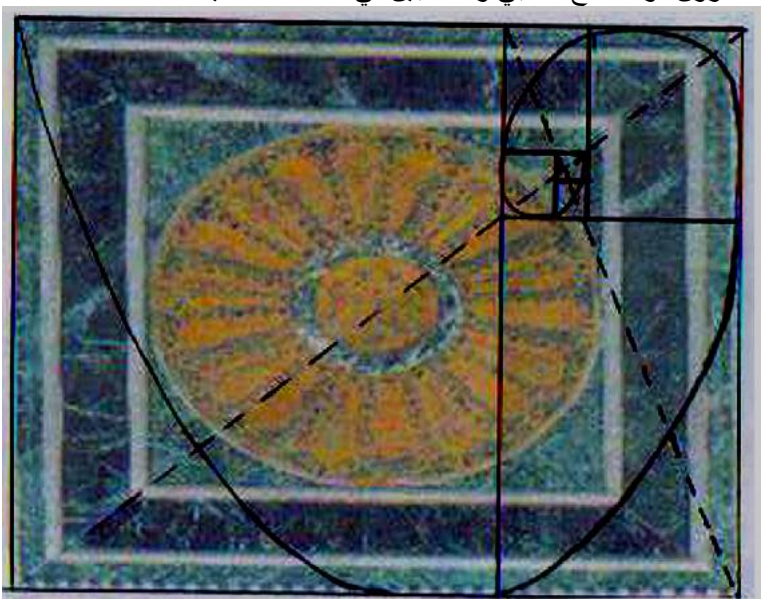

الأنموذج (4)

	اسم الأنموذج	تجريد نباتي
	خامة التنفيذ	أحجار
	التقنية	فسيفساء
	القياس	/
	تاريخ التنفيذ	72هـ
	مكان التنفيذ	المسجد الأقصى بفلسطين
	نوع البناء التصميمي	محوري

المسح البصري والتحليل :

النسق الزخرفي قوامه زهرة ثمانية الفصوص في الوسط تدور حولها دوائر متماسة مع بعضها وعند تماس كل دائرتين ينتج شكل معيني صغير ،

ثم يحيط هذا التكوين ككل بدائرة تحشيها تجريدات زخرفية ثم يؤطر هذه الدائرة زهرة ثمانية الفصوص وباللون الأخضر .

وفي الزوايا الأربع ثمة شكل تجريدي أشبه ما يكون بزهرة ثلاثية الفصوص .

تتحرك الوحدات والعناصر الزخرفية في النسق الزخرفي هذا حركة دائرية مما يوحد اتجاه النظر ويخلق وحدة من خلال ذلك .

أما التنوع فيكون هنا من خلال اللون . ويتحقق التكرار من خلال تكرار العناصر التي تؤلف التصميم الزخرفي مما يحقق إيقاعا سيمتريا في عموم التصميم الزخرفي ويلاحظ أن التناظر عامل هنا أيضا .

وحينما أخضعت الباحثة النسق الزخرفي للدراسة وجدته ينبني في أساسه التحتاني على حلزون القطاع الذهبي وكما موضح :

الفصل الرابع :

أولا النتائج :

نتبين من تحليل عينة البحث حسب الفترة المحددة في حدود البحث الحالي الآتي :

1. أكد الأنموذج (1) على سعي المصمم المسلم على تأكيد مبدأ الامتلاء الذي يؤكد عليها الفكر الإسلامي من جهة ومن جهة أخرى اعتمد المصمم المسلم في البناء التحتاني لتصميمه الزخرفي على الحلزون الذهبي .

2. يمكن القول أن المصمم المسلم حاول التأكيد في الأنموذج (2) ومن خلال تكرار الوحدات والعناصر الزخرفية على اللانهائية مستخدما الحلزون الذهبي وبنسب هندسية محسوبة .

3. في الأنموذج (3) يؤكد المصمم المسلم على سعيه لتحقيق ثنائية (وحدة المتضادات) بين الخط المرن (النباتي) والخط الحاد (الهندسي) , هذا من جهة ومن جهة أخرى الاستفادة من النسبة الرياضية المتمثلة بالحلزون الذهبي .

4. ظهر في الأنموذج (4) من الوجهة الفكرية والجمالية تباين في عملية استثمار العناصر الزخرفية , تبعا للاتجاه الفكري الإسلامي , إذ يغلب عليها الامتداد اللانهائي هذا من جهة ومن جهة أخرى عمد المصمم المسلم إلى إخضاع التصميم للنسبة الهندسية المعتمدة على الحلزون ذو القطاع الذهبي .

ثانيا التوصيات :

1. من المهم استخدام النسب الهندسية لاسيما الحلزون ذو القطاع الذهبي في التصميم الزخرفي المعاصر .
2. ضرورة العمل على موائمة الدلالة الفكرية مع المنتج التصميمي الزخرفي ,وبالشكل الذي يرصن البنية الزخرفية الإسلامية .
3. من المهم أن تهتم المؤسسات الفنية بتعميق الوعي الجمالي لدى الدارسين في مجال الخط العربي والزخرفة الإسلامية , وذلك من خلال إقامة الحلقات الثقافية .

ثالثا المقترحات :

استكمالا لمتطلبات البحث الحالي تقترح الباحثة دراسة الآتي :

1. الحلزون ذو القطاع الذهبي للزخارف الجدارية في قصر الحمراء .
2. النسبة الذهبية للتصميم الزخرفي الإسلامي في مسجد قرطبة
3. الجذر الخامس في التصميم الزخرفي الإسلامي في القصر العباسي .

المصادر :

القرآن الكريم

1.رياض ,عبد الفتاح, التكوين في الفنون التشكيلية ,ط1, دار النهضة العربية , القاهرة : 1973 .

2. سكوت , روبرت جيلام , أسس التصميم , ترجمة : محمد محمود يوسف وآخر , دار نهضة مصر , القاهرة : 1968

3. عرابي , اسعد , المفردات التشكيلية المتوسطية في الفن الإسلامي ,مجلة مواقف للحرية والإبداع والتعبير , لندن .

4. اتنغهاوزن , ريتشارد , فن التصوير عند العرب , ترجمة : عيسى سلمان وآخر , مطبعة الأديب البغدادية , بغداد : 1974

5. نعمت ، اسماعيل علام ، فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلاميه ، دار المعارف بمصر ، القاهره : 1977

6. كونل ، ارنست ، الفن الاسلامي ، ترجمة: احمد موسى ، دار صادر، بيروت : 1966 .

7. زالوثر, هليدية , رمز وزخرفة , مجلة الكاتب المصري , ع25, القاهرة .

العلوم النفسية والتربوية

أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساس في مدارس مديرية جنوب الخليل من وجهة نظرهم

أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساس في مدارس مديرية جنوب الخليل من وجهة نظرهم

إعداد الباحثين
د . جمال بحيص (مشرف متفرغ / مركز يطا الدراسي)
د . خالد قطوف (مشرف غير متفرغ / مركز يطا الدراسي)

ملخص الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في مدار س مديرية جنوب الخليل من وجهة نظرهم ، وتحددت مشكلة الدراسة في ما هي أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في مدارس مديرية جنوب الخليل من وجهة نظرهم ؟ **و** تكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية التربية والتعليم - جنوب الخليل- حيث بلغ عدد هؤلاء المعلمين (432) معلماً ومعلمة، حس إحصائيات رسمية صادرة عن مديرية التربية والتعليم جنوب الخليل في العام الدراسي (2011/ 2012).

تكونت عينة الدراسة الكلية من (216) معلماً ومعلمة، تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية الطبقية.

وقد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج أهمها :

1-أن أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تمثلت في المشكلات التي تتعلق بالمنهاج.

2- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات المتعلقة بالمنهاج تعزى لمتغير الجنس ولصالح الإناث.

3-وجود اختلاف في بعد المشكلات المتعلقة بالإدارة والإشراف، في حين تبين وجود تقارب في الدرجة الكلية للمشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل، وفي باقي الأبعاد الأخرى تبعا لمتغير التخصص.

4- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات المتعلقة بالمعلم والمشكلات المتعلقة بالطلبة تعزى لمتغير المؤهل العلمي ولصالح **بكالوريوس فأعلى.**

5- وجود اختلاف في بعد المشكلات المتعلقة بالمنهاج، في حين تبين وجود تقارب في الدرجة الكلية للمشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل، وفي باقي الأبعاد الأخرى تبعا لمتغير سنوات الخبرة.

وقد خرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها :

1- مراجعة منهاج الصف الأول من حيث الأخطاء الإملائية أو العلمية لكلا المنهاجين اللغة العربية والرياضيات كمناهج أساسية في تدريس الصف الأول الأساسي .
2- عقد دورات تدريبية في جميع المجالات قد تساعد معلم الصف الأول في تخطي بعض من مشكلاته التدريسية .
3- توصية متعلقة بالمدراء والمشرفين التربويين في عملية تسهيل جميع المجالات أمام المدرسين في القيام بواجبه على أكمل وجه .

The most important problems which face teachers of first grade in the schools of the Derectorate of Education / Southern Hebron according to their point of view

Dr. Jamal Bhais
Dr. Khaled Qatouf

Abstract

This study aimed at recognizing the most immportant problems that face teachers of first grade in the schools of the directorate of education in Southern Hebron according to their point of view. Study population contains all teachers of first grade in the schools of the directorate/Southern Hebron. The number of those teachers was 432 according to official calculations issued by the directorate of Southern Hebron in the year (2011/2012).

The total study sample contained (216) teachers, who were chosen according to stratified random sampling.

This study came out with some results, the most important are:

1. The most important problems the teachers of first grade in the schools of the directorate/Southern Hebron were the problems of curreculum.
2. There are differences with statistic indication at the level ($0.05 \geq \alpha$) at the average of curreculum problems ascribe to difference of sex for females sake.
3. The presence of problem dimentions regarding the administration and supervising, at the time there

was similarity at the total level of problems which face the teachers of directorate of education Southern Hebron, and in the other dimention according to specialization variable.

4. The existence of differences with statistic indicator at the level ($0.05 \geq \alpha$) at the averages of problems related to teachers, and problems related to students are ascribed variable scientific qualification for the sake of B.A. and above (M.A. and Ph.D)
5. The existence of differences in the dimention of problems related to curreculum, though there was a similarity in the total degree of problems which face the teachers of first grade in directorate of education Southern Hebron and in the other dimentions according to the variable of work experience.

The study has the following recommendation:

1. Revising first grade curriculum in terms of spelling mistakes or scientific mistakes for both Arabic and mathematics as basic curreculums in teaching first grade.
2. Holding training sessions in all fields which may help teachers of first grade in overtaking certain teaching problems.
3. Recommendation regarding headteachers and supervisors in simplifying all ways for students to do their duties well (in the best way).

أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في مدار س مديرية جنوب الخليل من وجهة نظرهم

المقدمة

يعتبر التعرف على المشكلات التي تواجه المعلمين في المدارس الخطوة الإيجابية لوضع مقترحات وحلول لمواجهة هذه المشكلات من اجل تحقيق النجاح ومواجهة كافة التحديات التي تمثل تحديا كبيرا للتعليم وقدرته على استيعاب الأعداد المتزايدة في مختلف قطاعات ومؤسسات التعليم والتزاماته في توفير كافة المقومات التي تحتاجها مراحل التعليم المختلفة من المباني والتجهيزات المدرسية, وتدريب المعلمين في مجالات متعددة فضلا عن التوسع الأفقي في إنشاء الفصول الدراسية على جزء كبير من الأبنية والملاعب المدرسية فأصبحت آلاف المدارس بلا أبنية وملاعب أو ساحات لممارسة النشاط وحرمان التلاميذ من حقهم في ممارسة أي نشاط داخل البيئة المدرسية.(أبو العينين , 1990) .

كما أن المشاكل المدرسية تمثل إحدى ضخ الكوادر من البراعم والناشئين للتربية القيمة وقطاع التعليم باعتبارها منظومة تربوية اقتصادية يستثمر فيها الطلاب للدولة من اجل التقدم والرقي وزيادة معدلات الإنتاج. وعندما يدخل التعليم بمختلف مناحيها ووظائفها منظومة الاتجاه الاقتصادي العالمي وفتح الأسواق واستغلال التربية والتعليم ودمجها بالاقتصاد العالمي والأسواق العالمية المفتوحة من منطلق توفير موارد مالية. حيث استخدم التعليم والتربية في فتح أسواق وإيجاد طبقات من المثقفين في جميع مجالات الحياة ، ويعتبر المعلم هو الشخص الرئيس في تحدي هذه المشاكل التي قد تواجه الطلبة والمعلمين والسلك التعليمي في جميع المجالات . (الخولي والشافعي ، 2000) .

مشكلة الدراسة

تعتبر المشاكل التي يتعرض لها المعلم في التدريس عبارة عن أزمة حقيقية باعتبارها جزء من الأزمة التي يمر بها التعليم كونها أكثر مجالات البرنامج التعليمي تأثيرا على الطلاب، ومن هنا جاءت مشكلة الدراسة الحالية في ما هي والتي تتلخص **في أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في مدار س مديرية جنوب الخليل من وجهة نظرهم ؟**

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الحالية في التعرف على أهم المشكلات التربوية التي يتعرض لها معلمي الصف الأول وحصر هذه المشكلات ومحاولة التخلص

منها بعد تعميمها على المدارس الأساسية ومديريات التربية والتعليم ووزارة التربية والتعليم العالي ومن ثم محاولة القضاء على هذه المشكلات إلى حد ما .

أهداف الدراسة

1-التعرف على أهم المشكلات المهنية التي تواجه مدرس الصف الأول في المدارس الحكومية التابعة لمديرية جنوب الخليل .

2-التعرف على درجة حدة المشكلات المهنية التي تواجه مدرس الصف الأول .

3-اقتراح بعض الحلول التي يمكن أن تسهم في علاج المشكلات المهنية والتربوية التي يعاني منها معلمي الصف الاول .

أسئلة الدراسة

أ- أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل؟

ب- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغيرات (الجنس، والتخصص، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة)؟

فرضيات الدراسة

1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغير الجنس.

2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغير التخصص**.**

3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

4- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في

المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

مصطلحات الدراسة

1-المشكلات التربوية: (يعرفها الباحثان إجرائياً) .هي المشكلات التي تواجه معلمو التربية وتتعلق بالنواحي التالية: المشكلات المرتبطة بمحتوى المنهاج, المشكلات المرتبطة بالإمكانات, المشكلات المرتبطة بتنفيذ المنهاج.

2-مدرس الصف الأول : (يعرفها الباحثان إجرائياً) هو الشخص المؤهل علميا الذي يقوم بإعطاء حصص مدرسية والإشراف على الأنشطة المدرسية الداخلية منها والخارجية .

الدراسات السابقة

أولاً : الدراسات العربية

أجرى محمود **(2003) دراسة بعنوان احتياجات مدرس الصف الأول من التدريب أثناء الخدمة**. تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على احتياجات مدرس الصف الأول من التدريب أثناء الخدمة. أجريت الدراسة على عينة من مدرسي الصف الأول بمحافظة الفيوم. وتوصلت النتائج إلى أن نصاب المدرس من الحصص يعتبر عال جدا, وان الميزانية المخصصة للتدريب قليل, ونقص في الإمكانات المادية والساحات والملاعب. وكذلك صعوبة في المنهاج المستخدم في المدارس .

وأجرى أبو العينين **(2000) دراسة بعنوان المشكلات التي تواجه مدرس الصفوف الأولية في المدارس بالجيزة**. تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصفوف الأولية في المدارس الثانوية في محافظة الجيزة بالقاهرة. أجريت الدراسة على عينة عشوائية قوامها 70 معلما من مديريات شمال وجنوب وغرب ووسط الجيزة خلال العام الدراسي 1988/1987. وتوصلت النتائج إلى أن أهم المشكلات التي تواجه المعلمين هي عدم وجود وسائل للتعليم و كذلك قلة الوقت المخصص للحصة.

وأجرى الششتاوي والمر **(2001) دراسة بعنوان تقويم برامج تدريب معلمي المرحلة الابتدائية أثناء الخدمة. تهدف الدراسة إلى التعرف على فاعلية البرامج التدريبية الخاصة بمدرسي المرحلة الابتدائية.** أجريت الدراسة على عينة من المتدربين والمدربين. وتوصلت نتائج هذه الدراسة إلى ضرورة مشاركة المدرسين والمتخصصين في تخطيط العملية التعليمية وتوفير كافة الوسائل التعليمية التي تساهم في نجاحها. وكذلك الاهتمام بالحوافز واستخدام وسائل التقويم الحديثة, كما أوصت هذه الدراسة بعقد دورات وورش تعليمية من خلال إنشاء مراكز التدريب وتزويدها بكافة الإمكانيات .

وأجرى عثمان **(2003) دراسة بعنوان بعض المشكلات التي تواجه العاملين في مجالات التربية والتعليم .** أسبابها واقتراحات لعلاجها. تهدف هذه الدراسة إلى حصر المشكلات التي تواجه العاملين في مجالات التربية والتعليم, وتوصل الباحث إلى إعداد قوائم للمشكلات التي تواجه المعلمين في مجالات التربية والتعليم من المدرسين.

وأجرى الأبحر **(1999) دراسة بعنوان التنمية المهنية لمدرس المرحلة الابتدائية .** تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على العقبات التي تقف أمام تنمية المعلم وعلى الطرق والوسائل ذات الفاعلية في تنمية مدرس الصفوف الأولية . وتوصلت الدراسة إلى ضرورة مراعاة تنظيم وتنسيق توزيع المعلمين, وكذلك التخطيط الصحيح للبرامج التعليمية بما يتلاءم مع الإمكانات الموجودة .

ثانياً : الدراسات الأجنبية

وأجرى كونكل (Conkle 1997) دراسة بعنوان المشكلات التي يتعرض لها مدرسي الصف الأول من برنامج التدريب ووسائل تعليمية وغيرها . تهدف الدراسة إلى تقدير احتياجات المدرسين من البرنامج التدريبي اثنا الخدمة. أجريت الدراسة على عينة قوامها 265 من مدرسي الصف الأول في الاباما Alabama . وتوصلت النتائج إلى أن مطالب مدرسي الصف الأول و زيادة الوقت المخصص لتنفيذ البرامج التدريبية.

وأجرى لين كو جوى (Lin Kuo gui 1997) دراسة بعنوان احتياجات مدرسي الصفوف الابتدائية من التدريب أثناء الخدمة. تهدف الدراسة إلى التعرف على ما يحتاجه مدرس الصفوف الأولية . أجريت الدراسة على عينة قوامها 450 مدرس ابتدائي

في تايوان الصين. توصلت النتائج إلى أن البرامج التدريبية تقدم معلومات قيمة للمدرسين أثناء الخدمة.

الطريقة والإجراءات

منهج الدراسة:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لطبيعة هذه الدراسة. حيث تم استقصاء آراء معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية التربية والتعليم - جنوب الخليل حول أهم المشكلات التي تواجههم، وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات الديمغرافية.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية التربية والتعليم - جنوب الخليل. حيث بلغ عدد هؤلاء المعلمين (432) معلماً ومعلمة، حسب إحصائيات رسمية صادرة عن مديرية التربية والتعليم جنوب الخليل في العام الدراسي (2012/2011)

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة الكلية من (216) معلماً ومعلمة، تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية الطبقية، وبعد إتمام عملية جمع البيانات وصلت حصيلة الجمع (197) إستبانة. استبعد منها (3) استبيانات بسبب عدم صلاحيتها للتحليل الإحصائي لكي تصبح عينة الدراسة التي تم إجراء التحليل الإحصائي عليها (194) مبحوثا، ويبين الجدول رقم (1) توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجنس، والتخصص، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة.

جدول رقم (1): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب (الجنس، والتخصص، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة).

المتغير		العدد	النسبة المئوية	المجموع
الجنس	ذكر	71	36.6	194
	أنثى	123	63.4	
التخصص	مواد أدبية	110	56.7	194

	مواد علمية	52	26.8	
	غير ذلك	32	16.5	
السنة الدراسية	دبلوم	55	28.4	194
	بكالوريوس فأعلى	139	71.6	
سنوات الخبرة	بين 1 -5 سنوات	65	33.5	194
	6 – 10 سنوات	40	20.6	
	11 سنة فأكثر	89	45.9	

أداة الدراسة:

بعد إطلاع الباحثان على عدد من الدراسات السابقة والأدوات المستخدمة، وعلى الأدب التربوي المتعلق بموضوع الدراسة وأهدافها وفروضها قاما ببناء استبانه خاصة من أجل التعّرف إلى أهم المشكلات التي تواجه معلم الصف الأول الأساسي في مديرية التربية والتعليم جنوب الخليل.

وقد تكونت أداة الدراسة في صورتها النهائية من قسمين:

القسم الأول الأساسي: تضمن بيانات أولية عن المفحوصين.

القسم الثاني: تضمن الأسئلة التي تقيس أهم المشكلات التي تواجه معلم الصف الأول الأساسي الأساسي، وعدد فقرات هذا القسم (44) فقرة. وقد بنيت الفقرات بالاتجاه السلبي، حسب سلم خماسي وأعطيت الأوزان للفقرات كما هو آت:(موافق بشدة: خمس درجات، موافق: أربع درجات، محايد: ثلاث درجات، غير موافق: درجتين، غير موافق بشدة: درجة واحدة). وقد طبق هذا السلم الخماسي على جميع الفقرات.

وللتعرف إلى تقديرات أفراد العينة وتحديد (أهم المشكلات التي تواجه معلم الصف الأول الأساسي في مديرية التربية والتعليم جنوب الخليل)، وفق قيمة المتوسط الحسابي تم حساب المدى (5-1 =4) , ثم تم تقسيمه على 3 للحصول على طول الخلية الصحيح (3/4 = 1.33) , وبعد ذلك تم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في الإستبانة (أو بداية الإستبانة وهى الواحد الصحيح) وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الخلية, وهكذا أصبح طول الخلايا كما يلى :-

1. منخفض: إذا تراوحت قيمة المتوسط للعبارة أو البعد بين (1 - 2.33).
2. متوسط: إذا تراوحت قيمة المتوسط للعبارة أو البعد بين أكثر من (2.34 - 3.66).
3. مرتفع: إذا تراوحت قيمة المتوسط للعبارة أو البعد بين أكثر من (3.67 - 5).

صدق الأداة:

تم التأكد من صدق الأداة في الدراسة الحالية بعرضها على سبعة محكمين من المختصين في التربية وعلم النفس، وكان هناك اتفاق بينهم على صلاحية الأداة ومقروئيتها، حيث تم إجراء بعض التعديلات على فقرات الإستبانة قبل التحكيم.

ثبات الأدوات:

قام الباحثان باحتساب ثبات الإستبانات عن طريق قياس معامل التجانس باستخدام طريقة (كرونباخ ألفا) (Cronbach Alpha). والجدول رقم (2) يبين نتائج اختبار معامل الثبات بطريقة كرونباخ ألفا:

جدول رقم (2): نتائج اختبار معامل الثبات كرونباخ ألفا على أبعاد الأداة والدرجة الكلية.

الأداة	كرونباخ ألفا
مشكلات متعلقة بالإدارة المدرسية والإشراف التربوي.	**0.81**
مشكلات تتعلق بالمعلم	**0.80**
مشكلات تتعلق بالمنهاج	**0.81**
مشكلات تتعلق بالطلبة	**0.79**
الدرجة الكلية للمشكلات	**0.88**

يتضح من الجدول رقم (2) أن قيمة معامل الثبات بطريقة كرونباخ ألفا تراوحت بين (0.79) وبين (0.81)، في حين بلغ معامل الثبات بطريقة

كرونباخ ألفا بلغت(0.88)على الدرجة لدرجة للمشكلات، وهي مؤشرات ثبات مرتفعة وبالتالي فان الأداة تتمتع بدرجة جيدة جدا من الثبات.

إجراءات تطبيق الدراسة:

قام الباحثان بإجراءات الدراسة وفق الخطوات التالية:

- القيام بحصر مجتمع الدراسة والمتمثل في معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل.
- بناء أدواة الدراسة بعد اطلاع الباحثان على مجموعة من الأدوات المستخدمة في مثل هذه الدراسة.
- تم التأكد من صدق أدواة الدراسة من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين.
- توزيع أداة الدراسة على المجتمع الهدف، في الفصل الثاني للعام الدراسي (2011-2012) باليد وأجاب المبحوثين على الإستبانات بوجود الباحثان.
- تم إعطاء الإستبانات الصالحة أَرقاماً متسلسلة وإعدادها لإدخالها للحاسوب.
- استخدم البرنامج الإحصائي SPSS لتحليل البيانات واستخراج النتائج.

متغيرات الدراسة

1. المتغيرات المستقلة:

(الجنس، والتخصص، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة).

2. المتغير التابع:

المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي

المعالجة الإحصائية

تمت المعالجة الإحصائية اللازمة للبيانات، وتم استخدام الإحصاء الوصفي باستخراج الأعداد، والنسب المئوية، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لدى أفراد العينة واستجاباتهم على الإستبانة(أهم المشكلات التي تواجه معلم الصف الأول الأساسي في مديرية التربية والتعليم جنوب الخليل)، وقد فحصت فرضيات الدراسة عن طريق الاختبارات الإحصائية التحليلية التالية: اختبار (ت) (t-test)، وتحليل التباين الأحادي (One – Way ANOVA)، واختبار توكي(Tukey)، كما واستخدم معامل الثبات كرونباخ ألفا لحساب ثبات الأداة، وذلك باستخدام الحاسوب باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).

نتائج الدراسة

1. نتائج السؤال الأول الأساسي:

ما أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل؟

للإجابة عن سؤال الدراسة الأول الأساسي استخرجت الأعداد، والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل، كذلك تم استخراج الدرجة الكلية للمشكلات، وذلك كما هو واضح في الجدول رقم (3).

جدول رقم (3). الأعداد، والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل.

الرقم	المشكلات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
.1	**مشكلات متعلقة بالإدارة المدرسية والإشراف التربوي.**	**3.1656**	**0.5424**	متوسطة
.2	**مشكلات تتعلق بالمعلم**	**1.8078**	**0.4901**	منخفضة
.3	**مشكلات تتعلق بالمنهاج**	**3.4021**	**0.7097**	متوسطة
.4	**مشكلات تتعلق بالطلبة**	**2.7887**	**0.6114**	متوسطة
الدرجة الكلية للمشكلات		**2.7910**	**0.4149**	متوسطة

يتضح من الجدول رقم (3) أن أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تمثلت في المشكلات التي تتعلق بالمنهاج، حيث جاءت بدرجة متوسطة، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذه البعد (3.40) مع انحراف معياري (0.70). ثم في المرتبة الثانية المشكلات **المتعلقة بالإدارة المدرسية والإشراف التربوي،** حيث جاءت بدرجة متوسطة أيضا، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذه البعد (3.16) مع انحراف معياري (0.54). وجاء في المرتبة الثالثة **المشكلات المتعلقة بالطلبة،** حيث جاءت بدرجة متوسطة أيضا، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذه البعد (2.78) مع انحراف معياري (0.61). في حين جاء في المرتبة الرابعة والأخيرة **المشكلات المتعلقة بالمعلم،** حيث جاءت بدرجة منخفضة، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذه البعد (1.80) مع انحراف معياري (.490). بينما تبين أن الدرجة الكلية للمشكلات جاءت بدرجة متوسطة فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذه البعد (2.79) مع انحراف معياري (0.41) ، ويرى الباحثان من خلال الإطلاع على أهم المشكلات التي تواجه المعلمين أن مشكلة المنهاج هي مشكلة قائمة في صعوبة بعض الموضوعات التي وردت في بعض المناهج ، وهي حصري في بعض الوحدات وخاصة في كتابي الرياضيات واللغة العربية ، وتم الحصول على هذه المعلومات بالإضافة إلى الاستبيان تذمر معظم المعلمين الذين تم مقابلتهم بخصوص هذا البحث , أما بالنسبة إلى مشكلة تتعلق بالمدير والمشرف التربوي تظل مشكلة قائمة بين الرئيس والمرؤوس في جميع المؤسسات ، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة محمود **(2003)** وتتعارض نتيجة هذه الدراسة مع دراسة أبو العنين (2000) .

2. نتائج السؤال الثاني:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغيرات (الجنس، والتخصص، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة)؟

وانبثق عن هذا السؤال الفرضيات الصفرية (1-4) وفيما يلي نتائج فحصها:

نتائج الفرضية الأول الأساسي:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغير الجنس.

للتحقق من صحة الفرضية الأول الأساسي استخدم الباحثان اختبار ت (t-test)، كما هو واضح في الجدول رقم (4).

جدول رقم (4). نتائج اختبار ت (t-test) للفروق في المتوسطات الحسابية الكلية للمشكلات التي تواجه لدى معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تبعا لمتغير الجنس.

المتغير	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
مشكلات متعلقة بالإدارة والإشراف	ذكر	71	3.1359	0.6626	-0.578	192	0.564
	أنثى	123	3.1827	0.4613			
مشكلات تتعلق بالمعلم	ذكر	71	1.8028	0.5680	-0.107	192	0.915
	أنثى	123	1.8107	0.4415			
مشكلات تتعلق بالمنهاج	ذكر	71	3.1602	0.8573	-3.725	192	0.000**
	أنثى	123	3.5417	0.5669			
مشكلات تتعلق بالطلبة	ذكر	71	2.7758	0.6839	-0.222	192	0.825
	أنثى	123	2.7961	0.5681			
الدرجة الكلية للمشكلات	ذكر	71	2.7187	0.5329	-1.857	192	0.065
	أنثى	123	2.8328	0.3235			

**** دالة إحصائيا بدرجة عالية عند مستوى (α ≤0.050).**

*** دالة إحصائيا عند مستوى (α ≤0.050).**

يتبين من الجدول رقم (4) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α ≤0.05) في متوسطات المشكلات المتعلقة بالمنهاج تعزى لمتغير الجنس ولصالح الإناث، في حين تبين انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α ≤0.05) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغير الجنس، لصالح الذكور سواء على الدرجة الكلية أو باقي الأبعاد الأخرى للمشكلات، وذلك كما هو واضح من المتوسطات الحسابية في الجدول السابق حيث بلغ المتوسط الحسابي على الدرجة الكلية للذكور (2.71) وكان لدى الإناث (2.83). كما تبين أن قيمة (ت) المحسوبة (1.857-)، عند مستوى

دلالة (0.065) وبناء عليه تم رفض الفرضية الصفرية على بعد المشكلات المتعلقة بالمنهاج في تم قبولها على الدرجة الكلية وباقي الأبعاد الأخرى ، ويرى الباحثان أن هذه النتيجة نابعه من اهتمام العنصر الأنثوي في جميع الملاحظات على (أي الاعتراض وإبداء الملاحظات على كل صغيرة وكبيرة) ومن خلال الإطلاع على ما تيسر من بعض الدراسات السابقة في هذا المجال في المجتمعات وجد أن هنالك اتفاق مع معظم الدراسات مثل دراسة محمود (2003) ودراسة أبو العنين 0(2000) ، الششتاوي **(2001)**

.

نتائج الفرضية الثانية:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α ≤0.05) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغير التخصص.

للتحقق من صحة الفرضية الثانية تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تبعا لمتغير التخصص، وذلك كما هو واضح في الجدول رقم (5).

جدول رقم (5). الأعداد، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لمتوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تبعا لمتغير التخصص.

المتغير	التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
مشكلات متعلقة بالإدارة والإشراف	مواد أدبية	110	3.0845	0.6010
	مواد علمية	52	3.1584	0.3924
	غير ذلك	32	3.4559	0.4450
مشكلات تتعلق بالمعلم	مواد أدبية	110	1.7455	0.4139
	مواد علمية	52	1.8874	0.6050
	غير ذلك	32	1.8929	0.5093
مشكلات تتعلق بالمنهاج	مواد أدبية	110	3.3091	0.8159

	مواد علمية	52	3.5288	0.5347
	غير ذلك	32	3.5156	0.5038
مشكلات تتعلق بالطلبة	مواد أدبية	110	2.7750	0.6764
	مواد علمية	52	2.8766	0.4963
	غير ذلك	32	2.6927	0.5386
الدرجة الكلية للمشكلات	مواد أدبية	110	2.7285	0.4782
	مواد علمية	52	2.8628	0.2925
	غير ذلك	32	2.8893	0.3078

يتضح من الجدول رقم (5) وجود اختلاف في بعد المشكلات المتعلقة **بالإدارة والإشراف، في حين تبين وجود** تقارب في الدرجة الكلية للمشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل، وفي باقي الأبعاد الأخرى تبعا لمتغير التخصص، ولفحص الفرضية تم استخراج نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way Analysis of Variance -) كما هو وارد في الجدول رقم (6).

جدول رقم (6): نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي للفروق في متوسطات أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تبعا لمتغير التخصص.

المتغير	**مصدر التباين**	**مجموع المربعات**	**درجات الحرية**	**متوسط المربعات**	**قيمة ف المحسوبة**	**الدلالة الإحصائية**
مشكلات متعلقة بالإدارة والإشراف	بين المجموعات	**3.423**	**2**	**1.711**	**6.125**	**0.003****
	داخل المجموعات	**53.364**	**191**	**.2790**		

	المجموع	**56.787**	**193**			
مشكلات تتعلق بالمعلم	بين المجموعات	**0.988**	**2**	**0.494**	**2.080**	**0.128**
	داخل المجموعات	**45.376**	**191**	**.2380**		
	المجموع	**46.365**	**193**			
مشكلات تتعلق بالمنهاج	بين المجموعات	**2.199**	**2**	**1.100**	**2.211**	**0.112**
	داخل المجموعات	**95.002**	**191**	**.4970**		
	المجموع	**97.202**	**193**			
مشكلات تتعلق بالطلبة	بين المجموعات	**0.717**	**2**	**0.359**	**0.959**	**0.385**
	داخل المجموعات	**71.423**	**191**	**0.374**		
	المجموع	**72.141**	**193**			
الدرجة الكلية للمشكلات	بين المجموعات	**1.052**	**2**	**0.526**	**2.987**	**0.053**
	داخل المجموع	**33.623**	**191**	**.1706**		

	ات					
	المجموع	**34.675**	**193**			

يتضح من الجدول رقم (6) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات المتعلقة بالإدارة والإشراف التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تبعا لمتغير التخصص، في حين تبين انه لا توجد فروق على الدرجة الكلية وباقي الأبعاد الأخرى للمشكلات حيث بلغت قيمة (ف) المحسوبة على الدرجة الكلية للمشكلات (2.987) عند مستوى دلالة (0.053)، ولمعرفة مصدر الفروق واختبار اتجاه الدلالة في بعد المشكلات المتعلقة بالإدارة والإشراف قام الباحثان باستخدام اختبار(Tukey) وكانت نتائج هذا الاختبار كما هي في الجدول رقم (7).رأي الباحثان في هذه النتيجة متعلق باختلاف التخصصات للمعلمين الذين يدرسون الصف الأول وخاصة أن الصف الأول حسب سياسة التربية والتعليم أن معظم الذين يدرسون الصف الأول وخاصة قديماً هم من تخصصات مختلفة وخاصة منذ القدم وسوف يظهر ذلك من خلال متغير الخبرة وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة عثمان (2003) .

جدول رقم (7): نتائج اختبار (Tukey) لمعرفة اتجاه الدلالة على بعد المشكلات المتعلقة بالإدارة والإشراف تبعا لمتغير التخصص.

المتغير	التخصص	**مواد أدبية**	**مواد علمية**	**غير ذلك**
المشكلات المتعلقة بالإدارة والإشراف	**مواد أدبية**		**-0.0738**	***-0.3714**
	مواد علمية			***-0.2975**
	غير ذلك			

يتضح من الجدول رقم (7) أن الفروق كانت دالة لصالح المتوسطات الحسابية الأعلى، حيث تشير المقارنات البعدية للفروق في متوسطات في متوسطات المشكلات المتعلقة بالإدارة والإشراف التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تبعا لمتغير التخصص، أن الفروق كانت بين المعلمين الذين تخصصاتهم (مواد أدبية ومواد علمية) والمعلمين الذين تخصصاتهم (غير ذلك) لصالح

المعلمين الذين تخصصاتهم (غير ذلك) وبناء عليه تم رفض الفرضية الصفرية على بعد المشكلات المتعلقة بالإدارة والإشراف. في حين تم قبولها على الدرجة الكلية وباقي الأبعاد الأخرى.

نتائج الفرضية الثالثة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

للتحقق من صحة الفرضية الثالثة استخدم الباحثان اختبار ت (t-test)، كما هو واضح في الجدول رقم (8).

جدول رقم (8). نتائج اختبار ت (t-test) للفروق في المتوسطات الحسابية الكلية للمشكلات التي تواجه لدى معلمي الصف الأول الأساسي تبعا لمتغير المؤهل العلمي.

المتغير	المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
مشكلات متعلقة بالإدارة والإشراف	دبلوم	55	3.1134	0.6893	-0.842	192	0.401
	بكالوريوس فأعلى	139	3.1862	0.4733			
مشكلات تتعلق بالمعلم	دبلوم	55	1.6468	0.3973	-2.935	192	0.004**
	بكالوريوس فأعلى	139	1.8715	0.5097			
مشكلات تتعلق بالمنهاج	دبلوم	55	3.4977	0.7594	1.182	192	0.239
	بكالوريوس فأعلى	139	3.3642	0.6882			
مشكلات تتعلق بالطلبة	دبلوم	55	2.6000	0.6341	-2.749	192	0.007**
	بكالوريوس فأعلى	139	2.8633	0.5879			

الدرجة الكلية للمشكلات	دبلوم	**55**	**2.7145**	**0.4469**	**-1.623**	**192**	**0.106**
	بكالوريوس فأعلى	**139**	**2.8213**	**0.3992**			

**** دالة إحصائيا بدرجة عالية عند مستوى (α ≥0.050).**

*** دالة إحصائيا عند مستوى (α ≥0.050).**

يتبين من الجدول رقم (8) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α ≥0.05) في متوسطات المشكلات المتعلقة بالمعلم والمشكلات المتعلقة بالطلبة تعزى لمتغير المؤهل العلمي ولصالح **بكالوريوس فأعلى**، في حين تبين انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α ≥0.05) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغير المؤهل العلمي، سواء على الدرجة الكلية أو باقي الأبعاد الأخرى للمشكلات، وذلك كما هو واضح من المتوسطات الحسابية في الجدول السابق حيث بلغ المتوسط الحسابي(2.71) على الدرجة الكلية لذوي المؤهل العلمي (دبلوم) وكان لذوي المؤهل العلمي (بكالوريوس فأعلى) (2.82). كما تبين أن قيمة (ت) المحسوبة (1.623-)، عند مستوى دلالة (0.106) وبناء عليه تم رفض الفرضية الصفرية على بعد المشكلات المتعلقة بالمعلم والمشكلات المتعلقة بالطلبة في حين تم قبولها على الدرجة الكلية وباقي الأبعاد الأخرى, ويرى الباحثان أن المعلمين الذين يحملون درجة بكالوريوس وأساليب في التدريس هم الذين ليهم القدرة على تدريس الصف الأول من أي معلم أخر .

نتائج الفرضية الرابعة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α ≥0.05) في متوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

للتحقق من صحة الفرضية الرابعة تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تبعا لمتغير سنوات الخبرة، وذلك كما هو واضح في الجدول رقم (9).

الجدول رقم (9): الأعداد، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لمتوسطات المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي تبعا لمتغير سنوات الخبرة.

المتغير	سنوات الخبرة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري

مشكلات متعلقة بالإدارة والإشراف	بين 1 -5 سنوات	65	3.0525	0.5274
	6 – 10 سنوات	40	3.2897	0.3973
	11 سنة فأكثر	89	3.1923	0.5966
مشكلات تتعلق بالمعلم	بين 1 -5 سنوات	65	1.9099	0.5461
	6 – 10 سنوات	40	1.7393	0.4493
	11 سنة فأكثر	89	1.7640	0.4569
مشكلات تتعلق بالمنهاج	بين 1 -5 سنوات	65	3.2308	0.7844
	6 – 10 سنوات	40	3.6281	0.5686
	11 سنة فأكثر	89	3.4256	0.6843
مشكلات تتعلق بالطلبة	بين 1 -5 سنوات	65	2.7577	0.6569
	6 – 10 سنوات	40	2.8625	0.5833
	11 سنة فأكثر	89	2.7781	0.5931
الدرجة الكلية للمشكلات	بين 1 -5 سنوات	65	2.7377	0.4872
	6 – 10 سنوات	40	2.8799	0.2876
	11 سنة فأكثر	89	2.7900	0.4033

يتضح من الجدول رقم (9) وجود اختلاف في بعد المشكلات المتعلقة **بالمنهاج، في حين تبين وجود** تقارب في الدرجة الكلية للمشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل، وفي باقي الأبعاد الأخرى تبعا لمتغير سنوات الخبرة ، ولفحص الفرضية تم استخراج نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One - Way Analysis of Variance) كما هو وارد في الجدول رقم (10).

جدول رقم (10): نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي للفروق في متوسطات أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تبعا لمتغير سنوات الخبرة.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	الدلالة الإحصائية
مشكلات متعلقة بالإدارة والإشراف	بين المجموعات	1.511	2	0.756	2.611	0.076
	داخل المجموعات	55.275	191	.2890		
	المجموع	56.787	193			
مشكلات تتعلق بالمعلم	بين المجموعات	1.036	2	0.518	2.182	0.116
	داخل المجموعات	45.329	191	.2370		
	المجموع	46.365	193			
مشكلات تتعلق بالمنهاج	بين المجموعات	4.001	2	2.000	4.099	0.018*
	داخل المجموعات	93.201	191	.4880		
	المجموع	97.202	193			
مشكلات تتعلق بالطلبة	بين المجموعات	.290	2	0.145	0.386	0.680

	داخل المجموعات	71.850	191	0.376		
	المجموع	72.141	193			
الدرجة الكلية للمشكلات	بين المجموعات	.501	2	0.250	1.461	0.235
	داخل المجموعات	32.730	191	.1710		
	المجموع	33.231	193			

يتضح من الجدول رقم (10) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات المتعلقة بالمنهاج التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تبعا لمتغير سنوات الخبرة، في حين تبين انه لا توجد فروق على الدرجة الكلية وباقي الأبعاد الأخرى للمشكلات حيث بلغت قيمة (ف) المحسوبة على الدرجة الكلية للمشكلات (1.461) عند مستوى دلالة (0.235)، ولمعرفة مصدر الفروق واختبار اتجاه الدلالة في بعد المشكلات المتعلقة بالمنهاج قام الباحثان باستخدام اختبار(Tukey) وكانت نتائج هذا الاختبار كما هي في الجدول رقم (11).يرى الباحثان أن المعلمين الذين لديهم باع طويل في التدريس تكون المشكلات عندهم محدودة لأن بخبرته يحل كل المشاكل التي تواجه في جميع المجالات ، وتتف هذه النتيجة مع دراسة عثمان (2003) ودراسة أبو العنين (2000) .

جدول رقم (11). نتائج اختبار (Tukey) لمعرفة اتجاه الدلالة على بعد المشكلات المتعلقة بالمنهاج تبعا لمتغير سنوات الخبرة.

المتغير	**سنوات الخبرة**	**بين 1 -5 سنوات**	**6 – 10 سنوات**	**11 سنة فأكثر**
المشكلات	**بين 1 -5**		-	**-0.1948**

المتعلقة بالمنهاج	**سنوات**		**0.3974***	
	10 – 6 سنوات			**0.2026**
	11 سنة فأكثر			

يتضح من الجدول رقم (11) أن الفروق كانت دالة لصالح المتوسطات الحسابية الأعلى، حيث تشير المقارنات البعدية للفروق في متوسطات في متوسطات المشكلات المتعلقة بالمنهاج التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تبعا لمتغير سنوات الخبرة، أن الفروق كانت بين المعلمين الذين سنوات خبرتهم (بين 1 -5 سنوات) والمعلمين الذين سنوات خبرتهم (6 – 10 سنوات) لصالح المعلمين الذين سنوات خبرتهم (6 – 10 سنوات) وبناء عليه تم رفض الفرضية الصفرية على بعد المشكلات المتعلقة بالمنهاج. في حين تم قبولها على الدرجة الكلية وباقي الأبعاد الأخرى.

نتائج الدراسة

1-أن أهم المشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل تمثلت في المشكلات التي تتعلق بالمنهاج.

2- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات المتعلقة بالمنهاج تعزى لمتغير الجنس ولصالح الإناث.

3-وجود اختلاف في بعد المشكلات المتعلقة **بالإدارة والإشراف، في حين تبين وجود** تقارب في الدرجة الكلية للمشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل، وفي باقي الأبعاد الأخرى تبعا لمتغير التخصص.

4- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المشكلات المتعلقة بالمعلم والمشكلات المتعلقة بالطلبة تعزى لمتغير المؤهل العلمي ولصالح **بكالوريوس فأعلى.**

5- وجود اختلاف في بعد المشكلات المتعلقة **بالمنهاج، في حين تبين وجود** تقارب في الدرجة الكلية للمشكلات التي تواجه معلمي الصف الأول الأساسي في المدارس التابعة لمديرية جنوب الخليل، وفي باقي الأبعاد الأخرى تبعا لمتغير سنوات الخبرة**.**

التوصيات

من خلال النتائج السابقة يوصي الباحث بمايلي:

4- مراجعة منهاج الصف الأول من حيث الأخطاء الإملائية أو العلمية لكلا المنهاجين اللغة العربية والرياضيات كمناهج أساسية في تدريس الصف الأول الأساسي .

5- عقد دورات تدريبية في جميع المجالات قد تساعد معلم الصف الأول في تخطي بعض من مشكلاته التدريسية .

6- توصية متعلقة بالمدراء والمشرفين التربويين في عملية تسهيل جميع المجالات أمام المدرسين في القيام بواجبه على أكمل وجه .

المراجع

أولاً : المراجع العربية

أبو العينين, محمد احمد (2000) **دراسة بعنوان المشكلات التي تواجه مدرس الصفوف الأولية في المدارس بالجيزة**. ، مجلة التربية البدنية والرياضة, العدد الخامس - يناير, جامعة حلوان, القاهرة.

-2الأبحر, محمد عاطف (1999) **دراسة بعنوان التنمية المهنية لمدرس المرحلة الابتدائية** – جامعة حلوان – القاهرة.

الخولي, أمين أنور و الشافعي, جمال الدين (2000) مناهج التربية البدنية المعاصر, دار الفكر العربي, القاهرة.

عثمان, إسماعيل حامد **(2003) دراسة بعنوان بعض المشكلات التي تواجه العاملين في مجالات التربية والتعليم**. رسالة دكتوراه, كلية التربية الرياضية للبنين – جامعة حلوان – القاهرة.

محمود, محمد احمد عبد المحسن (2003) **دراسة بعنوان احتياجات مدرس الصف الأول من التدريب أثناء الخدمة**, رسالة ماجستير غير منشوره, كلية التربية الرياضية للبنين – جامعة حلوان – القاهرة .

المراجع الأجنبية

Conkle, M. Terry (1997), **inservice programs – what do physical educators want**?, gournal of physical education, Recreation and damce

الاتجاه نحو البرامج التعليمية المحوسبة لدى معلمي المدارس بوكالة الغوث الدولية بمحافظات غزة

د.عبد الفتاح عبد الغـي الهمـص د. زهيـــــر عبد الحميد النواجحة

أستـاذ الصحـــــة النفسية المشـارك أستاذ الصحة النفسية المسـاعد

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى معرفة اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة في ضوء متغيرات الدراسة (الجنس و التخصص الدراسي، والخبرة)، ومن أجل ذلك استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، بالاعتماد على أداة الاستبانة من إعدادهما، والتي تم التأكد على صدقها وثباتها قبل تطبيقها، وبينت نتائج الدراسة أن اتجاهات معلمي وكالة الغوث نحو البرامج التعليمية المحوسبة كانت بشكل عام إيجابية، حيث بلغ مجموع الفقرات التي حصلت على نسبة (75%) فما فوق (5) فقرات، وقد حصلت أعلى فقرة وهي (يساهم التعليم المحوسب في إنجاز مهام الطلاب التعليمية) على نسبة (93.8%)، كما حازت الفقرة التي تنص على أن (للتعليم المحوسب مزايا إيجابية كثيرة) على المرتبة الثانية بواقع (87.5%)، كما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات عينة الدراسة تعزي لمتغير الجنس، وكذلك وجود فروق بين متوسطات عينة الدراسة تعزي للتخصص، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات عينة الدراسة تعزي لمتغير الخبرة، كما أوصت الدراسة العمل على نشر الثقافة الالكترونية في المدارس والمجتمع، وعقد دورات تدريبية لتأهيل وتدريب المعلمين على استخدام الحاسوب، وذلك للتحول التدريجي من التعلم الاعتيادي إلى التعلم الالكتروني، والعمل على تأمين أجهزة حواسيب حديثة في جميع المدارس، وأن يركز التعليم على الاستفادة من خبرة التعليم المفتوح من خلال شبكات الاتصالات الحديثة بالتعليم.

Summary of the study:

The study aimed to find out trends teachers and the international relief agency about the use of educational programs computerized in light of the study variables (sex and area of study, and experience), and for that researchers used the descriptive analytical method, depending on the tool-resolution prepared, which was confirmed on truthfulness and reliability before they are applied, and results indicate that the trends teachers UNRWA towards educational programs computerized were generally positive, with a total of paragraphs that I got on the proportion (75%) and above (5) vertebrae, has got the highest paragraph a (contributes computerized education in students' educational tasks) (93.8%), Also won paragraph which states that (for education computerized advantages are many positive) ranked second by (87.5%), as there are no statistically significant differences between the mean study sample due to the variable sex, as well as the existence of differences between the averages of the study sample attributed to specialize, and there is no statistically significant differences between the study sample averages due to the variable experience, as recommended by the study on the electronic dissemination of culture in schools and the community, And held training sessions for rehabilitation and training teachers to use the computer, so as to shift out of learning normal to e-learning, and working to secure the computer hardware modern in all schools, and focus education to benefit from the experience of open education through telecommunications networks modern education.

مقدمة الدراسة:

يعيش العالم تطورات متلاحقة، وذلك بفضل التقدم التقني الذي ألقى بظلاله على كافة مناحي حياة الإنسان، وخاصةً العملية التعليمية، حتى أنه أصبح يطلق على هذا العصر، العصر الرقمي، الذي يعتمد على الأجهزة الحاسوبية، والشبكات المساندة الداخلية والخارجية، كالانترنت، حيث بدأت العملية التعليمية بمنحى جديد يعتمد على عالم مليء بالصورة والصوت، التي استفادت من تطورها العملية التعليمية عبر الوسائط التقنية المتعددة.

وأصبح استخدام التكنولوجيا في التعليم ضرورة لا مفر منها ولا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، وذلك لمسايرة التطورات المتسارعة في التقدم التكنولوجي والتي أثرت على كافة المناحي التعليمية والتربوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وأمام هذه التطورات الهامة أصبح لزاماً مواكبة تلك التحولات، وعليه فإن وظيفة المعلم يحتاج أداؤها إلى خبرات حديثة في إعداده، لكي يتمشى مع التطور التكنولوجي.

ومع التغيرات السريعة الناجمة عن الثورة العلمية، فقد شهدت البرامج التعليمية المحوسبة تطوراً ملحوظاً، إذ تم فيها دمج وإضافة العديد من التقنيات لهذه البرامج، مما أنتج أنواعًا متعددًة من هذه البرامج، وقد أثبتت هذه البرامج التعليمية المحوسبة فاعليتها في المواقف التعليمية المختلفة، أكثر من الطرق التقليدية، حيث استطاعت تلك البرامج المحوسبة من تغيير دور المتعلم من متلق للمعلومة إلى باحث عنها وعارض لها، كما ساعدت تلك البرامج الطلبة على التفكير والتعلم بطريقة أفضل.

إن التعليم بمساعدة الحاسوب من العوامل المهمة التي يمكن أن تحّفز، وتثير الدافعية، والتحدي، وتزيد من حب الاستطلا ع والمراقبة، وتعزيز المتعة في التعليم، إضافة إلى ذلك فإن الحاسوب اهتم بالمهارات العقلية العليا من خلال المزج بين الخبرات البصرية والسمعية بشكل تفاعلي.

والبرامج التعليمية المحوسبة يتم إعدادها باستخدام الحاسب، بحيث يكون المحتوى التعليمي فيها منبثقا

من المنهاج الدراسي محور الدراسة، أي تكون المادة التعليمية العادية معدة بقالب محوسب، وهي عبارة عن مجموعة من الشاشات المترابطة بتتابع معين، وفق استراتيجية تعليمية محدّدة، لتقديم المحتوى المطلوب، باستخدام مجموعة متكاملة من الوسائط المتعددة كالصورة، والصوت، والألوان الجّذابة، ويتم تنظيم هذه الشاشات وتقديمها باستخدام إحدى لغات برمجة الحاسوب، مع توفير فرصة الجو التفاعلي الإيجابي للمتعّلم، فهي تثير

التشويق والمتعة في عملية التعّلم، وتمتاز هذه الدروس بتوفير التغذية الراجعة ، وسهولة الاستخدام ومناسبتها للأطفال في هذا العمر.

مشكلة الدراسة: تتمحور مشكلة الدراسة في المبررات الآتية:

- إن تطبيق البرامج التعليمية المحوسبة بصورة إيجابية ومنظمة لا يمكن أن يكتب له النجاح دون معرفة مشاعر واتجاهات وآراء السادة المعلمين، و استشراف نقاط القوة و الضعف في تطبيقها في مدارسنا تعد من أهم التحديات المطروحة أمام التعليم.
- نظراً لأهمية وفاعلية التعليم المحوسب في تنمية التحصيل الدراسي، فقد أدخلت دائرة التربية والتعليم في وكالة الغوث نظام التعليم المحوسب للصفوف الدنيا في مرحلة التعليم الأساسي، وقد تباينت وجهات نظر المعلمين تجاه تلك النظم ، فهناك من تفاعل معها، وهناك من لا يحبذ استخدامها، كون البيئة المدرسية غير مهيّأة تهيئةً كاملةً لمثل هذه الأنظمة، وحتى نتمكن من تعزيز وتدعيم الاتجاهات الإيجابية، وتحسين الاتجاهات السلبية، كان لابد من القيام بهذه الدراسة للكشف عن مستوى الاتجاه نحو البرامج التعليمية المحوسبة لدى معلمي المدارس بوكالة.
- بمراجعة التراث التربوي في البيئة الفلسطينية تبيّن أن هناك نقص في الدراسات التي تناولت مجال التعليم المحوسب على وجه الخصوص، ومن ثم تصدت الدراسة الحالية إلى الكشف عن اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو البرامج التعليمية المحوسبة، وعليه تكمن مشكلة الدراسة الراهنة في محاولة الكشف عن اتجاه عينة من المعلمين والمعلمات في بعض مدارس وكالة الغوث في ضوء بعض المتغيرات الشخصية مثل الجنس، والتخصص العلمي، والخبرة في مجال العمل. وبناءً على ما تقدّم ذكره فإن مشكلة الدراسة تتحدّد في التساؤلات الآتية:

1- ما اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة؟
2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة تعزى لمتغير الجنس؟
3- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة تعزى لمتغير التخصص الدراسي؟
4- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة تعزى لمتغير الخبرة؟

أهداف الدراسة

سعت هذه الدراسة إلى معرفة اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة في ضوء متغيرات الدراسة الجنس و التخصص الدراسي، والخبرة.

أهميـة الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة فيما يأتي:

1- إن أهمية هذه الدراسة تنبع من الأهمية الكبرى لاستخدام البرامج التعليمية المحوسبة كوسيلة حديثة في التدريس، تعتمد على توفير بيئة تعلم تفاعلية، تسهم في زيادة الدافعية والتشويق، وتعمل على مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة.

2- قد تسهم هذه الدراسة في تشجيع المعلمين الذين لا يحبذون استخدام البرامج التعليمية المحوسبة في عملية التعلم في قبول هذا النوع من التعليم.

3- تعد هذه الدراسة هي الأولى في فلسطين بحسب علم الباحثين ، وهي تبحث في الكشف عن اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة .

4- توجيه الاهتمام نحو برامج التعليمية المحوسبة كونها توفر بيئة أشبه إلى الواقع الاجتماعي من خلال توظيف الصوت والصورة والحركة في البيئة الصفية مما يجعل الطالب أكثر تكيفاً ورغبة في التعلم.

5- توفير معلومات يمكن أن تساعد العاملين في المجالات التربوية والتكنولوجية من تطبيق البرامج المحوسبة في البيئات التعليمية المختلفة.

6- قد يستفيد من هذه الدراسة المختصين في مجال التكنولوجيا في تصميم وإنتاج البرامج المختلفة التي تسهم في تنمية التحصيل الدراسي بجوانبه المختلفة.

فرضيات الدراسة:

حاولت الدراسة التحقق من الفرضيات الصفرية الآتية:

1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة تعزى لمتغير الجنس.

2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة تعزى لمتغير التخصص الدراسي.
3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة تعزى لمتغير الخبرة.

مصطلحات الدراسة:

أولاً: الاتجاه: يعرفه (عدس وقطامي، 2000: 234) بأنه حالة تحمل طابعاً إيجابياً أو سلبياً تجاه شيء أو موقف أو فكرة، أو ما شابه مع استعداد للاستجابة بطريقة محددة مسبقاً نحو مثل هذه الأمور. ويعرفه الباحثان إجرائياً: حكم تقديري تقييمي قد يأخذ شكلاً إيجابياً أو سلبياً نحو موضوعات أو أشخاص.

ثانياً: "التعليم المحوسب: يعرفه (أحمد سالم، 2004: 289) بأنه منظومة تعليمية لتقديم البرامج التعليمية أو التدريبية للمتعلمين أو المتدربين في أي وقت وفي أي مكا ن باستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات التفاعلية مثل (الإنترنت ، القنوات المحلية، البريد الإلكتروني، الأقراص الممغنطة، أجهزة الحاسوب .. الخ) لتوفير بيئة تعليمية تعلمية تفاعلية متعددة المصادر بطريقة متزامنة في الفصل الدراسي أو غير مغزة.ة عن بعد دون الالتزام بمكان محدد اعتمادًا على التعلم الذاتي والتفاعل بين المتعلم والمعلم."ويعرفه الباحثان إجرائياً: بأنه وسيلة تعليمية حديثة معمول بها في مدارس وكالة الغوث الدولية بمحافظات غزة، يتم برمجتها وإعدادها باستخدام الحاسوب، ويكون محتوى المقرر التعليمي منبثقاً من المنهاج الدراسي، وهذه البرامج عبارة عن مجموعة من الإطارات المترابطة بشكل تتابعي، بحيث يقدم المحتوى التعليمي وفق نسق واستراتيجية تعليمية محددة، وتحتوي على الكثير من المؤثرات الضوئية والحركية واللونية والوميضية التي يمكن إضافتها إلى أي إطار لشد انتباه الطالب نحو الدرس"

حدود الدراسة:

تتحدد حدود الدراسة الحالية بما يلي:

البعد الموضوعي: الاتجاه نحو البرامج التعليمية المحوسبة لدى معلمي المدارس بوكالة الغوث الدولية بمحافظات غزة.

البعد المكاني: تم إجراء الدراسة على عينة من معلمي ومعلمات المدارس بوكالة الغوث الدولية بمحافظات غزة .

البعد الزماني: تم تطبيق الدراسة في الفصل الدراسي الأول من العام 2012-2013

البعد الإجرائي: تم تطبيق أداة الدراسة المتمثلة في الاتجاه نحو البرامج التعليمية المحوسبة.

دراسات سابقة:

في هذا الإطار اهتمت دراسة بورستورف ولو Borstorff & Lowe (2006) بالاتجاهات نحو التعليم الإلكتروني و التعرف على ادراكات المتعلمين وقناعتهم لهذا النوع من التعليم ومدى فاعليته. وتكونت عينة الدراسة من 113 طالباً والذين تم تطبيق استبيان للتعرف على ادراكاتهم وقناعتهم بالتعليم الإلكتروني.وأوضحت نتائج الدراسة أن 88% من أفراد العينة أظهروا اتجاهات إيجابية وخبرات موجبة نحو استخدام التعليم الإلكتروني، ونصح 79% منهم الآخرين باستخدام هذا النوع من التعليم. بينما تركزت أوجه قصور هذا النوع من وجهة نظر الطلاب في الحاجة إلى المزيد من التواصل مع المعلمين والطلاب الآخرين حيث اقترحت الإناث المزيد من التواصل مع المعلمين ووضوح تعليمات الاستخدام، بينما طلب الذكور والطلاب الأصغر سناً المزيد من التواصل مع الطلاب الآخرين.كما قام الشناق (2006) بإجراء دراسة هدفت للتعرف على واقع استخدام الوسائط الإلكترونية في تعليم العلوم بدولة الإمارات من وجهة نظر المعلمين ودرجة توظيف هذه الوسائط في التعليم، وأظهرت النتائج أن الحاسوب هو أكثر المجالات استخداما بنسبة 80.5 %ويليه استخدام الإنترنت بنسبة 79.9%. وأجرت بلبيسي دراسة (2007)هدفت إلى تعرف مدى قدرة طلبة جامعة القدس المفتوحة في منطقة سلفيت على استخدام مهارات وتقنيات التعلم عن بعد، تكونت عينة الدراسة من(96) طالبًا وطالبة، وقد استخدمت الاستبيان أداة للدراسة، وأشارت النتائج إلى ضعف قدرة الطلبة على استخدام مهارات وتقنيات التعلم عن بعد وما يتعلق بالانترنت والبريد الالكتروني ،وإلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية حول قدرة طلبة جامعة القدس المفتوحة في منطقة سلفيت في استخدام مهارات وتقنيات التعلم عن بعد تعزى إلى الجنس ومستوى الطالب الدراسي. وقدم ستريهورن( ) strayhorn 2007 دراسة هدفت إلى معرفة مدى استخدام التكنولوجيا بين أعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي في جامعة تينسي بأمريكا.وقد شملت الدراسة (1400) عضو هيئة تدريس , بنسبة (59%من الذكور و %) (41من الإناث , واستخدم الباحث استبانة من إعداده .وأظهرت نتائج الدراسة أن 59.4 %من أعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي يستخدمون البريد الالكتروني , و (40.6 %)منهم يستخدم البريد الالكتروني وخدمات

أخرى على الانترنت كتصفح الويب. و سعى كل من لوكشيتش و هورفورت و بيسانسكي2007 (Luksic, Horvart & Polanski(إلى معرفة اتجاهات الطلبة في قسمي الرياضيات والفيزياء نحو توظيف التعلم الالكتروني في التعلم في جامعتي ليوبليانا في سلوفينيا حيث أظهرت الدراسة أن الطلبة لا يجدون في التعلم الالكتروني توفيرًا للوقت والجهد، كما أجمع الطلبة على الاستفادة من استخدام الصفوف الافتراضية في التعلم فأكد حوالي 70%من الطلبة دخولهم الصفوف الافتراضية أسبوعيًا بينما 29 %منهم يدخلون يوميًا إليها. كذلك أبدى80% من الطلبة الذين خضعوا للدراسة رغبتهم في أن تكون المادة العلمية متوفرة على شبكة الانترنت بينما ما يقارب43 %منهم قالوا أنهم يريدون نشاطات الكترونية أكثر) مثل الامتحانات القصيرة والمناقشات وغيرها .(وهذا ما يدل على وجود اتجاهات ايجابية عند الطلبة نحو استخدام التعلم الالكتروني في التعلم الجامعي واستكشفت دراسة هو Ho (2007) ادراكات الطلاب في إحدى كليات الموسيقى لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والتعليم الإلكتروني واستجاباتهم للتحديات المترتبة على استخدام هذا التكنولوجيا كوسيلة مساعدة في التعليم والتدريس. وتكونت عينة الدراسة من (16) طالباً وتم تطبيق استبيان يدور حول التعليم الإلكتروني وتكنولوجيا المعلومات إلى جانب إجراء المقابلات معهم. وأوضحت نتائج الدراسة أن الطلاب واثقين من قدرتهم على استخدام تكنولوجيا المعلومات لكنهم لا يؤمنون بأن إدخال تكنولوجيا المعلومات في المنهج الدراسي سوف يحسن مستوى جودة تعليمهم. كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن دافعية الطلاب تتوقف على رغبتهم في المادة الدراسية، وأسلوب المحاضر، وإدماج تكنولوجيا المعلومات التي يجب دائماً أن تكون مرتبطة بحاجات الأفراد ويمكن الاستفادة من نتائج هذه الدراسة في مساعدة الجامعات في الاستجابة للتغيرات التي يحدثها التعليم الإلكتروني وتكنولوجيا المعلومات. وأجرى جبرين وآخرون (2008) دراسة هدفت للكشف عن اتجاهات طلبة مستوى البكالوريوس في الجامعة الهاشمية نحو توظيف التعلم الإلكتروني في التعلم الجامعي وتعرف أثر كل من التخصص والجنس والخبرة في الإنترنت على اتجاهات الطلبة، وأظهرت نتائج الدراسة اتجاهات إيجابية لدى الطلبة نحو توظيف التعلم الإلكتروني في التعلم الجامعي، ولم يكن هناك فروق دالة إحصائيا تعزى للتخصص، بينما كان هناك فروق دالة إحصائيا تعزى للجنس ولصالح الإناث، فضلا عن وجود فروق دالة إحصائيا تعزى للخبرة الحاسوبية بين أصحاب الخبرة الحاسوبية القليلة والمتوسطة لصالح المجموع الأخيرة، ووجود فروق دالة إحصائيا تعزى للخبرة في الإنترنت لصالح أصحاب الخبرة المتوسطة. وبحثت دراسة أبو

موسى(2008) تقصي أثر استخدام إستراتيجية التعلم المزيج في تحصيل طلبة التربية في الجامعة العربية المفتوحة فرع الأردن في مقرر التدريس بمساعدة الحاسوب واتجاهاتهم نحوها .وقد أظهرت نتائج الدراسة فروقا ذات دلالة إحصائية بين تحصيل الطلبة الذين درسوا بإستراتيجية التعلم المزيج والطلبة الذي درسوا بطريقة المحاضرة ولصالح المجموعة التجريبية، كما أظهرت النتائج فروقا ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلبة نحو الإستراتيجية المستخدمة ولصالح المجموعة التجريبية أيضا ,ولكن تبين أن تشتت علامات المجموعة التجريبية أعلى من تشتت المجموعة الضابطة، وأوصت الدراسة بأن تعمم إستراتيجية التعلم المزيج في تدريس المساقات الجامعية في الجامعة العربية المفتوحة. واستكشفت دراسة يوين وما Yuen & Ma (2008)تقبل المعلمين لتكنولوجيا التعليم الإلكتروني وتكونت عينة الدراسة من (152) معلماً والذين يتم تدريبهم في أحد برامج التدريب أثناء الخدمة للمعلمين في هونج كونج. وقام الباحثان بتصميم استبيان للتعرف على تقبل المعلمين واتجاهاتهم نحو التعليم الإلكتروني. كما أعد الباحثان نموذجاً لفهم طبيعة عملية تقبل المعلمين للتعليم الإلكتروني وهو نموذج The Technology Acceptance Modelويتكون هذا النموذج من خمس مفاهيم: النية لاستخدام التكنولوجيا، الفائدة المدركة perceived usefulness، السهولة المدركة في الاستخدام، المعايير الموضوعية، وفاعلية الذات في استخدام الكمبيوتر.وأوضحت نتائج الدراسة إلى أن المعايير الموضوعية وفاعلية الذات في استخدام الحاسب الآلي تعتبر من أهم المكونات أو المكونات الرئيسية في النموذج. وأشارت نتائج الدراسة أيضاً إلى أن المعايير الموضوعية وفاعلية الذات وسهولة الاستخدام المدركة تفسر 68% من التباين في استخدام تكنولوجيا التعليم الإلكتروني. وهدفت دراسة محمد والمطري2009 تحليل اتجاهات طلبة الدراسات العليا في كلية العلوم التربوية في الجامعة الهاشمية نحو تطبيقات التعلم الالكتروني ومعرفة أثر كل من المعدل التراكمي والخبرة في المساقات الالكترونية. وتبين من خلال هذه الدراسة أن هناك اتجاهات ايجابية لدى الطلبة نحو استخدام التعلم الالكتروني في الدراسات العليا في كلية العلوم التربوية، بينما لم يكن هنالك فروق ذات دلالات إحصائية في اتجاهات الطلبة نحو استخدام التعلم الالكتروني في كلية الدراسات العليا تعزى للمعدل التراكمي والخبرة في المساقات الالكترونية.

التعقيب على الدراسات السابقة:

- **من حيث الهدف**: هدفت معظم الدراسات إلى التعرف على الاتجاهات نحو التعليم الإلكتروني، ومعرفة أثر الخبرة، والعمر، والتخصص الدراسي، والجنس في تلك الاتجاهات، و تقصي أثر استخدام إستراتيجية التعلم المزيج

في تحصيل الطلبة في مقرر التدريس بمساعدة الحاسوب واتجاهاتهم نحوها. والتعرف عن مدى قدرة الطلبة على استخدام مهارات وتقنيات التعلم عن بعد.

- **من حيث العينة**: خصت معظم الدراسات السابقة عيناتها من طلبة الجامعات بكلياتها المختلفة، فيما خصت بعض الدراسات السابقة عيناتها من المعلمين.
- **من حيث النتائج**: أظهرت معظم نتائج الدراسات السابقة أن هناك اتجاهات إيجابية نحو التعليم الإلكتروني، كما بينت الدراسات السابقة أن هناك تضارب في النتائج من حيث الفروق في الاتجاهات نحو التعليم المحوسب تبعاً لمتغيرات الجنس، والخبرة، والتخصص.

إجراءات الدراسة:

أولاً : منهج الدراسة:استخدم الباحثان في الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره انسب المناهج الملائمة لتحقيق أهداف الدراسة، ويعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ،ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها تعبيراً كمياً، وتعتبر هذه الدراسة استكشافية استطلاعية للتعرف على اتجاهات المعلمين والمعلمات نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة في التدريس.

ثانياً : مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي المرحلة الابتدائية بمدارس وكالة الغوث الدولية الذين يدرسون المقررات الدراسية بنمط برامج التعليم المحوسب .

ثالثاً : عينة الدراسة: قام الباحثان باختيار عينة الدراسة بالطريقة القصدية، واشتملت عينة الدراسة على(32) معلم ومعلمة ممن يدرّسون المقررات الدراسية بنمط برامج التعليم المحوسب .

رابعاً: **أداة الدراسة**: استخدم الباحثان مقياس الاتجاه نحو برامج التعليم المحوسب:إعداد الباحثان

- يتكون المقياس في صورته النهائية من (20) فقرة، توضع أمام كل فقرة البدائل التالية:(موافق، محايد، معارض) ويطلب من المفحوص تحديد البديل الذي ينطبق عليه، وتعطى الدرجات على النحو التالي: :(3=موافق، ، 2=محايد، 1= معارض).
- عرض الباحثان المقياس على مجموعة من المحكمين من أعضاء هيئة التدريس في التربية وعلم النفس في الجامعات الفلسطينية، وذلك للكشف عن مدى وضوح الفقرات ، ومناسبتها البيئة الفلسطينية، وسلامة ووضوح الصياغة اللغوية للفقرات، وقد حازت فقرات المقياس على اتفاق وإجماع السادة المحكمين.

- اختار الباحثان عينة عشوائية استطلاعية Pilot Study Sample قوامها (25) معلماً ، بهدف التحقق من صلاحية المقياس للتطبيق في البيئة الفلسطينية من خلال التحقق من صدق الاتساق الداخلي لمقياس الاتجاه نحو برامج التعليم المحوسب، ومدى ارتباط كل فقرة فقراته بالدرجة الكلية، كما تحقق الباحثان من ذلك بإيجاد معاملات الارتباط باستخدام معامل الارتباط بيرسون، وبلغ معامل الارتباط الكلي بين جميع فقرات المقياس (**0.72**) وهو معامل ارتباط يدلُّ ذلك على قوة التجانس الداخلي لفقرات المقياس جميعها والجدول رقم (1) يوضح ذلك.

جدول رقم (1) يبين معامل ارتباط درجة كل فقرة من مقياس الاتجاه نحو برامج التعليم المحوسب والدرجة الكلية له

م	الفقـرات	معامـل الارتبـاط	مستـوى الـدلالـة
-1	للتعليم المحوسب مزايا إيجابية كثيرة.	0.68	* *
-2	يساهم التعليم المحوسب في إنجاز مهام الطلاب التعليمية	0.54	* *
-3	يستطيع المعلم إفادة الطلاب إفادة شاملة.	0.66	* *
-4	يعمل التعليم المحوسب من رفع كفاءة الطلبة.	0.65	* *
-5	أصبح من الضروري تعميم تجربة التعليم المحوسب على جميع المراحل التعليمية.	0.55	* *
-6	أعتقد من اللازم حوسبة جميع المقررات الدراسية.	0.62	* *
-7	يزيد التعليم المحوسب من مهارات الطلبة في المجالات المختلفة.	0.56	* *
-8	يمكن التعليم المحوسب الطلبة من انجاز واجباتهم الدراسية	0.41	* *

-9	أتاح التعليم المحوسب فرصاً كبيرة للتعلم	0.51	* *
-10	ينمي التعليم المحوسب مهارات التفكير الابتكاري.	0.53	* *
-11	يساهم التعليم المحوسب في تجويد العملية التعليمية.	0.49	* *
-12	التعليم المحوسب ضرورة لمواكبة التطورات والتغيرات الحديثة.	0.47	* *
-13	يمكن التعليم المحوسب من تعزيز ثقافة الاتصال و التواصل بين الطلبة	0.57	* *
-14	يساعد المتعلم على التفاعل وتوظيف العديد من الإمكانات، وصقل المهارات الفكرية.	0.44	* *
-15	التعليم المحوسب اقل تكلفة من التعليم التقليدي	0.42	* *
-16	اعتقد أن التعليم المحوسب له أثر سلبي على الطلبة	0.59	* *
-17	يمكن المتعلم من اختيار الوقت المناسب للتعلم، وكذلك اختيار المكان الذي يريد.	0.69	* *
-18	استخدام التعليم المحوسب في تدريس المقررات يعيق تعلمها	0.46	* *
-19	يشعر بعض الطلبة بالحرج والخوف والرهبة أثناء تنفيذ دروس التعليم المحوسب	0.48	* *
-20	التعليم المحوسب يساعد المعلم عل حسن إدارة وتنظيم الوقت	0.54	* *
	الاتساق الكلي	0.72	* *

* ***دالة عند مستوى 0.01**

يتضح من الجدول السابق أن جميع فقرات المقياس قد حققت ارتباطات دالة مع الدرجة الكلية عند مستوى دلالة أقل من 0.01

- قام الباحثان باستخراج معامل ثبات مقياس الاتجاه نحو برامج التعليم المحوسب بطريقة التجزئة النصفية، وبلغت قيمة معامل الثبات ر = 0.87 وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى دلالة أقل من 0.01، الأمر الذي يدلل على درجة جيدة من الثبات تفي بمتطلبات الدراسة.

تفسير نتائج الدراسة:

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الأول و نصه: ما هي اتجاهات معلمي وكالة الغوث الدولية نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة ؟

للإجابة عن السؤال الأول استخدم الباحثان النسب المئوية والجدول التالي يبين ذلك. ومن أجل تفسير النتائج تم اعتماد التقديرات التالية والمتعلقة بالاستجابة على الفقرات: (75%) فأكثر اتجاه إيجابي كبير جداً،(من 74% - 50%) اتجاه إيجابي متوسط، (أقل من 50%) اتجاه سلبي.

جدول (1 – 1)

م	الفقـــرات	موافق	محايد	معارض
-1	للتعلـيم المحوسـب مزايـا إيجابيـة كثيرة.	%87.5	%6.3	%6.2
-2	يساهم التعليم المحوسب في إنجاز مهام الطلاب التعليمية	%93.8	%0.0	%6.2
-3	يستطيع المعلم إفادة الطلاب إفادة شاملة.	%62	25.5	12.5%
-4	يعمل التعليم المحوسب من رفع كفاءة الطلبة.	%73.4	%12.2	%14.4
-5	أصبح من الضروري تعميم تجربة التعلـيم المحوسـب علـى جميـع المراحل التعليمية.	%60	%31.3	%8.7

-6	أعتقد من اللازم حوسبة جميع المقررات الدراسية.	%59.8	%25	%15.2
-7	يزيد التعليم المحوسب من مهارات الطلبة في المجالات المختلفة.	%75	%12.5	%12.5
-8	يمكن التعليم المحوسب الطلبة من انجاز واجباتهم الدراسية	65.7	%15.5	%18.8
-9	أتاح التعليم المحوسب فرصاً كبيرة للتعلم	%62.5	%18.8	%18.7
-10	ينمي التعليم المحوسب مهارات التفكير الابتكاري.	%50	%31.2	%18.8
-11	يساهم التعليم المحوسب في تجويد العملية التعليمية.	%56.3	%43.7	%0.0
-12	التعليم المحوسب ضرورة لمواكبة التطورات والتغيرات الحديثة.	%87.5	%12.5	%0.0
-13	يمكن التعليم المحوسب من تعزيز ثقافة الاتصال و التواصل بين الطلبة	%62.5	%18.8	%18.8
-14	يساعد المتعلم على التفاعل وتوظيف العديد من الإمكانات، وصقل المهارات الفكرية.	%56.2	%43.8	%0.0
-15	التعليم المحوسب اقل تكلفة من التعليم التقليدي	%25	%37.5	%37.5
-16	أعتقد أن التعليم المحوسب له أثر سلبي على الطلبة	%31.2	%43.8	%25
-17	يمكّن المتعلم من اختيار الوقت المناسب للتعلم، وكذلك اختيار	%62.5	%25	%12.5

	المكان الذي يريد.			
-18	استخدام التعليم المحوسب في تدريس المقررات يعيق تعلمها	%6.2	%50	%43.8
-19	يشعر بعض الطلبة بالحرج والخوف والرهبة أثناء تنفيذ دروس التعليم المحوسب	%31.3	%31.3	%37.5
-20	التعليم المحوسب يساعد المعلم عل حسن إدارة وتنظيم الوقت	%75	%18.8	%6.3

يتضح من الجدول(1-1) أن اتجاهات معلمي وكالة الغوث نحو البرامج التعليمية المحوسبة كانت بشكل عام إيجابية، حيث بلغ مجموع الفقرات التي حصلت على نسبة (75%) فما فوق (5) فقرات، وقد حصلت أعلى فقرة وهي (يساهم التعليم المحوسب في إنجاز مهام الطلاب التعليمية) على نسبة (93.8%)، كما حازت الفقرة التي تنص على أن (للتعليم المحوسب مزايا إيجابية كثيرة) على المرتبة الثانية بواقع (87.5%)، ويعزو الباحثان هذه النتيجة الإيجابية إلى أهمية الحاسوب في زيادة التحصيل الدراسي، والتوجه العالمي نحو ضرورة استخدامه من أجل مواكبة التطورات والتغيرات الحديثة، ومساعدة المعلم في سرعة إنجاز المهام التعليمية ، وإدارة وتنظيم الوقت،كما يعمل الحاسوب على تقليل تكلفة الأعمال المنجزة، وتحسين النوعية، كما أن التطور الحادث في النظم التربوية يمكن مرده إلى التقدم العلمي والتكنولوجي، حيث إن إدخال الحاسوب في الجانب التعليمي أدى إلى تطور مذهل وسريع في العملية التعليمية، إذ يرى التربويون أن التعليم المحوسب أسهم في جعل المتعلم محور العملية التعليمية، كذلك يمكن المتعلم من الاعتماد على الذات في عملية التعلم، ويسهم في تنمية مهارات التفكير بأنواعها المختلفة، ، كما أنه يعين الأهالي على عدم الاعتماد على الدروس الخصوصية. أما فيما يخص الفقرة رقم (15) والتي بينت أن نسبة قليلة من استجابات المعلمين تصل إلى(25%) من المعلمين يعتقدون أن التعليم المحوسب اقل تكلفة من التعليم التقليدي، فيمكن مرده إلى أن الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تمر بها الأراضي الفلسطينية لا تمكّن وزارة التربية والتعليم من توفير أجهزة الحاسوب في جميع المدارس، كما أن الأسر الفلسطينية لا تستطيع توفير أجهزة حاسوب لأولادها.

تـم قـام الباحثـان بفحـص البيانـات التابعـة لمقيـاس الإتجـاة نحـو البـرامج التعليميـة المحوسبة فتبين من اختبار كولمجروف سمر نوف أن البيانات تخضع للتوزيع الطبيعي؛ وذلك لأن القيمة الاحتمالية (sig) تساوى 0.420 وهي أكبر من مستوى الدلالة (α) حيث إن $\alpha = 0.05$ وذلك من خلال جدول 1.2

جدول رقم (1.2)

متوسط فقرات اتجاهات معلمي وكالة الغوث نحو البرامج المحوسبة	القيمة
الوسط	2.325
الانحراف المعياري	0.18579
دالة الاختبار الحسابية	0.881
القيمة الاحتمالية (sig)	0.420

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الثاني و نصه " هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات عينة الدراسة تعزي لمتغير الجنس؟" وللإجابة على هذا السؤال استخدم الباحثان اختبار (ت) (Ttest) لمجموعتين مستقلتين لدلالة الفروق على الدرجة الكلية لأداة الدراسة تبعاً لمتغير الجنس.

جدول (1.3)

الجنس	عدد المشاهدات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة الاختبار	درجات الحرية *df*	القيمة الاحتمالية (sig)	فترة 95% ثقة للفرق بين الوسطين	
							الحد الأعلى	الحد الأدنى
الذكور	16	2.2875	0.1893	-1.148	30	0.260	0.05847	-0.20847
الإناث	16	2.3625	0.1803					

يتبين من خلال جدول 3. 1 عدم وجود فروق بينهما لان القيمة الاحتمالية (Sig) تساوي 0.260 وهي أكبر من α وبالتالي لا نستطيع رفض الفرضية الصفرية القائلة بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بينهما وذلك أيضاً لأن

الوسط الحسابي للذكور يساوي 2.2875 وهو يساوي تقريباً الوسط الحسابي للإناث الذي يساوي 2.3625 ويمكن تفسير ذلك إلى تكافؤ المعلمين والمعلمات في القدرة على امتلاك المهارات التعليمية اللازمة لهذا النمط من التعلم، كما يمكن أن يعزى ذلك إلى تعرضهم لمقررات تعليمية متشابهة خلال دراستهم الجامعية، كما يواجه كل من المعلمين والمعلمات نفس الظروف الإدارية والتربوية تقريباً، مما جعل تقديراتهم متقاربة.

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الثالث و نصه: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات عينة الدراسة تعزي لمتغير التخصص الدراسي؟ وللإجابة على هذا السؤال استخدم الباحثان اختبار F

جدول (1.4)

	قيمة الاختبار F	درجات الحرية *df*	القيمة الاحتمالية (sig)
متوسط فقرات اتجاهات معلمي وكالة الغوث نحو البرامج المحو سبة	6.313	31	0.001

يتبين من خلال جدول 1.4 بوجود فروق بين متوسطات عينة الدراسة تعزي للتخصص، لمعرفة الفروق بين أي وسطين قام الباحثان باستخدام اختبار Post Hoc وذلك لعمل مقارنات متعددة بين كل وسطين..

جدول (1.5)

التخصصات	الوسط	الفرق بين الوسطين	الانحراف المعياري	القيمة الاحتمالية (sig)
العربي(I)	2.3500	= (IV)- (I) *0.3250*	0.04732	0.0000
الاجتماعيات(II)	2.4333	=(IV) -(II) 0.40333	0.05761	0.0040
الرياضيات(III)	2.4125	= (IV)- (III) 0.3875	0.04732	0.0000

العلوم(IV)	2.0250	(IV) - (IV) 0.000=	ـــــ	ـــــ

يتبين من خلال جدول 1.5 أن هناك فرق بين تخصص العربي والعلوم ولصالح العربي , وأن هناك فرق بين تخصص الاجتماعيات والعلوم ولصالح الاجتماعيات وأن هناك فرق بين تخصص الرياضيات والعلوم ولصالح الرياضيات، ويعزو الباحثان ذلك أن دائرة التربية والتعليم بوكالة الغوث الدولية تقدم برامج تعليمية محوسبة فقط لمقررات اللغة العربية والرياضيات فقط، وعليه فإن المعلمين الذين يدرسون تلك المقررات المحوسبة أصبح لديهم خبرة ودراية بفاعلية وأثر التعليم المحوسب في تطور العملية التعليمية، كما ويمكن تفسير ذلك أن الحاسوب يخدم اللغة العربية؛ والرياضيات والاجتماعيات، عن طريق تقديمها للتلميذ بصورة جذابة وأسلوب جديد وشائق، فمن الممكن من خلال الحاسوب، والبرامج التعليمية المختلفة، تقديم دروس خاصة باللغة العربية، والرياضيات، والاجتماعيات بشكل جيد، كذلك ربما يعتقد معلمو مقرر العلوم أن هذا المقرر من الأفضل تدريسه بالطرق الاعتيادية، وذلك لأن معظم موضوعاته الدراسية تحتاج إلى مختبرات عملية.

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الرابع و نصه: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات عينة الدراسة تعزي لمتغير الخبرة؟ وللإجابة على هذا السؤال استخدم الباحثان اختبار F

جدول (1.6)

	قيمة الاختبار F	درجات الحرية *df*	القيمة الاحتمالية (sig)
متوسط فقرات اتجاهات معلمي وكالة الغوث نحو البرامج المحو سبة	2.963	31	0.067

يتبين من خلال جدول 1.6 عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المعلمين نحو استخدام البرامج التعليمية المحوسبة يعزى للخبرة ، وهذا يعني أن لدى أفراد عينة الدراسة رؤية متشابهة في اتجاهاتهم نحو برامج التعليم المحوسب، بغض النظر عن اختلاف مستوى خبراتهم، وقد يفسر ذلك على أن المعلمين على اختلاف خبراتهم، فهم على دراية متشابهة

بتطبيقات البرامج التعليمية المحوسبة، وكيفية التعلم عن طريقها، كما قد يعزى ذلك إلى أن المعلمين سواء الذين يمتلكون خبرة والذين لا يمتلكون خبرة، قد حضروا دورات تدريبية ذات علاقة بالتعلم الالكتروني. كما أن انتشار الانترنت يعطي هؤلاء المعلمين الخبرة الكافية في التعلم الإلكتروني ، مما جعلهم يكونون اتجاهات إيجابية نحو تطبيقات التعلم المحوسب بغض النظر عن خبرتهم في المساقات الإلكترونية

التوصيات والمقترحات:

بناءً على ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج ، فإن أهم التوصيات والمقترحات هي كما يلي:

1- العمل على نشر الثقافة الالكترونية في المدارس والمجتمع.
2- عقد دورات تدريبية لتأهيل وتدريب المعلمين على استخدام الحاسوب، وذلك للتحول التدريجي من التعلم الاعتيادي إلى التعلم الالكتروني.
3- العمل على تأمين أجهزة حواسيب حديثة في جميع المدارس.
4- أن يركز التعليم على الاستفادة من خبرة التعليم المفتوح من خلال شبكات الاتصالات الحديثة بالتعليم .
5- القيام بدراسة مماثلة على عينات أخرى مثل الطلبة والمدراء والمشرفين.
6- إجراء دراسة تستهدف المقارنة بين التعليم المحوسب والتعليم التقليدي من حيث استخدام طرائق التدريس.

المراجع

1- أحمد سالم (2004): تكنولوجيا التعليم والتعليم الالكتروني، مكتبة الرشد، الرياض.
2- جبرين محمد، وخليل القراعين، وخالد القضاة، .(2008) .اتجاهات طلبة الجامعة الهاشمية نحو توظيف التعلم الإلكتروني في التعليم الجامعي .المجلة التربوية.
3- جبرين محمد، و ريم المطري (2010) تحليل اتجاهات طلبة الدراسات العليا في الجامعة الهاشمية نحو تطبيقات التعلم الالكتروني،مؤتمر التربية في عالم متغير http://hu.edu.jo/ecwc/paper.htm،الزرقاء-الأردن آخرتاريخ للدخول 3-11- 2011
4- عبد الرحمن عدس ونايفة قطامي (2000): مبادئ علم النفس، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر.
5- قسيم الشناق .(2006) .واقع استخدام الوسائط التعليمية الإ لكترونية في تعليم العلوم بدولة الإمارات العربية المتحدة من وجهة نظر المعلمين . مؤتمر الإصلاح المدرسي : تحديات وطموحات، الإمارات
6- مفيد أبو موسى (2008) اثر استخدام التعليم المزيج على تحصيل طلبة التربية في الجامعة العربية المفتوحة في مقرر التدريس بمساعدة الحاسوب واتجاهاتهم نحوها,الجامعة العربية المفتوحة,عمان,الأردن.

7- منى البلبيسي:(2007) فاعلية طلبة جامعة القدس المفتوحة في منطقة سلفيت التعليمية في استخدام مهارات وتقنيات التعلم عن بعد،المجلة الفلسطينية للتربية المفتوحة عن بعد،ع1 ،م1 .
402-356, .

8- قسيم الشناق .(2006) .واقع استخدام الوسائط التعليمية الإ لكترونية في تعليم العلوم بدولة الإمارات العربية المتحدة من وجهة نظر المعلمين . مؤتمر الإصلاح المدرسي : تحديات وطموحات، الإمارات.

9- Luksic, P., Horvart, Bauer A.,B Pisanski,T .(2007).Practical e-learning for the faculty of mathematics and physics at the university of Ljubljana, Interdisciplinary Journal of knowledge and Learning Objects ,vol 3,p73-83.

10- Borstorf, P. & Lowe, S. (2006). E-learning, attitudes and behaviors of end-users. Allied Academics International Conference. Academy of Educational Leadership Proceedings, 12(7): 45-53.

11- Ho, W. (2007). Music student's perception of the use of multi-media technology at the graduate level in Hong Kong higher education. Pacific Education Review, 8(1): 12-26.

12- Yuen, A. & Ma, W. (2008). Exploring teacher acceptance of el-learning technology. Asia-Pacific Journal of Teacher Education, 36(3): 229.

Journal of

Averroes University

in Holland

A quarterly periodical arbiter scientific journal

Editorial Board

Editor in chief	Dr. Tayseer Al-Alousi
Vice of editor in cief	Dr. AbdulIllah Assaigh
Editorial secretary	Dr. Hussein Al Anssary
	Dr. Mohammed A. Younes
	Dr. Mutaz I. Ghazwan
	Dr. Selah Germyan
	Dr. Jamil Hamdaoui

Correspondence

Brahmalaan 18, 3772 PZ, Barneveld
The Netherlands
Website www.averroesuniversity.org
E-mail ibnrushdmag@averroesuniversity.org

NL242123028B01 Tax record - KvK 08189752 Registration number in the Netherlands

All published works are evaluated by experts of their own field of science and art.

Board of councelors	
Prof.Dr. Jamil Niseyif	UK
Prof.Dr. Aida Qasimofa	Atherbejan
Prof.Dr. Amiraoui Ahmida	Algeria
Prof.Dr. Muhemmed Rabae	USA
Ass.Prof. Khlaif M. gharaybeh	Jordan

Account number: Account number 489607721 :ABN AMRO
DE HEER T.A.A. AL ALOUSI H/O
AVERROES UNIVERSITY IN HOLLAND
Brahmalaan 18
3772PZ
BARNEVELD
BIC ABNANL2A
IBAN NL35ABNA0489607721

The price of an issue is €10,00 or its equivalent in US dollar.

Annual contribution	Individuals	Organizations
Anuual	60	80
Two years	110	150
Three years	160	200

All copyrights are reserved to Averroes university

مجلة جامعة ابن رشد في هولندا العدد العاشر

Averroes University In Holland

Averroes University In Holland

A scientific Journal Published Quarterly

Issue;10

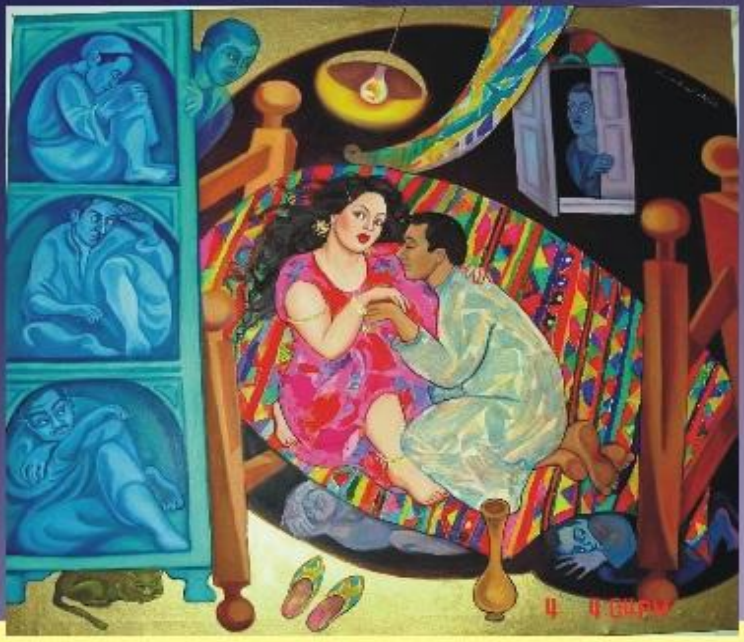

AU

Averroes University Holland

Design By;Mutaz I. Ghazwan